AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01096 7937

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

DT
82.5
S75
F8
1930

مصر والسودان

فى نظر العلم والتاريخ

وخطب

صاحب السعادة عبد العزيز عزت باشا

تأليف

الدكتور

أحمد فؤاد

اختصاصي فى الأمراض الباطنية

وعضو المجمع العلمى الالماني لمقارنة المدنيات

حقوق الطبع محفوظة لمؤلفه

١٣٤٨ — ١٩٣٠

مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر

ID01-B773
6/2
OCLC
12270965 5
B12606601
1403413X
971, 33
ف ا م

51310

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحق الذى أوجد طبيعة الدفاع عن النفس فى كل ماخلق والصلاة والسلام على خير البرية من بعث لرفع لواء العدل والحرية وإقامة صروح المساواة البشرية وتدعيم الحقوق الانسانية محمد بن عبد الله الذى جعل منع المنكر بكل الوسائط من أركان الايمان وخدمة الوطن والدين جهاداً فى سبيل الله وبعد فان السودان ومصر جسم واحد رأسه المفكر الناظم مصر وجسده الفعال السودان وقلبه النابض وشريان حياته النيل هكذا كان منذ الخليقة وهكذا يجب ان يبقى الى يوم الدين رغم كيد الغاصبين وتضليل المبطلين وسيرى القارىء فيما يلى الأدلة العلمية المنقولة عن أمهات كتب أساتذة الغرب المجردين عن الهوى وحب الاستعمار المثبتة الوحدة العرقية بين جميع سكان بلاد النيل ويقرأ من أنباء التاريخ المسطورة على آثار الأجداد الخالدة ما يقنعه بأن العلاقات الوثيقة والروابط المدنية والدينية المتينة كانت منذ فجر التاريخ (بل ومن يوم انتقل الانسان من الهمجية الى أولى درجات الحياة

الاجتماعية) كما هى اليوم قوية لاتؤثر فيها مكائد النفاثين في العقد محكمة العرى والامشاج رغم أنف شياطين المستعمرين ودسائس أبالسة المخادعين الذين يذكرون ماقد وقع في بعض الأحيان من صدام ونزال بين مصر والسودان كأنه دليل قاطع على اختلاف منشأ أهل القطرين وكأنهم ينسون ان وقوع الخلاف بين الشقيقين كثيراً ما يشاهد بين أفراد العائلة الواحدة فى كل بلاد العالم وان الحروب الداخلية بمصر قبل توحيدها على يد نرمر ومينا وغيره والحروب الدينية بين شمال ألمانيا وجنوبها والحروب التى نشاهدها فى جزيرة العرب منذ القدم الى اليوم بل وتطاحن الأحزاب المختلفة فى سائر ممالك العالم اليوم كل ذلك ليس فيه مثقال ذرة من الحق المؤيد لدعاويهم الباطلة بل هو بالعكس دليل قاطع على ان طبائع العنصر الواحد قد تتأثر بالبيئة والوسط الجغرافي وطرز المعيشة حتى فى المدينة الواحدة لدرجة محسوسة يظن معها بعض قصار النظر الى هنالك اختلافا عنصريا

ان مسألة السودان بالنسبة لمصر ليست مسألة اقتصادية كما يتوهم سمو الخديوى الأسبق تزلفا للانجليز ولو أودى بحياة البلاد وليست مسألة مياه كما يوهم بعض ساسة الانجليز وكتابهم بل هى مسألة حياة أو موت لكلا القطرين هى جزء لاينفصل من القضية المصرية وكل من يقبل فصل البت فى مصير القطرين عن بعضهما أو تأجيل البحث في شأن مصير السودان يكون قد ساعد على تحقيق حلم «سيسل رودس» أشد مستعمرى الانجليز جشعاً وأكبرهم اجراما ضد استقلال شعوب

أفريقيا الذي نادى فى قومه وعمل على تأسيس أمبراطورية أفريقية تبز الهند ثروة وضخامة وتعوض على أبناء التاميز المنابع الطبيعية والثروة البكر التي لاتنضب في حالة خلاص الهند من براثنهم . ويكون قد اعترف ضمنا لا بقبول اتفاقية السودان الباطلة (أولا لعدم اعتراف الأمة ممثلة فى مجالسها التشريعية بها وثانيا لأن معاهدة لوندره والفرمانات السلطانية كانت تحرم على مصر عقد مثل هذه الاتفاقية إلا باقرار الباب العالى عليها وثالثاً لأن اللورد كرومر صرح يومئذ بأن هذه الاتفاقية لا يراد بها أقل تعرض لسيادة مصر وحقوقها الأبدية بالسودان بل هي مجرد حيلة يراد بها منع تسرب الامتيازات الاجنبية الى تلك الارجاء) وكل نائب وكل وزير بل وكل مصري مكلف بدرء هذا الخطر والابتعاد عن الوقوع فى أحابيل الساسة الانجليز لأن القابض على السودان يتصرف في حياة مصر ولو كانت اسما مستقلة ألف استقلال واستقلال .

ولما كان شيخ الصحافة المصرية المحرر القدير صديقي المفضال الاستاذ داوود بك بركات قد أتى بتفاصيل الدسائس الانجليزية والمشاريع الاستعمارية الخطرة بأوفى المعلومات وأصدقها اكتفيت في رسالتى هذه بذكر الوثائق العلمية والتاريخية وأضفت اليها الخطب الرنانة التي ألقاها الوطني الكبير والسفير الخطير وزير مصر المفوض بلوندره صاحب السعادة عبد العزيز عزت باشا لانها كانت خير دفاع عن حقوق مصر الخالدة بالسودان صدر من رجل رسمي مسئول فى وجه

أكبر المستعمرين الانجليز وبين ظهراني أجشع المحافظين نهما في الاستعمار وناهيك بأرباب مصانع لانكشير القطنية وحبهم للاستيلاء على كل أرض تنبت قطناً بكل الطرق مشروعة كانت أو غير مشروعة. ولأن مجلس النواب والمرحوم سعد زغلول باشا ورجال وزارته وسكان بلاد النيل قدموا لسعادته الشكر على هذه الخدمة الوطنية الكبرى. ولقد اخترت هذه الفرصة لنشر رسالتي هذه أولا: لان مجلس النواب المصري يوشك أن يبدأ فحص نصوص المعاهدة المراد عقدها بين مصر وانجلترا والتي طالما طنطنت بها بعض الصحف زاعمة أنها تضمن لمصر استقلالها وتجعلها مساوية لانجلترا حليفتها مع أن الحقيقة تنادي بانها الحماية المبرقعة بسحب الوهم والأيهام وأنها مشروع ميلنر أو كيرزون أو تشمبرلن مع بعض تفسير بسيط لنصوص بعض النقط التي أجل البت فيها يومئذ كما سأبينه في فصل خاص وانها الصك الذي حاولت كل وزارة انجليزية الحصول عليه لتجعل مركزها في مصر مشروعا باعتراف الشعب المصري كما يدرك ذلك كل من تتبع مناقشات البرلمان الانجليزي ومجلس اللوردات في صدد هذه المعاهدة. ثانيا: لان ما تبديه صحافة الانجليز ونوابهم ورجال حكومتهم من النشاط في تبرير جريمة اغتصابهم السودان من مصر بحجج أوهى من خيوط العنكبوت وأسباب مختلقة تبرهن للعالم على أن روح القرصنة والجشع الاستعماري لا تزال متأصلة في نفوسهم رغم طلاء المدنية الكاذبة ودعوى نصرة الحق والانسانية وانصاف الشعوب المظلومة وما يتبع ذلك من

تشكيل مجلس عصبة الأمم الذي لم تستفد من وجوده أى مملكة شرقية حتى اليوم . وثالثا : لان كثيرا من ساسة الانجليز قد ظن أن قوى الحركة الوطنية بمصر قد وهنت وأن ثورة سنة ١٩١٩ كانت زوبعة قد هدأت ولن تعود وأن زعماء البلاد قد ضعفوا من جراء ما لاقوه من ظلم الانجليز وختلهم من جهة وما تذوقوه من لذة المناصب الرفيعة وتطاحن الاحزاب فى الحصول عليها من جهة أخرى ولذلك أقدموا على اخراج الجيش المصرى من السودان وقام ناظر الخارجية الانجليزية يبرر هذا الاعتداء الفظيع مدعيا بانه من حقوق الحاكم العام للسودان بناء على نصوص اتفاقية السودان الباطلة ولا أدرى ان كان يصح لاى مصرى بعد سماع هذه الاقوال أن يفكر في مفاوضة القوم أو أن يبقى لديه ذرة من حسن الظن بهم ! ! الا أن الواجب على كل مصرى أن يدرك أن مصر والسودان شعب واحد لا يمكن للغاصب (مهما راوغ وظلم أو تبجح واستبد) النجاح فى تفكيك وحدته والقضاء على روابط أخوته فما هو الا دخيل غاصب وعدو مشترك يبغي ازدراد القطرين واستعباد الشقيقين وانه من المحتم على الشباب الناهض ورجال المستقبل شدة التمسك بحقوق بلادهم وشحذ هممهم فى الزود عن حريتنا المغصوبة وحقوقنا المسلوبة وليدركوا أن مسألة مصر لن تحل الا في بطاح السودان فلنعمل لجعل أفريقيا الشمالية مقبرة الامبراطورية الانجليزية كما تنبأ بيسمرك داهية الالمان ولنكثر من تشكيل الجمعيات المصرية السودانية لنشر الدعوة واذاعة المعلومات

الخاصة بالقطرين وترويج التجارة بين الشعبين واحباط دسائس الانجليز بالقضاء على مايريشونه من عوامل التفرقة بينهما . وليذكروا اننا أقوياء بالحق و(ان الحق غلاب وان طال الزمن) وليست انجلترا اليوم بأشد بأسا من روسيا قبل سقوطها ولا سطوة من النمسا قبل تمزيقها ولسنا أضعف حالا من ايطاليا التى كانت نهبا مقسما حتى اعتبرها ميترنيخ أنها مجرد تعبير جغرافى لأكمال خريطة أوروبا وهاهي اليوم من الدول العظمى ولسنا أقل حولا وقوة من بولونيا يوم تقاسمتها اضخم دول الارض واشدها بأسا وناهيك بالمانيا والنمسا والروسيا وها هي اليوم من أضخم الحكومات المستقلة ولسنا باقل عزما ووطنية من الاتراك فى مبدأ قومتهم الوطنية الاخيرة ولا من اخواننا الطرابلسيين فى جهادهم الوطنى العظيم ولا ابطال الريف تحت زعامة عبد الكريم ضد دولتى اسبانيا وفرنسا بل مالنا نضرب الامثال بالامم الاخرى وهاهى نفس مصر وقفت ضد سيل جيوش الصليبيين تدافع عن الشرق بمفردها احيانا وبمعونة شقيقتها سوريا حينا فكتب لها الظفر ورد كيد المعتدين فى نحورهم رغم صغر حجمها وقلة عدد نفوسها وهاهي نفس مصر كانت قبيل عهد مؤسس العائلة المالكة محمد على الكبير ضعيفة وبمجرد ماوجدت فيه القائد الباسل والزعيم القدير أتت بالمعجزات فاخضعت اليونان وقوضت دولة الوهابيين بجزيرة العرب وكان جيشها أول جيش نظامى كبير أمكنه التوغل فى جزيرة العرب وصحاريها المجدبة ثم لم تقف عند ذلك بل غزت بلاد الدولة العثمانية ووصلت جيوشها

حتى كوتاهيه ولولا تألب الدول عليها لاسست امبراطورية شرقية عظيمة ومصر هذه هي التي أجبرت انجلترا في سنة ١٨٠٧ على الرجوع عن شواطئها تتعثر في أذيال الاندحار وذلة الانكسار ومدت فتوحاتها الى أقاصى السودان ومصر التي يتسرب اليأس الى بعض قلوب قادتها فيجعلهم يرضون بالقليل من حقوقها هي التي وقفت في وجه انجلترا سنة ١٩١٩ هازئة بالموت غير مبالية بقوة عدوها المادية من جيوش جرارة وأساطيل ضخمة ومدافع جهنمية ورشاشات ودبابات وطيارات وو الخ ولامهتمة بأن خصمها خرج منتصراً في الحرب العالمية وهي أكبر حرب شهدها التاريخ حتى اليوم مصر التي بهرت الملأ بوقفتها وحيرت العقول ببسالتها في الزود عن حياضها ضد لاستعمار الانجليزي مصر التي ضربت بمشاريع ميلنر وكيرزون وشمبرلن عرض الحائط بكل شمم وإباء لن ترضى ويستحيل عليها ان ترضى بقبول مشروع يصرح بولدوين وغراى ، وتشمبرلن ، وهندرسن ، ولامبسون ودلتون الخ بأنه نفس المشاريع القديمة روحاً ومعنى وان اختلف لفظاً وشكلا عملا برأى فالانتين شيرول الذي نصح لقومه بتغيير (اليفتة) مادامت مصر لاتنفر إلا من كلمة الحماية لامدلولها . نعم اننا لم نذكر الأمثال السالفة حبا منا فى الدعوة إلى جهاد مسلح وان يكن كل جهاد في سبيل الحق والوطن مباح وكل عمل في سبيل الدفاع عن النفس جائز . . ولكن كل ما أتمناه من رجال مصر الآن ومن زعمائها وأحزابها أن لا يقبلوا أي عمل يقيد أبناء الأجيال

المقبلة باغلال الاستعباد (ما ظهر منها وما استتر) وان لايجعلوا مركز الغاصب في البلاد مشروعاً بما يسمونه معاهدات واتفاقات ولكل من وهنت قوته وضعفت عزيمته عن الجهاد ان يخلد الى الراحة ان استطاع داعياً على الأقل لمواطنيه بالفوز والتوفيق وان لايسمم الجو بمسول التعبيرات الخلابة القاضية على جمرة الوطنية تحت ستار الحكمة والعقل والفلسفة والكياسة السياسية وبعد النظر الخ مما يراد به غير حقيقته ، وان لايقيم العثرات فى طريق من يريد المثابرة على الجهاد لتحرير البلاد كتب الله لنا التوفيق حتى نعيد لمصر عظمتها الماضية ونجعلها كما كانت مصدر العلوم والمعارف والأديان والمدنية والفلسفة وكل ما ينفع الانسانية وليكن لنا فى جهاد الهند المدعم على القوة المعنوية خير أسوة ولتكن مصر في طليعة حركة الاستقلال التى تسرى اليوم في جسم الأمم الشرقية سريان التيار الكهربائى في المعادن ولنوحد معها حركاتنا مادام عدونا واحدا ولنجعل شعارنا دائما الاستقلال التام أو الموت الزؤام

الدكتور

احمد فؤاد

غرة رمضان المبارك ١٣٤٨

العلاقات المصرية الانجليزية

وزير مصر المفوض في لندن

وليمة في فندق سميراميس

أولم صاحب السعادة عزيز باشا عزت أول وزير مفوض لمصر ببلاط سان جيمس وليمة في مساء يوم الاربعاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٣ في فندق سميراميس لفخامة المندوب السامي واللادى اللتي عقيلته ولموظفي دار المندوب السامي ولكبار الموظفين الانجليز الموجودين في خدمة الحكومة المصرية وكبار الجالية الانجليزية بمصر وحضر من المدعوين فخامة المندوب السامي واللادى اللتي عقيلته يرافقهما الكابتن ش. هندلى وجميع الوزراء ووكلاء الوزارات وموظفي المفوضية المصرية في لندن ، السر موريس واللادي شلدن ايموس ومستر باترسون والسير وليم هايتر والليدى هايتر ، السر هوراس بنشنج باشا وعقيلته والسر ريجنلد أوكس وعقيلته والسر روبرت درمندهاي وعقيلته والكولونيل بيرون وعقيلته ، المستر ا . ج كلارك كر ، الكولونيل ش . ج س جرانت ، ت رسل باشا وعقيلته ، المستر ا . ه . هوكر ، المستر ر . ا . فورنس ، المستر ا . وكوين بويد وعقيلته ، المستر ف . ه . وجن وعقيلته ، المستر ش . م باتريك وعقيلته ، المستر سكريفنر وعقيلته ، المستر ه . ل اربينو وعقيلته ، الكولونيل سنبكس

وعقيلته ، والكولونيل كاسل سمث وعقيلته ، المستر هوم ، الأنورابل مسز هوم ، والمستر ج موراى والمستر هـ . م انطوني ، المستر كريج والمستر . ا . م تويدى ، المستر دافيد هول ومس هول والمستر ب. و ستوت . وبعد تناول طعام العشاء طلب صاحب السعادة عزيز باشا عزت من المدعوين أن يشربوا نخب صاحبي الجلالة الملك فؤاد الاول والملك جورج الخامس ثم قال : سيدي اللورد ، أصحاب السعادة ، سيداتي وسادتي ، إنى انتهز هذه الفرصة بسرور عظيم لارحب بكم جميعا هنا فى هذه الليلة قبل أن أرحل لتسلم اعمالى باعتباري أول ممثل سياسى لمصر المستقلة مفوض الى الأمة الانجليزية العظيمة .

وأنى اعتبر نفسى حائزا أعظم الشرف لاختيار مليكي العظيم إياى أول وزير مفوض لجلالته في بلاط سان جيمس . ومهما تكن الأحوال والتغيرات التى مرت بها الأمة المصرية كغيرها من الامم الأخرى منذ سنة ١٩١٤ — ولم تكن تلك التغيرات قليلة أو تافهة — يحق لنا أن نقول إن حكم الملك فؤاد الأول قد أفاد سكان هذه البلاد فوائد كثيرة ذات اهمية عظمى وذات أثر باق على ممر الزمن

ومن حيث أن المصريين قد حصلوا على برلمان في بلادهم وعلى صوت يمثلهم في الخارج بين الدول العظمي يمكننا أن نعتبر هذا الحكم أكثر العصور أهمية في تاريخ مصر منذ أيام محمد على باشا ومصر عالمة بواجبها نحو نفسها ونحو الانسانية وستبرهن سريعا للعالم بواسطة دستورها الجديد انها تستحق أن تعمل لسلامتها وتوطيد مركزها

بين أمم العالم المتمدينة . وسيسجل التاريخ أعمال جميع أولئك الذين كانوا ومازالوا يعملون على تحقيق اماني مصر المشروعة ولاشك أن في تلك الصفحة الباهرة سيسطع الدور البديع الذى لعبه الفيلدمارشال لورد اللنبي والذى يثبت أن « انتصارات السلام لاتقل شهرة عن انتصارات الحرب »

وفي الختام أيها السادة أتشرف بان أعرض عليكم أن تشربوا نخباً يقابل دائما حيثما تقابل المصريون والانجليز بكل احترام وتبجيل وحماسة ألا وهو نخب صاحبى الجلالة الملك جورج الخامس والملك فؤاد الأول وانى ابتهل الى الله أن تكون السنة الجديدة سنة سعادة وسلام ورفاهية لكل العالم وأن يعقد فيها رباط المحبة الدائمة بين مصر وبريطانيا العظمى. ثم عزفت الموسيقى النشيد الوطنى الانجليزى .

ثم نهض فخامة المندوب السامي البريطانى وقال : صاحب السعادة عزيز باشا عزت ، أصحاب السعادة ، سيداتى وسادتى :

إنه لشرف عظيم لى ومن دواعى سرورى أن اكون هنا الليلة ضيف صاحب السعادة عزيز باشا عزت وأن أطلب له التوفيق في عمله كأول وزير مفوض من مصر المستقلة إلى بلاط سان جيمس

إن لمصر فى عزت باشا سياسيا قديرا ذا نظر بعيد وعلم واسع وإنى لموقن أنه سيكسب سريعا صداقة حكومتى ومواطنى - وبصفته أول ممثل سياسي لمصر في بريطانيا العظمي سيبنى بناء الثقة والمحبة التى تفضى إلى تأسيس تلك العلاقات الأخوية المتينة التي تفيد الامتين

لقد كان لى الشرف أن اكون ممثل صاحب الجلالة البريطانية

في مصر مدة خمس سنوات وفي اثناء ذلك الوقت كنت اراقب وقلبي مملوء أملا وسرورا ، المحبة النامية بين هذه البلاد وبلادى .

إن الاحتكاك بين الامتين مسبب غالبا من سوء التفاهم المتبادل وهذا لا يمكن علاجه إلا بتبادل الأفكار بحرية وشرف . ولتبادل هذه الأفكار يلزم أن تعم الحرية — نحن في بريطانيا العظمي قد آمنا زمنا طويلا بان الدساتير البرلمانية أحسن الطرق لتربية الرأى العام واظهار رأى الامة . وإنى لموقن أن هذه البلاد موطن الحضارة ومهد المدنية القديمة ، ستدخل ، بفضل دستورها البرلمانى الذى اقيم تحت رعاية ملك واسع المدارك ، في عصر تقدم أخلاقي ومادى خليق بمجدها السالف وتاريخها الغابر .

أختم كلامي بان أطلب منكم مرة ثانية أن تشربوا نخب صاحبي الجلالة الملك فؤاد الاول والملك جورج الخامس » فشرب المدعوين نخب الملكين ثم عزفت الموسيقى النشيد الوطنى المصرى . ثم طلب فخامة المندوب السامي أن يشربوا نخبا ثانيا فقال : اصحاب السعادة سيداتى وسادتي . . إنى اطلب منكم أن تشربوا معي نخب صاحب السعادة عزيز باشا عزت وجميع من يرافقونه من الرجال الافاضل الى لندن واسمحوا لى أن أؤكد لهم ثانية أنهم يحملون أصدق أمانينا لنجاح مهمتهم وفلاحها . . ثم سأل عزت باشا المدعوين أن يشربوا نخب فخامة المندوب السامي واللادى اللنبى ثم نخب رئيس الوزارة يحيي باشا ابراهيم . . فشرب المدعوون النخبين بين التصفيق والهتاف الحاد .

وليمة أولمتها جمعية الشرق الادنى

والشرق الأوسط

أهم الولائم المصرية الانجليزية التى أولمت في لندن هى التي كانت في يوم ٢ مايو سنة ١٩٢٤ فى فندق سافوى وهى الوليمة التي أولمتها جمعية الشرق الادنى والشرق الأوسط احتفاءاً بصاحب السعادة عزيز باشا عزت وزير مصر المفوض لدى بريطانيا العظمى . وقد رأس الحفلة الماجور جنرال اللورد ادورد جليشن وكان بين الحاضرين : المستر ارثر بنسنبي عضو البرلمان (وكيل وزارة الخارجية) والدواجر ليدى بويل (وقد استقبلت المضيفين) وصاحب السمو اغاخان ووزراء بولندا ، تشيكوسلوفاكيا ، بلغاريا ، المجر وفارس وسيام والسكرتير الاول للسفارات الألمانية ، والرومانية والافغانية وثابت بك وحرمه وجميع موظفي السفارة المصرية واللورد لمنجتون ، اللورد هيدلى ، اللورد كليفورد أ.ت. شدلى والجنرال سر جورج ملن واللادى ملن ، السر توماس ارتلو والسر ادورد بويل والليدى بويل والهونورابل سر ريجنلد كوفنترى والليدى كوفنتري والليدى دونز ، والليدى هلن بركلهست والسر جون فستر فربزر والسر كرشنا غبطا ، السر على امام وحرمه وجارير جنرال سر جورج مكولى والسر إيان ملكولم والسر ملكلم مكلريت والسر رجينلد ماك ليود ، والسر جورج سذرلند والليدي سذرلند والسر

منتاجيوشارب واللادى وايت تومسن والكونت والكونتيسه شيكو والكونت جركسوني والدكتورألان جاردنر وزوجته والمستر ر.ه فرا وزوجته والمستر يوسف على والبريجادير جنرال ا . بورت والمستر فرنك وعقيلته و ه . كوك والمستر ج . بيتي بونال والمستر ليوويتال (صاحب صحيفة « العالم الافريقى ») والكابتن ا . ن . بنت وعقيلته والمستر ليلاند بوكستن وزوجته والماجورج . س . ليدل والدكتور ارنست . ه . جريفن والدكتور ليون وزوجته والمستر مونتاجوبل (صاحب صحيفة « الشرق الأدني ») والمستر ج . م ن . جفريز والمستر تشارلستن ه . وودس والمستر بوفانوفتش وزوجته . طلب رئيس الحفلة (اللوردجايش) من الحاضرين أن يشربوا نخب « الملك » و « فؤاد ملك مصر » فلبى الحاضرون طلبه .

قال الرئيس بعدئذ : « قبل أن نبدأ بعمل هذا المساء أحب أن أقرأ عليكم خطابا أو خطابين مما أرسله السيدات أو الرجال الذين لم يستطيعوا الحضور ، الخطاب الأول من رئيس الوزارة الانجليزية وهو يقول : « ولو أن أشغالى وأعمالى تعوقنى عن الحضور إلى العشاء إلا أننى مسرور من هذه الفرصة التى تتيح لنا الاعتراف بما يبذله عزيز باشا عزت من الجهود في سبيل توطيد الصداقة الحقة بين مصر وبريطانيا العظمي منذ مجيئه الى لندن . . وقد اعتذر كل من اللورد ملنر ، واللورد اسلنجتن وكذلك اللورد هنرى كافندس بنتك (وكيل جمعية الشرق الادنى والشرق الاوسط) وقد عاقته الظروف

في آخر لحظة عن الحضور ، السر جراهام يوور وقد كتب يتأسف لأن صحته لم تمكنه من الحضور وقال فى خطابه « إنى أتمنى للوزير المصرى النجاح فى عمله وإنى آمل أنه سيستطيع أن يوجد ثانية أصدق العلاقات مع حكومتنا . إن مصالح مصر وانجلترا واحدة . كلاهما يبغيان تموسكان وادى النيل ورفاهيتهم ومعونة احداهما لازمة لنجاح الأخرى.» وكتب السر ريجنلد ونجت : «هل تتفضل وتقول لهم انى آسف كثيراً لأن وعداً سابقا يعوقني عن التشرف بالحضور للاشتراك فى الترحيب بأصحاب السعادة . » وكتب المستر ج . ل . جرفن صاحب صحيفة « الابزرفر » : « كنت أود كثيرا أن أستطيع الحضور وإنى آمل أن ينجح اجتماعكم نجاحا باهرا . » وكتب السر داورد استكطن : « أحب أن أظهر لكم أنى أجل الأغراض التى من أجلها عقد هذا الاجتماع » . ووردت خطابات أخرى يعتذر فيها كاتبوها عن الحضور . . منها خطاب لورد لونج وفيه يقول : « الرجا إخبار كل من اللورد ادورد جايشن وصاحب السعادة الوزير المصرى شديد أسفى لكونى مشغول هذا المساء لارتباطي بوعد سابق » . سر مردوخ ماك دونلد : — « آسف كل الأسف لأنى لا أستطيع الحضور وقد كنت أود أن استطيع الاشتراك في هذا الاجتماع ، هل تتفضل بتبليغ شديد أسفى ؟ ! ! الماجور جبرال لى ستاك حاكم السودان العام : « إني أوافق كل الموافقة على الغرض من هـذا العشاء ولو

أمكنني الحضور لفعلت ذلك بكل سرور ولكنني آسف كثيرا لعجزي عن ذلك وذلك لكوني خارج انجلترا » . الشريف سيد أمير على : « أرجو من رئيس الحفلة أن يعبر عن أسفنا لكل ضيوفنا المحترمين ولجميع الحاضرين لعدم استطاعتنا الحضور » .

الخطب

خطبة اللورد جلادستون

طلب الرئيس أن يشربوا نخب ذلك المساء . فقال انى اطلب منكم والسرور يملأ فؤادى أن تشربوا نخب ضيفنا الكريم عزيز باشا عزت اول وزير مصري مفوض لدى بريطانيا ليمثل بلاده (تصفيق) لقد مرت خمسون سنة على ذلك الزمن الذى اضطرت فيه الدول الاوروبية الى التدخل فى شئون مصر المالية نظرا الى اسراف اسماعيل باشا ولا لزوم لرجوعنا الى تاريخ تلك الأيام المضطربة ولكن منذ ذلك الحين الذى دبرت فيه انجلترا الأمور المصرية قد جعلت نصب اعينها غرضاً اعلنته مراراً وهو انها تريد تحويل الأمور في مصر الى حال يمكن فيها مصر أن تقف بنفسها وتصبح أمة تحكم نفسها بنفسها . وقد بلغ هذا الغرض ويرجع الفضل كله في بلوغه الى عبقرية اللورد كرومر . وأظن انكم ستسامحونني اذا تكلمت قليلا على طبيعة ذلك الرجل العظيم . لقد عرفته جيداً ، اذ أنى كنت

أرجع اليه ليساعدنى فى المصاعب حين عينت وكيلا للحكومة السودانية في القاهرة ومديراً لادارة الاستعلامات العسكرية في الجيش المصرى سنة ١٩٠١ الى سنه ١٩٠٣ ولقد كان صخرة من القوة وسأبقى دائما ذاكرا ماوضعه بحكمته وشفقته وسلامة ذوقه العجيب من الاسس لتدبير شئون السودان الانجـليزى المصرى وترقية حاله وقد كمل اللورد كتشنر عمله وفي مدة الثلاث السنوات التى بقى فيها فى وظيفته عمل بجد على ترقية احوال المصريين وذلك بمساعدته الملاحين على التخلص من ديونهم وبوضع أساس برنامج مصرى فعال . ثم جاءت الحرب الكبرى وفي تلك الازمان المضطربة التي لعبت فيها مصر دورا مجيداً عمل السر هنرى ماك ماهون مدة قصيرة ثم بعده السر ريجنلد ونجت على التخلص من تلك المصاعب والمتاعب وأسديا مساعدة مفيدة للنجاة من تلك المآزق الحرجة . وبعد انتهاء الحرب حصلت اضطرابات خطيرة فارسل اللورد ملنر وهو أحد اصدقاء مصر البعيدي النظر بمهمة نقل الاخبار عن الاحوال في ذلك الوقت . ومع أن آراءه لم تقبلها الحكومة الانجليزية ، في أول الامر إلا أن العناصر الأساسية فيها قبلت تدريجا وذلك بمساعدة اللورد اللنبى ونحن نرى الآن نتائج الاحتلال البريطانى الطويل الممطوط . لقد أصبح لمصر الآن وزيرا مصريا محبوبا من معظم مواطنيه . وإنا لنأمل بصدق واخلاص ان تبرهن مصر الآن على انها قادرة على العمل الصعب الذي أخذته على عاتقها وأنها ستصبح عضوا سعيدا في جمعية الأمم . هذا هو أمل جمعية

الشرق الأدنى والشرق الأوسط أيضا وهى لذلك قد دعت عزيز باشا عزت لتكريمه كممثل سياسي لمصر . ويمكننى أن أقول أنه يعرف انجلترا جيداً وقد بقي بالجامعة الحربية بوولوتشن سنتين اصبح بعدهما ضابطا في المدفعية الانجليزية ثم رجع الى مصر وانتظم فى سلك رجال المدفعية المصرية . واسفنا الوحيد هذه الليلة هو عدم امكان حضور صاحبة العصمة زوجته لمرضها وإنا لنتمنى لها جميعاً الشفاء العاجل .

خطبة المستر بنسبي : خطب المستر أرثر بنسبى م . ن . عضو مجلس النواب ووكيل وزارة الخارجية البريطانية البرلمانى قائلا :

لقد نلت شرفاً عظيما بدعوتكم إياى للاشتراك فى هذه الحفلة ولكنى أظن أنه كان فى الامكان انتخاب من هو خير منى لالقاء خطبة تناسب وجهة نظر الحاضرين . ربما كان أسوأ الناس حظا وأحوجهم إلى الشفقة هم وكلاء الوزارات البرلمانيين وأشد هؤلاء احتياجاً الى العطف والرحمة هو وكيل وزارة الخارجية البرلمانى . إذا كان فى استطاعتكم أن تتصوروا رجلا ، فى رجليه قيود وفى يديه أغلال وفى فمه شكيمة ، يحاول وهو موثق بالحديد أن يرقص ويغنى ، تكوّنت لديكم فكرة عن وكيل وزارة الخارجية وهو يحاول أن يخطب . (ضحك) . ولكنى أود بالنيابة عن حكومة جلالة الملك أن أقدم تهنئاتى القلبية لعزيز باشا عزت على تعيينه أول وزير مفوض لمصر لدى بلاط سنت جيمس . إن انجلترا لتراقب باهتمام وعطف فاتحة عهد حكومة برلمانية فى مصر وتدل جميع الأنباء على أن الصعوبات

التى لا بد من اعتراضها المنشآت البرلمانية فى أول نشأتها تذلل فى مصر بنجاح سارّ . فى تاريخ مصر — العجيب العريق فى القدم إلى أبعد مما وصلت أية دولة أخرى فى العالم — نرى أن الأمة المصرية كانت ذات مركز عظيم فى مقدمة الأمم فى تلك الأجيال أجيال العبودية والحكم الاستبدادى الفردى ، كانت ذات مركز عظيم فى تقدم المدنية وإنا لواثقون من أنها فى هذا العهد ، عهد الديمقراطية التى وإن كانت تسير متباطئة فانها لا شك سائرة ، ستظهر مصر ، بعد أن نالت حريتها واستقلالها ، ما خفى فيها من مواهب حيناً من الزمن ، وما لا يزال كامناً لم ينعدم أبداً . يا صاحب السعادة إن بلادكم يا سيدى عجيبة من عجائب الدنيا . قد تكون ظروفها غريبة شاذة ولكن فيها من العظمة الكامنة شيئاً كثيراً . وربما يسمح لى أن أقول رأيى الشخصى — إذا كان يسمح لوكيل وزارة أن يبدى رأيه الشخصى — (ضحك) . وهو أنى لا يهمنى ما يحتمل أن يكون كامناً فى بلاد من الغنى وأسباب السعادة المادية مثل ما يهمنى تطورها فى سبيل الانسانية . إنى أفكر فى سكان الأرض قبل أن أفكر فى تربتها التى يعيشون فوقها . أنى أقدر العنصر الانساني أكثر مما أقدر العنصر المادى . لا شك أن العنصرين ممتزجان امتزاجاً لا انفصام له فالبلاد برجالها والشعب ببلاده ولكنى أريد أن أقول إن الخطأ فى السياسة في الماضى كان راجعاً الى كثرة ما كان يعلق من الأهمية على العنصر المادى دون العنصر الانسانى وإنى لأرى أن السياسة فى

المستقبل يجب عليهم أن يعكسوا الآية ويخال لى أننى على الصواب .
وإنا لنتمنى أن تزال قريباً آخر العراقيل التى تعترض سبيل التفاهم التام بين بريطانيا العظمى ومصر . بيد أنه من العبث إنكار وجود مسائل غاية في التعقيد ولكن مجال الليلة لا يسمح بالتوسع فيها على أننى يجوز لى أن أسدى النصح إلى هواة السياسة الذى يتنكرون في أزياء الصحافيين (ضحك) والذين يسهل عليهم أن يقولوا ليست هناك صعوبات حيث توجد في الواقع صعوبات ظاهرة كما يسهل أن يجدوا صعوبات حيث لاتوجد صعوبات البتة ، أنصح هؤلاء فأقول لهم ولكل من شعبى الدولتين « لاتدخلوا فى هذه الشؤون ودعوا الرؤساء يحملون على عاتقهم عبء الاتفاق » . والرؤساء في مسألتنا هذه فردان المستر رمزي مكدونلد وزغلول باشا كلاهما رئيس وزارة وكلاهما صديق للآخر وقد لاقي كلاهما فى بلاده معارضة وطرداً وكلاهما حائز لثقة بلاده واعجابها واحترامها ، إلى حد كبير فلنخل لهما السبيل ولنثق بهما ولندعهم يقومان بواجبهما دون عائق أو تدخل أو ايعاز أو تطفل من جانبنا . أن سياسة حكومة جلالة ملك بريطانيا في حل هذه المسألة وغيرها من المسائل الموقوفة هو فض المشكلات بروح التسامح والمودة مع استعمال الصراحة في اعلان المباديء والسياسة التى سيجري عليها فض المنازعات وعدم الدخول فى المناقشات الصغيرة التى لاضرورة لها ، على ان تكون الثقة المتبادلة رائد المفاوضة . انى أعتقد أن كل سكان العالم يريدون

سلاما وأول واجب على كل حكومة أن تقوم به هو أن تعمل على ايجاد هذا السلام المنشود . أخشى أن يكون هذا العشاء الفاخر قل حل عقدة من لساني فخير لى أن أسكت لئلا أقول أكثر مما يجب .

وفي الختام أقدم ثانية لضيفنا هذه الليلة أجمل عبارات الترحاب والاحترام العظيم والاجلال . (هتاف)

خطبة حضرة صاحب السعادة عزيز عزت باشا

أصحاب السعادة ، أيها اللوردات ، سيداتى ، سادتى :

أقوم والشعور العميق بجميل حفاوتكم يتملكنى من كل جانب أقوم لأشكركم خالص الشكر على ما اظهرتموه من العواطف القلبية بشربكم نخب جلالة مليكى فؤاد الأول وماشرفتمونى به بدعوتكم لى الى الحضور هنا هذه الليلة . وبكل اخلاص اشكر أيضا الرئيس النبيل اللورد ادورد جليشن (Lord E. Gleichen) رئيس الحفلة وصاحب المقام المحترم المستر أرثر بنسنبي (M. A. Bonsonby) للكلمات العذبة التى نفحانا بها ، كما أشكر حضرات اعضاء جمعية الشرق الأدني والشرق الاوسط لما يبذلونه من الجهد الذى لا يعتوره كلل ولا ملل في سبيل العمل على تقريب مسافة الخلف بين بريطانيا العظمى ومصر وتثبيت دعائم حسن التفاهم . وأنى لموقن أن نجاح هذه الجهود سيتوقف غالبا على ما تقابلون به ممثلى الشرق الأدنى والشرق الأوسط من العطف والترحاب والمجاملة . . أني اعتبر هذا الاجتماع شهيداً على الصداقة القائمة الآن بين بريطانيا العظمى ومصر

والتى يحتاج كلا الشعبين اليها ولا شك عندى في أن كل ابناء وطنى يرون هذا الرأى . أننى لم أقنط أبدا من تقاليدكم الشريفة التي تجل الحرية ، تلك الحرية التى ترتكز عليها عظمة انجلترا الحقيقية . لم أقنط مطلقاً حتى ولا في أظلم ساعات التاريخ الحديث بل كنت واثقا دائما بالمستقبل إن علمى أن العدالة من روح بريطانيا هو الذى قوانى وثبتنى في اعتقادي أن الأمة البريطانية لا بد أن تقوم يوما بالوفاء بعهودها لمصر ، من تلقاء نفسها . ويسرنى الآن أن أري أن هذا اليوم قد أتى فتقدمت بريطانيا بنفسها ومدت لنا يدها باخلاص كما يمد الرجل ، الذى يقدر الصداقة يده ليصافح صديقه . وإني لأؤكد لكم اننا سنصافح هذه اليد باخلاص ومودة قلبية لأننا نعرف أن مصر في حاجة شديدة الى صديقة صادقة بين الدول فاذا ماتحققت صداقة بريطانيا لنا أمكن وادى النيل أن يواجه المستقبل بثقة تامة .

إن مصر ، منذ عهد محمد على الكبير رأس الاسرة المالكة في مصر ، كانت ولاتزال شديدة الرغبة في التفاهم مع دول الغرب العظمى وقد كانت تصافح مع خالص الشكر كل يد شريفة كانت تمد لها لتنهض وتصبح دولة من الدول الحديثة .

ولا يغيب عنكم كيف نجح محمد على باشا في تثبيت ملكه واصلاح القطر المصري بما أدخله من طرق الحكم الحديثة فى وادى النيل

وفي عهده الباهر أنشئت فى السودان ادارة عادلة مهذبة واقيمت على النيل الازرق في (صوبه soba) معامل ناجحة وفتحت أبواب

وادى النيل للمدنية الغربية . كل ذلك كان فى سنة ١٨٤٠ .

فى سنة ١٨٤٢ أكد الدكتور رتشارد ليبسيوس تأكيداً شديداً أن رغبة محمد على العظمى وغرضه الكبير « أن يعيد حملاته المرة بعد المرة حتى يصل إلى منابع النيل الأبيض » ومن هذا القول تعرفون مبلغ ماقام به هذا الرجل العظيم الذى أثبت بالعمل ماقاله لورد روزبرى فيما بعد من ان « مصر هي النيل والنيل مصر »

أما تحقيق هذا المشروع العظيم فقد قدر ان يترك حتى يتم على يدي ابن ابنه وهو الخديوى اسماعيل باشا الذى عرف الحقيقة وقدرها قدرها تلك الحقيقة التى عبر عنها المسيو دلسكاسيه السياسي الفرنسى الشهير تعبيراً صادقا عميقا . لم يقل اصدق منه فى تاريخ أمة من الأمم ، بقوله أنه من صميم الأمور التى لها حدودها الطبيعية وطرق نموها والتى يتوقف عليها نمو مصر النمو الوافي التام . فاذا اضطرت دولة أو ارغمت على التخلى عن جزء حيوى من اعضائها فلا بد حتما أن يؤدى ذاك عاجلا أو آجلا الى نتيجة محزنة .

وفى الماضى البعيد ، فى ٦ يناير سنة ١٨٧٦ كتب مراسل جريدة التيمس « أن مصر مثل عجيب في باب التقدم فلقد خطت فى سبعين سنة قدر ما خطت امم أخرى في خمسة قرون » .

وبعد ذلك بسنتين اشار مستر فرنسس كب (Francis Cobb) فى محاضرة القاها فى جمعية الفنون وظهرت في جريدة التيمس فى ٢٠ مارس سنة ١٨٧٨ الى حكم الخديوى اسماعيل باشا بما يأتى : « ان

فعلة سامية ستبقي خالدة في تاريخ حكمه . الا وهي الغاءه بيع الرقيق من الاراضى التى تحت سلطانه . لقد قال هذا الخديوى نفسه قولا حقا حين قال « ان بلادي ليست من افريقية وانما هى جزء من أوربا » ان رغبتنا الأكيدة ومطمحنا ان نبعث مصر بعثا جديدا مجيداً ونبنيها على أساس حديث ونجعلها جديرة بعظمتها القديمة مطمح نظر الجميع كريمة لكل من ينزل ضيفا عليها شاكرة لكل من مد لها يد المساعدة ونهض بها فى سبيل التقدم في سبيل تحقيق الغرض السامى الذى كان الرجل العظيم محمد على باشا واضعه نصب عينيه .

ربما نصادف عراقيل في طريقنا والمحتمل اننا سنصادف ولكن أى دولة من الدول العظمى لاتعترض سبيلها العراقيل في هذه الأيام التى تتطور فيها الدنيا تطورات هائلة ؟... أى دولة تخلو من هذه العراقيل على كثرة من في أوروبا من دهاة السياسة والمداورات السياسية التى تبذلون فيها أقصي الجهود الانسانية ؟...

فاذا ما اعترض مصر مثل ذلك فانها ترجوكم ان تنظروا اليها بعين الرضا والتسامح فكل شيء في أوله صعب وكل أمة تشعر بما عليها من الواجبات وتتوق الى تحمل نصيبها من المسئوليات وأن تكون من عوامل السلام والوئام في العالم الجديرة بالتشجيع والاحترام والاجلال . ان السلامة والرفاهية لايمكن ان يتحققا إلا على أساس المساواة في المعاملة والمعاملة بالشرف وهذا هو المبدأ الذي يجله الشعب الانجلوسكسوني . أليس هذا هو المبدأ الذى نشره كنفوشيوس وبوذا

وموسي وعيسى ومحمد ؟ إن الطبيعة البشرية كانت وما زالت كما هى واحدة في الشرق والغرب على حد سواء .

ان المبدأ البريطانى مبدأ الشرف والعدالة في المعاملة هو خير مايتحلى به الانسان من الاخلاق فى أى ظرف من ظروف الحياة واذا تيسر اتباع هذا المبدأ دائما فيما بين مصر وانجلترا من الصلات ولى كبير الامل في أن هذا هو ماسيكون — فاني على يقين من ان الفائدة التي تترتب على ذلك لن تكون قاصرة على مصر وانجلترا فقط بل اني لأجرأ أن أقول ان تلك الفائدة ستعم العالم بأسره فان التفاهم الودى الدائم بين انجلترا ومصر المستقلة المسالمة قد يكون الرابطة الادبية التى تربط الشرق والغرب برباط المحبة الاخوية الصادقة والوئام . وبمناسبة العدالة التي أشرت اليها أود أن ألفت النظر الى ماقد يترتب من الفوائد العظمى لكل من سيقوم بالمفاوضة من الطرفين لو أن الجرائد والناس يتباعدون عن خلق جو ضار مملوء بالريبة والظنون ولو عن غير قصد بنظرهم إلى المسائل نظرات مصبوغة بألوان شتى . ولما كنت أعلق أهمية عظمى على اجتماعنا الأخوي في هذه الليلة فانى سأشرح لابناء وطنى أغراضكم السامية واني لعلى يقين من أن الشعب المصرى سيقدر لكم موقف العطف الذى تقفه جمعيتكم المبجلة إزاء وطنى . وانى لواثق كل الوثوق من أن أول من يقدر تلطفكم ونبل عواطفكم هو جلالة مليكي المعظم فؤاد الاول . كما أن سعد باشا زغلول رئيس الحكومة سيغتبط أشد الاغتباط ويسر أشد السرور عند ما يلاحظ

ماوصلنا اليه من التقدم في سبيل ايجاد حسن التفاهم بين بلادينا . نرجو الله ان نتمكن فى المستقبل القريب من الاحتفال باليوم السعيد الذى تبرم فيه بين مصر وبريطانيا العظمى معاهدة مشرفة معاهدة ودواخلاص ثابت معاهدة سلام ووئام بين القطر المصري وانجلترا يكون أساسها لمحبه الصادقة والاحترام المتبادل (هتاف)

خطبة السير أين ملكلم: Ilcolam Sir Ian Ma (أحد مديرى شركة قناة السويس): افترح السير أين ملكلم شرب نخب رئيس الجلسة قائلا : اني أدعوكم بكل سرور الى شرب نخب الرئيس لاعتقادي الراسخ بأن زملائي البريطانيين في مجلس شركة قناة السويس يودون أن يكونوا في مقدمة من يحتفون في هذه الوليمة بوزير مصر المفوض . ان علاقاتنا بالحكومة المصرية منذ اعلان استقلال مصر علاقة على غاية مايرام من المودة . اني لااشترك فى هذه الحفلة باعتباري مديراً لشركة قناة السويس فحسب بل باعتباري أيضا فردا من أفواج السائحين الذين يفدون على مصر في كل عام وان المرء ليغتبط بما يلاقيه هناك من الأدب واللطف . ان مصر في هذه الايام بلدة جميلة تبعث السرور في النفوس ونحن معاشر السائحين الانجليز نحب مصر خاصة لما نلاقيه فيها من المجاملة وحسن المعاملة والرقة والأدب الذى يحوطنا من كل ناحية من جلالة الملك ومن رئيس والوزراء ومن أقل الناس مركزا فى الحياة وكل تحياتهم عندى سواء . واني لاعتقد اننا سنلاقى أبدا بالحفاوة مادمنا لم ننته من اللعبة التى نلعبها . هل لى أن أختم كلامي

بكلمة تؤيد ماقاله مستر بنسنبي Bonsonby ؟ سيحصل أمر جلل ، ستحصل مناقشة هامة عظيمة تتناول مستقبل مصر فلا تجعلونا ولا تجعلوا المستضعفين منا يسعون في عرقلة الحوادث العظمى التى على وشك الحدوث بالدخول في مناقشات انتقادية حبا في المناقشات بالخطابة أو على صفحات الجرائد بل اتركوا الامور في أيدي الزعماء الذين يسيرون دفة هذه المفاوضات الدقيقة ودعونا نؤمل ان تنتهى بنجاح . (تصفيق)

خطبة حضرة الفضال يوسف على الرهندى : إننى من الرجال الذين يعجبون بتاريخ مصر وقد زرتها كسائح وكطالب مجد في معرفة الشئون الانسانية وقد قابلت بعض قادة الرأي هناك ويمكننى أن أقرر بكل اخلاص أنه لاتوجد دولة سرت أكثر من الهند بارتقاء مصر وبلوغها الاستقلال التام . نحن فى الهند نفخر بما ناله اخواننا المصريون من حظ على يد المقادير ببدئهم حياتهم القومية في ظروف ملائمة ونحن على يقين من إن تقوية الروابط بين مصر والامبراطورية البريطانية لاتؤدى الى سعادة مصر وثبات مركز مصر فحسب بل ستؤدي ايضا إلى تقدم بريطانيا وامبراطوريتها وتزيدها عظمة على عظمتها . (تصفيق)

عزت باشا بمنشستر فى ٤ يونيه سنة ١٩٢٤

ألقيت أقوال هامة فى وليمة غداء أقيمت في يوم الاربعاء احتفاء بصاحب السعادة عزيز باشا عزت . أقامتها شركة « أقطان المساهمة بمنشستر وحضر الحفلة كبار المشتغلين بالقطن في تلك المدينة وغيرهم

من تجار القطن . وقد ذكر المستر بيل Beel فى خلال خطبته أن عائلته مرتبطه بالقطن المصرى منذ ابتدأت زراعة القطن في مصر . وصرح المستر وليم هوارث W . hwarth ، وهو من شركة جمعية غزالى القطن الناعم ، بأن أعماله تتناول عشر ماتنتجه مصر من القطن . وقد تكلم حضرة صاحب السعادة عزيزعزت باشا في مسألة السودان بحماسة خلابة فقال : سيدى الرئيس ، سادتى : إن أول ما أبغى أن أفوه به كلمة شكر لما أوليتموني من الشرف بدعوتكم لى لزيارة منشستر . انى لواثق من ان مايكنا المحبوب فؤاد الاول سيقدر لكم حق التقدير هذا الشرف الذى منحتموه لممثله في انجلترا . انه ليسرني كثير ان اراني بينكم . انى معجب كل انسان بما حازته مدينتكم الشهيرة من المركز العظيم في عالم التجارة وهوما حزتموه بفضل نظامكم ونشاطكم وجدكم واجتهادكم المتواصل خلال عدة اجيال وبفضل ارائكم ايضا ارائكم التى نشرتها بلدتكم على العالم فى الاقتصاد السياسى والسياسة الاخلاقية . اني لست من أفراد مدينتكم ولكننى مع ذلك لا أتقاعد عن الاشادة فذكر العظماء العديدين الذي انجبتهم هذه المدينة ولا يمكن الفصل بين ذكراهم وذكرى بلدتكم . ومن هذه الاسماء يبرزفى ذهنى باعتبارى مصريا اسم راسخ لما كان عليه صاحبه من الاستقامة السياسية والنبل فى القول والعمل والسموفى العقائد والمدارك. هل انتم في حاجة الى ان تعلموا من هو ؟ هو صاحب المجد النبيل جون بريت J . Bright

لاشك انكم جميعا تذكرون انه فضل الاستقالة ، وضحى بمنصبه العظيم منصب الوزارة ، على ان يضحى بمبادئه ويوافق على ضرب الاسكندرية بالمدافع . لم يرض ان يكون شريكا في هذه الفعلة التى وصمها بأنها ليست من الاخلاق في شيء . لقد كان مثالا للمبدأ الانجليزي القويم القديم القائل « الشرف خير سياسة » لاشك عندى في أنكم تعرفون تاريخ بلادى المحزن . ويكفينى أن أقول لكم ان عدة حكومات متتالية من حكوماتكم وعدة سياسيين من سياسييكم المسئولين قد أعطونا أكثر من خمسة وستين وعدا أو ميثاقا غليظا بالجلاء عن مصر واحترام سلامة أراضيها وان المسألة المصرية تمس شرف انجلترا . فان المستر جلادستون واللورد روزبرى واللوردسالسبرى والسير تشارلس دلك Dilke واللورد جرانفيل Granville وغيرهم من كبار ساستكم المسئولين قد رددوا هذه الوعود ولا حاجة بى الى الافاضة في هذا الموضوع فأني سأتركه لذاكرتكم وضميركم .

مصر ولانكشير : باعتباري مصريا ومن زراع القطن قد أشعر أكثر من غيرى بأنه يحتم على بلادى أن تكون ذات علاقات تجارية طيبة مع بلادكم خصوصا هذه المدينة ولانكشير اللتين أود أن تبقيا خير زبائننا في أسواق العالم ولما كانت أعظم رغباتى القلبية ان تزداد علاقاتنا التجارية تحسناً وأن تزداد رفاهية بلادى وبلادكم بتبادل المعاملة على أساس رابطة من الصداقة الشريفة بين بلادينا فانى سأعطى لنفسى حرية تامة في الافضاء اليكم بصراحة بوجهة نظر المصريين

فيما يختص بالموضوع الذي يشغل بالنا وبالكم في هذه الاوقات . إن الصراحة التامة أساس كل صداقة حقة دائمة والواجب علينا إذاً أن نصارح بعضنا بعضاً وأن نستعد لسماع كل حجة جدية يدلى بها كل من الطرفين ان المصريين يدركون كل الادراك ان أكبر مايقلق بال جمعيتكم وأبناء وطنكم تفكيركم في كيفية ضمان حصولكم على كمية القطن اللازمة لكم من أسواق العالم ضماناً دائماً يريح بالكم لتطمئنوا على أن معامل الغزل بلانكشر لايعوزها القطن يوماً من الايام وكلنا نعلم علم اليقين أهمية هذه المسألة لبلادكم ولكننا نحن المصريين نعلم علم اليقين أيضاً أن كياننا وقوام حياتنا يتوقفان على نجاح الري إذ كيف يتيسر لنا بغير الرى الكافى أن نزرع أقطاننا ومحاصيلنا الاخرى واننا لنعلم كذلك اننا إذا لم نستطع أن نجد لمحاصيلنا أسواقا طيبة فان أسس حياتنا القومية تتزعزع وتصبح فى خطر .

فوائد الرى : كلانا مدفوع الى الآخر بمصالح تجارية واقتصادية معاً، فمصر يجب عليها أن تستمر فى زيادة محصولها من القطن وانجلترا يجب عليها أن تكون على استعداد لشراء ما تنتجه من القطن. ولهذا السبب يجب أن تكون مصر حرة طليقة غير مقيدة فلا يجوز لمن تدخل في شئونها ، بدعوى انقاذها ومساعدتها وتركها لنفسها تتطور التطور الطبيعي في حدودها الجغرافية الطبيعية المشروعة ، أن يضع فى سبيل تطورها العراقيل أو يقيدها بالاغلال بعد أن أعطى المواثيق الغليظة والوعود الصريحة على صدق دعواه . لقد قصدت بقولى ، حدودها

الجغرافية الطبيعية » كل مجرى وادى النيل من منبعه الى مصبه فى في البحر الابيض فان ذلك كما تعلمون عبارة عن وحدة تامة من الوجهة الجغرافية والاقتصادية والحربية ولا حياة لهذه الوحدة الحيوية اذا مزقت شذر مذر وقطعت اشلاءها . هذه الحقيقة لم ينكرها أحد من ساستكم بل إعترفوا بها جميعا . ولا تطمع مصر فى أى شيء خارج هذه الحدود وليس في استطاعتها ان تستغنى عن أى عضو من أعضائها المكونة لوحدتها السياسية والاقتصادية . فى الماضى القريب قبل أن تترك يد محمد على الكبير عميد الأسرة المالكة الحاضرة ، أثرها الخالد في اصلاح نظام الرى على الوجه الواسع الذى تناولها مصر فبدلها من نظام الري الهمجى الطبيعي « ري الحياض » الذي كانت تسير عليه الى نظام الري الصيفي ، كانت مصر في ذلك الحين تأخذ كفايتها من المياه أيام الفيضان للمحاصيل الصيفية التى لم يكن القطن من بينها . ان هذا المحصول الاساسى الآن قد أدخله محمد على باشا بفطنته بعد اصلاح نظام الرى فكان منبعا من المنابع التي تدر الخير على مصر ووصلت بينها وبين لانكشير ولكنه جعل مصر تحت رحمة المهندسين الخبيرين الذين يجب الالتجاء الى مهارتهم لتخزين المياه وتنظيم توزيعها على الوجه الذى كان يتطلبه انتاج القطن من ذلك الوقت الى الآن . ولقد دعا ذلك إلى ايجاد سلسلة من الخزانات والقناطر والسدود أنشىء بعضها فعلا وبعضها في طريق الانشاء . وهذه السلسلة موزعة على

طول النيل على أبعاد متفاوتة وكلها مرتبطة فيما بينها ولذلك يجب أن تشرف عليها سلطة واحدة لادارة حركتها ومراقبة سيرها . ومن الواضح الجلى ان هذه السلطة المديرة يمكن أن تكون أقوى سلطة في البلاد لما سيكون فى أيديها من مصالح حيوية فاذا اساءت التصرف عمدا أو عفوا فى توزيع ماء الحياة الذى تتحكم فيه لنشأت مضار خطيرة للاراضى والمخلوقات التى تحت رحمتها . ولأضرب لكم مثلا مشابه لهذا من فسيولوجيا الانسان . انكم لتعلمون جميعا أهمية العمود الفقرى لكيان الانسان . هذا العمود مقسم الى ثلاثة أقسام القسم العنقي والقسم الظهري والقسم القطنى فلو أنكم تنزعون قسما من هذه الاقسام من أحد الناس أوجزءاً من قسم لأعجزتموه مدى الحياة . ومصر بالمثل يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام : السودان ، النوبة ، الوجه البحري ، فاذا تدخلتم بالقوة فى جزء من هذه الاجزاء اصبحنا عاجزين ، أما اذا انتزعتم أو بترتم جزءاً حيويا كالسودان فقدنا الحياة . لرجال الدول السياسية ان يحددوا الحدود ويلونوا الخرائط ويلعبوا بالالفاظ كما تصور لهم اهواؤهم وخيالهم ولكن الطبيعة ليست طوع بنانهم ، الطبيعة تعرف كيف تثبت وجودها وتؤيد احكامها . ولقد وصلت الآن إلى نقطة يفضل الا يفكر فيها معظم الناس بل يعتنقون فيها آراء الغير التى لا أساس لها من الصحة ولا عماد لها من الحقيقة بل ترتكز على القوة والضرورة فقط . النقطة المقصودة هى « هل مصالح بريطانيا وممتلكاتها في

الشرق الاقصى يصيبها ضرر بالجلاء عن مصر . وها هو الجواب الذى أتشرف بطرحه عليكم : « إن الجلاء لا يزيد انجلترا قوة ويضيف الى مصالحها المادية فحسب بل انه ليكسبها فخارا ويزيدها شرفا لأنه ينطق بانها قد حافظت على كلمتها وانها قد قامت بما يوجبه عليها مواثيقها الغليظة فتعيد بذلك الى الوجود الاخلاق السامية فى المعاملات الدولية فى وقت العالم فيه فى حاجة شديدة الى مثل هذا المثل النبيل انى متمسك بان الجلاء عن مصر لا يمكن أن يضر مصالح بريطانيا بتاتا ولا أنه يؤدي إلى تهديد الممتلكات البريطانية في الشرق الاقصى من أى ناحية من النواحي . تأكدوا وثقوا أنكم مادمتم أسياد البحار فلن يهدد مواصلاتكم أى خطر فى الوجود ، اما اذا قضى سوء الحظ بفقدكم سيادة البحار فلن تستطيعوا أن تحتفظوا بمصر لا بل ولا بمعظم ممتلكاتكم الاجنبية وهذه الجزر التى أنتم فيها تصبح في خطر . ليس لى أن اذكركم بما سطرتم من مفاخر فى تاريخ البحار ولكنني أرمى الى اثبات أن حقائق الماضى تنطبق على الحاضر والمستقبل . والتاريخ يؤيد ذلك مرة بعد مرة وليس أسهل من أن أحيلكم إلى عهد اليصابات Eiyesebt وهزيمة الاسطول الاسباني على يد امراء البحار قوادكم الشهيرين دريك Drake ، وهوكنز Hawkins فروبشر Frobisher ، كما احيلكم الى الحروب النابليونية وما آلت اليه حال سيطرة نابليون فى القارة الاوروبية وكيف فشلت حملاته فى الشرق في سنة ١٧٩٨ — ٩ فشلا تاما بفضل الانتصارات العظيمة

التى انتصرها نلسن Nelson الخالد الذكر فى معركتى ابي قير والطرف الأغر . ولا أذكر لكم مثلا اخيرا ختاميا الحرب العظمى التى اكتسبت بفضل سيادتكم على البحار ايضا . فمن المضحك اذاً، وأمامنا هذه الحقائق الساطعة الناطقة التى لاشك فيها ، اقلاق بال هذه المملكة العظيمة ، دولة البحار ، بشأن مجرد حفرة صغيرة ان هذا الا نزول من شاهق المجد الى هوة السخرية .

رغبة مصر : أرجوكم رجاء صديق لصديق أن تعطوا المسألة شيئاً من عنايتكم واهتمامكم فانها مسألة حياة أو موت بالنسبة الينا . إن مصر تريد أن تكون من أحسن من يمدكم بالقطن وأصدق صديقة لكم على أساس من المعاملة عادل شريف يضمن لكم مصالحكم التجارية والاقتصادية . إن مصر لا تريد توسعاً فى الممتلكات كما أنها لا يمكنها أن تتخلى عن حقوقها الطبيعية الحيوية المشروعة تلك الحقوق التى أقسمتم بشرف بريطانيا على احترامها . . . هذه الصراحة التي أكلمكم بها لم يدفعنى اليها إلا شعوري بأنني أخاطب مجتمعاً ممتازاً يضم رجالا من لانكشير صادقين في القول شرفاء في المعاملة يرتبطون بما يفوهون به وينظرون الى الامور بعقل واسع يفكر في العيش ويسمح للغير بأن يعيشوا أيضاً ، يطلب التوسع في التجارة والاعمال ويسعى في كسب الثقة والصداقة بالطرق الاقتصادية والقانونية المتبعة بين الدول المتحابة بمقتضى المعاهدات الدولية على أساس الصداقة وتبادل المنفعة . وإنى لأرغب رغبة صادقة في أنكم تحيطون بالمسألة المصرية

من وجهة نظر المصريين لانى على يقين من أن عقلكم الراجح سيتلقاها بالقبول وما تراه لانكشير اليوم يجرى على ألسنة الناس في انجلترا غداً . (هتاف عال مستمر)

القطن اللازم لانجلترا : : خطب المستر بيل Beel وكيل جمعية غزالى القطن الناعم قائلا : — أقف لاقترح عليكم شرب نخب «صاحب السعادة» وكلى خجل لانى أشعر بأن هذا شرف عظيم ولست واثقاً من أن في استطاعتى أن أفيه حقه . يظهر أنه من المناسب أن يدعو الى شرب نخب سعادته رئيس من رؤساء أكبر محلات تجار القطن المصرى . لقد اتصلت أنا نفسي بأعمال القطن المصرى منذ نشأتى التجارية — منذ نحو ثلاثين عاما — وقد كان أبى وقبله جدى ممن يتعاطون هـذه الحرفة نفسها . فاتصالنا بالقطن المصرى وتجارته اتصال عائلى قديم . فى مجتمع كهذا يضم أناساً عديدين من ذوى الاتصال المباشر وغير المباشر بحرفة غزل القطن المصري لا أظن من الضرورى أن أؤكد أهمية احتياجنا إلى مدد كبير مستمر بانتظام ، القطن المصرى الطويل الشعرة اللازم جداً لصناعة المنسوجات الناعمة . ان لانكشير كما تعلمون ذات صيت عظيم في صناعة المنسوجات القطنية الناعمة وباعتبارى من أبناء لانكشير أشعر أننا نريد المحافظة على مركزنا الممتاز (أعد . أعد) ومن أجل هذا نحتاج إلى القطن المناسب لنا وقد كانت مصر منذ أمد بعيد مصدراً من مصادر هذا القطن ولنا الامل فى إن زراع القطن في مصر

يقدرون أهمية لزوم المحافظة على نقاوة القطن وجودته حتى يتسنى لنا أن نعتمد عليهم في الحصول على القطن اللازم لنا للمحافظة على مركزنا الذى لا يمكن أن نحافظ عليه إلا إذا أمددنا بكميات عظيمة من هذا القطن . إن المصريين يميلون بعض الميل في هذه الايام الى التوسع في زرع أقطان من الدرجة الثانية وهذا الميل آخذ فى الازدياد وبذلك سيضحي قطن الدرجة الاولى الذي يهمنا أمره كثيراً . إن قطن الدرجة الثانية ينفع من عدة وجوه وليس من الاقطان الرديئة ولكنه قطن في الامكان زراعته في جهات أخري فاذا هبط سعره فى المستقبل كما هبطت مقادير ماينتج من القطن العالى . ان تقديرات شركة المحاصيل المصرية غالباً ما تكون بعيدة جداً عن الصواب . هذه ليست من غلطات المصريين فقط لأن في الشركة عدة أعضاء من الانجليز فاللوم يقع على المصريين والانجليز معاً ويستمر المصريون في الانتاج وفي اخراج تقدير خاطىء بعيد عن الحقيقة بمقدار ٢٠٪ تقريباً على أن فى وسعهم أن يخرجوا تقديراً أقرب الى الصواب . إن عدد المغازل التي تغزل القطن المصرى في انجلترا قدرت حتى ٢١ يونيه سنة ١٩٢٤ بأكثر من عشرين مليوناً وكل ما يوجد في بقية القارة الاوروبية لا يبلغ ستة ملايين مغزل . إن الارقام وحدها قد تضل فانها فى هذه الحالة قد توهم أن انجلترا تحتاج من القطن الى ثلاثة أمثال ما تحتاجه بقية دول أوروبا على أن الواقع إن ما وصل الى انجلترا من القطن حتى آخر مايو قد بلغ حوالى ٤٠٠٠ بالة وما وصل

الى بقية دول أوروبا ٣٢٠٠٠٠ بالة وتفسير ذلك أن انجلترا لا تغزل إلا الاقطان الناعمة . . . في هذا الموسم قد تحتاج انجلترا الى نصف محصول القطن المصرى على الاقل (اسمعوا اسمعوا) ومن دواعي فخرنا نحن أهالى منشستر أن نصف القطن المصرى الوارد لانجلترا يشحن رأساً الى ميناء منشستر . انى أعتقد ياحضرات السادة أننا إنما جئنا اليوم هنا لنعبر عن عطفنا وتمنياتنا القلبية لسعادة الباشا والدولة التى يمثلها (اسمعوا اسمعوا) كما أن وجود سعادته بيننا كان بدافع الرغبة في إظهار عطفه علينا وإنى لآمل أن يزداد عطفه علينا بعد افتراقنا ، أضعاف ماكان عليه حين تلاقينا (تصفيق) .

فى منشستر فى ٤ يونيه سنة ١٩٢٤

لقد ألقيت خطب هامة أخرى في وليمة أقامتها شركة قناة منشستر المساهمة احتفاء بحضرة صاحب السعادة عزيز باشا عزت . وحضر الوليمة عدة من علية القوم وكبار الأهالى وكبار العلماء والتجار المنتسبين الى الجمعية العلمية أو التجارية ومن بينهم الدكتور لى رئيس غرفة منشستر التجارية ومحافظ المدينة وعمدة سلفورد والكبتن بيكن رئيس شركة قناة منشستر والسير وليم كلير ليز الرئيس السابق لغرفة منشستر التجارية

(**خطبة رئيس شركة قناة منشستر**) . قال الكبتن بيكون Bacon رئيس شركة قناة منشستر أنه يتشرف باقتراح شرب نخب

رفاهية المملكة المصرية ووزيرها المفوض ثم أعقب ذلك بقوله اذا كان سعادة الوزير لم يولد فى انجلترا فانه قد تلقى العلم فى كمبردج ، وولوتش Woolwich (اسمعوا اسمعوا) منذ مدة وجيزة حدث فى تاريخ مصر حادث جديد غير من معالمها اذ أصبحت ذات برلمان ينتخبه الشعب . لقد تصادف وجودى في القاهرة صبيحة افتتاح البرلمان أول مرة ورأيت البشر على وجوه كل الناس . لقدكان علىّ أن أغادر القاهرة قبل اجتماع البرلمان ولكنى شاهدت الزينةورأيت سلوك الشعب الجزل وتصرفاته الجنونية التى نشأت من شدة الفرح . اننا نتمنى لهم كل نجاح وفلاح وأن يسيروا بالبلاد في طريق التقدم على النحو الذي كانت تسير فيه وهى تعمل بارشادات الامبراطورية البريطانية . أنا لا أعلم ان كنا نتمنى لهم أن يكونوا جزءا من الامبراطورية ولكني أظن أنهم يمتنعون بهذه الحال التى تكفيهم شر المقلقات في المستقبل وتجعل لهم نصيبا في مسرات مانتظره للامبراطورية من النجاح. لقد ذكر صاحب السعادةعزيز باشاعزت في مأدبة الغداء اليوم أنه يأمل أن نبقى أصدقاء لمصر وأن نعمل معها وأن مصر ستكون دائما على استعداد للأخذ بيد بريطانيا اذا مادعت الحاجة اليها وأن تقوم على حراسة قناه السويس . ان مصر عريقة فى القدم ولها تاريخ سابق على وجود بريطانيا في العالم وانه لتاريخ غريب يحكى عن ثلاثة أوأربعة آلاف سنة مضت كأنها مضت البارحة وقد طبع فى مخيلتى وكأنى كنت أتصوره وأنا انظر الى

الآثار في مصر ولقد أدهشني الفرق بين مارأيته فى سنة ١٨٧٢ حينما كنت صغيرا تثبت الاشياء في ذاكرتي بسرعة وبين ماشاهدته أخيرا انه لفرق كبير حقا .

خطبة الدكتور ري D . Ree . ثم خطب الدكتور ري بعد ذلك قائلا « يسرني جدا أن أساعد في هذه الحفاوة . اننا أهل منشستر ولانكشير مدينون لمصر بأجود الاقطان وأطولها تيله والواقع أنني لاأعرف ماذا نعمل بدون هذا القطر . لقد استوردنا منه في الثلاث السنوات الماضية مالا يقدر بأقل من ثمانية وسبعين مليونا من الجنيهات ولقد وردنا للمصريين من المنسوجات منذ سنة ٩١٩ مايقدر بنحو أربعة وخمسين مليونا من الجنيهات ومعظم هذه المنسوجات من منشستر من منطقة لاتبعد عن البورصة الملكية بأكثر من خمسة عشر ميلا . انى أعتقد أن التجار ورجال الاعمال يشعرون بأن فى استطاعتهم احيانا أن يوجدوا روح المحبة الاخوية فى الدول الأخرى لدرجة أقوى مما يستطيع رجال الدولة المشتغلون بالسياسة ان التجارة مدهشة في محو الخلاف وفي كشف مكنونات الأمور وكثيرا ماتربط بين الناس ربطا قويا .

ثم خطب حضرة صاحب السعادة **عزيز باشا عزت** قائلا :

سعادة المحافظ ، حضرة الرئيس ، سادتي

اسمحوا لي ان اعبر لكم عما اشعر به من السرور العظيم لوجودي

وسط هذا المجتمع الممتاز وان اشكر الرئيس واللجنة لرقتهم ولطفهم وتكرمهم بدعوتى الى هذه الحفلة وضيافتى هذه الليلة . كذلك أرى من الواجب على ان اشكر الكبتن بيكون واعضاء اللجنة الادارية لشركة قناة منشستر شكرا خالصا من صميم القلب والفؤاد . إن شهرة قادة الافكار الذين ينتسبون الى منشستر لايمكن أن تغيب عن الاذهان واسم وليم كبت Cobbett . ورتشارد كبدن Cobden . وجون بريت Bright مطبوعة على قلوب محبى الحق والعدل وستبقى دائما فى تلك القلوب أبد الدهر

ان أهمية صناعتكم الشهيرة لا تعرف في أية جهة في الوجود أكثر مما تعرف في مصر . ان اسم منشستر ولانكشير معروفان فى كل ناحية في مصر يزرع فيها القطن ان أهم صناعة لنا في مصر زراعة القطن . والقطن كما تعلمون يحتاج الى المرور في آلات يعالج بها قبل ان يصبح نافعا مفيدا لبنى الانسان وانتم هنا فى لانكشير قد ابتدعتم خير الطرق واخترعتم أحسن الآلات لمعالجة القطن . فصناع لانكشير وزراع مصر لايستغنى احدهما عن الآخر وما يمس احدهما يمس الآخر فاذا أوجد أحد ما بينهما هوة سحيقة كان ذلك مما يؤسف له اشد الأسف والظاهر أن فى هذه الايام مسألة تقلق بعض الناس فيما يتعلق بادارة جزء من وادى النيل في المستقبل وضمان طمأنينته وهذا الجزء من الاهمية الحيوية لمصر بمكان عظيم . ولكن من المؤكد أنه ليس من المستحيل على ساسة الشعبين وتجار القطرين ان يتحايلوا

على حل المعضلة بحيث تحفظ مصالح الطرفين على وجه مشرف وتضمن بالطرق القانونية الاقتصادية العادية المتبعة بين الامم التي يسود بينها الاحترام المتبادل ويعطي كل منها لنظيره الضمانات الكافية ولا ينتهز أحدهما فرصة لاستغلال الآخر تعسفا واستبداداً وإني اعتقد اعتقاداً صادقا ان رجال الاعمال والتجارة لا ينصاعون لرجال الحرب والنزال بل يميلون الى العطف والصداقة الاخوية والتفاهم المبنى على الاحترام مثل هذا التفاهم بعيد ، بطبيعة الحال ، الطريق للتجارة ويمهد سبيل التفاهم بين الأمم على قاعدة أخلاقية سامية يوحيها الشعور بوجوب العدالة وتبادل المنفعة وادراك الواجبات والفروض . وللوصول إلى هذا الغرض السامى المنشود يتحتم عليكم معاشر رجال لانكشير ان تفهموا وتدركوا ادراكا تاما المركز الشاذ الذى توجد فيه مسألة وادي النيل . والآن ألفت نظركم إلى تصريحات بعض كبار ساستكم في هذا الصدد : قال اللورد ملنر « نحن فى انجلترا لم نواجه المسألة المصرية أبداً بذمة وشرف واهمالنا فى ذلك هو ، الى حد ما ، سبب من أسباب ماهى عليه الحال الآن » وقال المستشار المالى الانجليزى « ان السودان لازم لمصر أكثر من الاسكندرية »

وقال لورد سالزبرى في سنة ١٨٩٨ « ان وادي النيل ملك مصر وسيبقى دائماً ملكا لها » وقال لورد روزبرى « مصر هى النيل والنيل مصر » وكلا اللوردين النبيلين انما كان يردد ما قاله هيرودوت قبل ذلك بأجيال عديدة حين قال « مصر منحة النيل » وقال هذا المؤرخ

العظيم أيضاً «نزل وحى فى هيكل آمون المقدس يقول ان مصر تشمل كل أرض يجرى فيها ماء النيل أو يرويها والمصريون هم الأمة التى تشرب ماء النيل» .

مسألة السودان : وهذا الوحى القديم وكذلك تصريحات ساسة الجيل الحالي تطابق وقائع اليوم من أن ثلاثة أجزاء وادى النيل انما تكون وحدة لا تتجزأ يجمع شملها روابط اقتصادية وسياسية ولغوية ودينية وتاريخية واتصال أنساب ووشيجة أرحام . وهذه الحقيقة ثابتة لدرجة أن مصر كانت تعتبر السودان دائماً مديرية بذاتها من مديريات المملكة المصرية وليس أدل على صدق هذا القول من أن البرلمان المصرى في سنة ١٨٨١ كان يضم ٢٠ عضواً يمثلون السودان فاذا فصل بالقوة أحد الجزأين من الآخر أصيبت فى الصميم فالدم الحيوى الذى يجرى في عروق مصر يبدأ سيره من السودان فيحيى كل وادى النيل من منبعه الى مصبه في البحر الأبيض المتوسط . من هذا تعلمون ان هذه المسألة مسألة حيوية لنا وفي غاية الأهمية . لقد أنشئت على هذا النهر ولا تزال تنشأ خزانات وقناطر وسدود رجاء الانتفاع بمياهه مصدر الحياة الى أقصى حد والاشراف عليها مخافة ضياعها هدراً وفضلا عن خشية نقص المياه عن الحد اللازم فاننا نخشى مسألة خطيرة غاية الخطورة وهى ان نقص المياه يتبعه تبدل في نوع التربة وغناها ويتبع ذلك نقص في مقدار المحاصيل

أنى أقصد الطمى الذى ينحدر مع المياه من جبال الحبشة ويمر بالنيل الأزرق ، بفقد هذا الطمى الذى يكسب أرض مصر خصبا وغنى تفقد مصر شيئاً كثيراً . ان مصر بلد عديم الأمطار والحياة والزراعة تتوقفان هناك على النيل ومنابعه ، فلم يكن حب الفتوح ولا الرغبة في انشاء امبراطورية أفريقية هما الدافعان لمحمد على باشا الكبير ، جد جلالة مليكنا المحبوب عماد العلم ، الى غزو السودان فى سنة ١٨٢٢ لاسترجاعها بل كان الدافع له الضرورة الطبيعية القصوى ضرورة الحياة فان مصر لا حياة لها بغير السودان . فمن الوجهة الحربية والاقتصادية والطبيعية تكاد تكون الحياة مستحيلة لمصر بدون السودان ونحن في هذه الايام لم تتبدل بنا الحال عما كانت عليه في عهد محمد على باشا . إن من يتسلط على سدود النيل وخزاناته يستطيع أن يعطى إحدى مديرياتها أكثر من نصيبه من الماء وبذلك يغنيها ويفقر غيرها . إن من يدير شئون المياه في مصر يملك زمامها ويدير دفة سياستها ويتحكم في مركزها الحربى ومرافقها الاقتصادية أى أنه يتسلط على القطر برمته ويتحكم في رقاب شعبه . فلا جدال إذن في أن تسليمه قلب مصر النابض ، وموطن دماء حياتها التي تغذى بقية جسمه وأعضائه ، يعرض مصر للضعف والامراض والهلاك . ولمصر الامل العظيم في أن حقوقها الطبيعية البديهية المقدسة لن تكون موضع جدل ومناقشة فيما لها من حق السيادة الفعلية المطلقة على السودان . إن هذه السيادة الفعلية على ممتلكاتها التى ينبع منها النيل مورد مياهها

تعزز مركز مصر وتقويها على التجديد وتجعل مركزها السياسى راسخاً فتصبح عاملا قويا من عوامل السلام في جمعية الأمم . فمصر حينما تصبح موالية موثوق بها ومعطوف عليها من جانب الامم الاوروبية عموما والامة الانجليزية خصوصا ستكون ذات فائدة كبري محققة في سبيل خير الانسانية كلها

طلبات مصر: أريد أن ألفت الى نظركم الى فارق عظيم بين مركزنا ومركزكم . ان مصالحكم في مصر لاتخرج عن كونها اقتصادية أو تجارية ولكن المسألة بالنسبة الينا حيوية جدا ، هي مسألة حياة أو موت . وسترون رأى العين ، سترون جليا مما يلى ان مطالب مصر من الوجهات القانونية والاقتصادية والحربية والانسانية مطالب لايمكن دحضها . لقد سبق أن ذكرت لكم أن مصر قطر تنعدم فيه الامطار وعلينا أن نذكر أيضا عدد سكانها المتزايد وما سيتطلبه من عمل وقوت في الوقت الحاضر وما سيتطلبه من منفذ فى المستقبل ان لكم معاشر الانجليز مستعمرات كثيرة يهاجر اليها من يريد منكم عند تزايد عدد السكان ونحن فى مصر ليس لنا إلا اقليم واحد هو السودان ، وما يشتمل عليه من أراض شاسعة خاوية بكر ، كمنفذ طبيعى مشروع لمن يهاجر منا عند تزايد عدد السكان . أليس من الطبيعي أن يلجأ العدد الزائد من سكان مصر إلى جزء آخر من المملكة عينها ليعيش بين أبناء جنسه الذين يعتنقون عقيدته ويتكلمون لغته ويحترفون حرفته ويعيشون فى جو مثل جو مسقط رأسه ؟ خصوصا

اذا راعينا أن الاراضي التي تحيط وادى النيل ليست إلا صحراء جرداء فاذا رأيتم رأيي وكنتم على استعداد للنظر فى المصالح الحيوية المصرية نظركم في المصالح البريطانية بروح العطف مستمسكين بالمبادىء السامية مبادىء حرية التجارة وتبادل المنفعة تلك المبادىء التى كان لمنشستر الشرف العظيم باذاعتها على العالم قبل غيرها ذلك العالم الميال الى الأنانية والأثرة . أقول اذا رأيتم ذلك اصبحنا قادرين على تسوية مصالح بلادى وبلادكم على الاسس المقبولة أسس الصداقة والشرف والذمة والامانة وان الامم الحديثة سرعان ما تغفل عن كل احساس شريف وكل مبدأ خلقى سام . لقد تعودت ، وا أسفاه ، ان تتناحر وتتقاتل بدل ان تحمل التضحيات المتبادلة اللازمة لايجاد الثقة وحسن التفاهم والمحبة في المعاملات التجارية لقد دلت الحرب الاخيرة ، وما أدت اليه من زعزعة الاحوال التجارية ، على أن كل خلاف يتغلغل حتى النهاية المرة حتي تسيل الدماء وتبعثر الثروة ليس بالسبيل المؤدي الى استغلال الاموال والارواح استغلالا مفيدا . فان القوى الهادمة التى تدعو عداوة الشعوب الى اطلاقها تقضى على المتاجر كما تقضى على الارواح فمن الحكمة وحسن السياسة ان يراعي الانسان وجهة نظر الطرف الآخر وأن يحقق رغبات الغير رغبات الامم الاخرى الضرورية الاساسية فان كل أمة تريد أن تعيش وأن تكون حرة في تطورها على حسب ميولها القومية ولا نجاح في التعامل الا بدراسة مصالح

الطرفين دراسة وافية . ان هـذه الحقيقة الصادقة الاساسية كانت مبدأ من مبادىء اقطاب منشستر الفطاحل . ولا بد أن تذكروا فيما يختص بمصر انكم امام أمة عريقة تالدة معتزة بماضيها تغار على مستقبلها لا تحيد قيد شعرة عما تربط به نفسها من معاهدات أو محالفات مستعدة لايجاد علاقات تجارية واقتصادية طيبة بينها وبينكم فيها كل الضمانات الشريفة التى تتفق مع كرامة الامم المتحابة .

ان الدنيا بأجمعها تعترف بما لبريطانيا العظمى من قوة وسطوة وتعجب بتقاليدها العظيمة ومحبتها التاريخية للعدالة التي أشار اليها رتشارد كبدن بقوله « إن بريطانيا العظمى بفضل قوتها ، قوتها من حيث الموارد والشجاعة والنظم النيابية والمركز الجغرافي ، تستطيع أن تكون قدوة في الاخلاق ، قبل أية أمة أخرى ، وأن تضرب مثل الامة القوية السالكة سبيل العدل والانصاف الملتزمة طريق السلام والوئام » .

ملاحظات ختامية للكبتن بيكون. قال الكبتن بيكون « إن سعادة الوزير قد قام بكل مايمكنكم أن تنتظروا منه . إنه يسعى لوطنه كما نسعى نحن لمنشستر وقناتها نحن نضع الامبراطورية البريطانية فى المقدمة ولا نكون جديرين باسمها اذا كنا لا نضعها فى مقدمة الأمم اننا لنفخر بالقيام بأي عمل يكون من شأنه أن يساعد على تقدم ما أعتقد ان بريطانيا قد اختيرت للقيام به ألا وهو تحرير من يستحق أن يحرر ومن يعمل على تحرير نفسه . كل شيء لا ينال إلا بالعمل عليه

فمن لم يعمل كان أتعس أهل الأرض . ان الانسان ليشعر بالسعادة عندما يكون لديه عمل يعمله كل يوم لانه يشعر باحترام أبناء وطنه له . إنه لينام مرتاح البال .

خطبة فى نادى اللسيوم بلندن ألقيت فى ٢٥ يونيه سنة ١٩٢٤

أقيمت في نادى اللسيوم بلندن حفلة عشاء في ٢٥ يونيه سنة ٩٢٤ احتفاء بحضرة صاحب السعادة عزيز باشا عزت وفي تلك الليلة خطب فقال : يسرني كثيرا أن أكون بينكم الليلة واني لاشكركم من صميم فؤادى على رقيق دعوتكم التى أتت بى هنا . وبينما أنا أعبر لكم عما يخالجنى من واجب الشكر أشعر أن عبئا عظيما قد ألقي على كتفى هذه الليلة ألا وهو عبء القاء خطبة . فأى خطبة ألقي ؟ في أي باب وفى أى موضوع ؟ أى موضوع يجدر بوزير أن يطرقه وسط طاقة من الرياحين ؟ وسط جمع من الحور في حفلة أقمنها داخل قاعة ناديهن ؟ كل انسان يعلم أن السياسة عبارة عن شئون جدية صارمة أكثر ما تكون محزنة وقد تكون قاتلة مورثة للهم والغم ، وان السياسى اليوم قلما يقع فى ميدانه مظهر من مظاهر السرور والحبور . حقا لم تكن تلك حاله في القرن الثامن عشر ولا فى اوائل القرن التاسع عشر حتى جاء مؤتمر فينا . لقد كان السياسيون وقتئذ من رجال الملذات والعربدة الذين لا سبيل إلى إصلاحهم . لقد كانوا يحبون الحياة اللذيذة والعيش الرغد والملاهي والحفلات الراقصة حيث كانوا يبتون في مصير الأمم بين رقصة

وأخرى . ولقد قيل فيهم بحق . « لقد كانوا يقضون أوقاتهم في فرح ومرح وفى حفلات الرقص يعينون ملكا لنابلى أو ملكة لفرنسا وماذا يضيرهم ألم الناس وعويلهم من الاثقال التى يرزحون تحتها ؟ النبيذ أحق بوقتهم وآلات الطرب أولى بهم . » ولكن من سوء الحظ — أو من حسن حظكن — أن قد بدلت رقصة بأخرى أكثر ملاءمة لكن السياسيين المرحين قد ولوا الأدبار وقد أخلوا الميدان لآخرين من ذوى الوجوه العبوسة الذين لا يميل بعضهم إلى الرقص ولا يجد من يميل منهم وقتا له . إن الشعوب تضطرنا إلى الرقص على نغمة أخرى على النغمة التى يهوونها ، فقد أصبحوا أصحاب السيادة ومصدر السلطات . علينا الآن أن نستيقظ في الفجر لنقرأ الرسائل المكدسة على المكاتب كالجبال ، أو كالطوفان المتلاطمة أمواجه تغور المكاتب في طياته والرسائل ترقص رقصا مفككا أمام أعيننا الحائرة وأني لأوكد لكن أن ليس في هذا شيء من اللذة التى يشعر بها الانسان عند سماع موسيقى « الجزباند » وبينما أنتن تلبسن ملابس ليلة ساهرة حافلة بالمسرات يكون السياسى عادة منهك القوى بآلاف الواجبات التى يتطلبها عمل اليوم من امضاء خطابات إلى مقابلة زائرين خصوصا حضرات الافاضل الظرفاء الذين يتنسمون الاخبار . لقد وقع نظرى منذ عدة أيام على فقرة من هذا القبيل أعادت الى ذاكرتى مسألة لها ارتباط بحيوان منزلى محبوب يسميه علماء الحيوان « الأنيس السعيد » Felis Domestica ويسمى عادة فى هذه البلاد القط السعيد (ضحك

AUC - LIBRARY

وهتاف). واذا حكم الانسان بعدد ماهو مدون من الاسماء فى معرض أقيم حديثا للريش والفرو وجد أن غالبية مانال مكافأة من هذه الحيوانات يمتلكه سيدات وعلى ذلك أظن أن هذا الحيوان المهم لابد أن يكون ذا حظوة خاصة عند الجنس اللطيف. ان علماء التاريخ الطبيعي يقولون لنا إن هذا الحيوان موطنه الأصلى مصر ومنها نزح إلى أوروبا وآسيا ومن المؤكد أن قدماء المصريين كانوا يحبونه ويجلونه جداً ويحنطون جثته كما كانوا يحنطون جثث بني آدم . والواقع أن هذه الحيوانات من خيرة حراس المحاصيل والحيوان والانسان ، تفتك بالفيران والحشرات وما شاكلها فتنجي آلاف من الانفس الغالية من الاذى . وللنبي حديث معناه « أحسنوا معاملة القطط فانها تسهر على حياتكم » على أنه لا داعي بى الى ان اقول إن القطط لها من المكانة في مصر اكثر مما لها فى انجلترا بعد ان قرأت النبذة التي اشرت اليها تحت عنوان « وقف سير الحركة في ميدان الطرف الأغر » قال مراسل الجريدة يصف الحادثة « لقد أوقف البوليس في ميدان الطرف الأغر السيارات التى تتدفق من طرق ستة بينما كانت قطة الجرند أوتل تسير مخترقة الطريق باطمئنان وفي فمها قطيطة » لاتوجد في هذه الدنيا مدينة أخري يعمل فيها مثل هذا العمل . تصوروا ماذا حصل : لقد أوقفت مئات من السيارات مدة دقيقة ونصف وما ذلك الا لمرور قطة تعبر الميدان لتسترجع قطيطتها !

الآن أسألكن أن تسمحن لى أن أقول ان مصر الحديثة قد

ساءت أوربا فهمها وكل من رغب فى الاهتمام بالقطر المصرى لم يوجه نظره الا الى حضارتنا القديمة . فالناس يميلون فى هـذه البلاد الى مقابلتنا بتوت عنخ آمون فهم يتلمسون في اعيننا خفايا الهيروغليفية ومن حركاتنا نغمات عهد الفراعنة . وقصارى القول انكم تتصورونا اناسا نشبه الرجل القديم الذى وصفه الشاعر بما معناه « يستر جسمه تيل ناعم ارجواني ، وينبثق من عينيه نور روحانى ، وكل حركة من حركاته تدل على الاناقة ، ليس له مثيل ولاشبيه فى الخليقة » ومن الطبيعى إذن أن تغنطن عند زيارتكن مصر حينما لا تجدن في القاهرة مثل ماتعودتن على رؤيته هنا من المظاهر الوطنية والحركات القومية والرغبات الانسانية . واي قنوط ! لقد بددت الاوهام الحلوة والاحلام اللذيذة ! لقد كنتن تودن أن ترين مصر التالدة الهادئة الجميلة وان تتنعمن برؤية اثارها النفيسة التى تمثل روح مصر الراسخة الثابتة روح مصر منذ ستة آلاف سنة ، فاذا بكن ترين جوا كله نشاط وحركة (نتيجة تعاليم الغرب) وجهود مبذولة فى سبيل خلق حالة جديدة في وادي النيل الذى كان له دور عظيم فى تاريخ العالم . لقد كنتن تودن ان تجدن في مصر هدوءاً وسكينة وراحة من عناء ماسئمتن من الحياة الزاخرة بالاعمال التى تحيط بكن في لندن ومن حركة المدنية التى لايسكت لها صوت . وأنكن لتشعرن بأننا اخطأنا خطأ كبيرا إذ نضحي الهدوء والسلام ونلجأ الى الحركة التى تموج بها شعوب العالم في كل ناحية من نواحى الدنيا . فاسمحن لى أن أقول

لكن اننا قد سئمنا السكوت واننا قد صح منا العزم على العمل وعقدنا النية على نبذ حياة السكينة والاحلام البحتة التى يعزوها التاريخ الينا .

لقد عزم الشعب المصرى على ان يكون له فى الحياة الدولية دور هام وان يكون له نصيب من مسرات الحياة وواجبات الشعوب فهو لن ينحى عن قبول الواجبات والمسئوليات . على انى أقول لمن يأسف على الماضى ، ويفضل للشرق الحياة الراكدة على نشاط العهد الحديث ، لا تأسف ولا تخف ! نحن نعلم ما يجره ذلك من المتاعب رغم مايجلبه من المنافع المادية للمخلوقات . ولكننا نملك بلسما يشفي من المادية الغربية الا وهو تعاليمنا الأخلاقية والروحانية التى توارثناها على ممر الأجيال . لقد ذكرت أن الشعب المصرى يرغب أن يلعب في الحياة الدولية دوراً عملياً وما قصدت بكلمة الشعب المصرى رجال مصر فقط بل كنت أقصد النساء أيضاً . ان السيدات في مصر الآن يشتركن باهتمام في المناقشات الخاصة والعامة ويقمن بكثير من المشروعات العمالية وهن على اتصال بالحركات النسائية فى العالم ، ورغباتهن معروفة وما تقوم هيئاتهن به من أعمال الخير يستحق الثناء والأعجاب . وإلى جهودهن ، التى لا تعرف الكلل ولا الملل ، يرجع الفضل في تحسين حال جمعية رعاية الاطفال المعوذين والأيتام ولقد نجحن في الأيام الأخيرة في ادخال اصلاحات على القوانين الخاصة بالزواج والاطفال والقصر ، وكان لهن حظ وفير فى الحركة الوطنية ودافعن في سبيل الاستقلال دفاع الأبطال . أقول هذه

الحقائق لأبرهن لكن على أن في بلادنا أيضاً حركة نسائية كالحركة التى فى هذه البلاد وتنشد أغراضاً كأغراضكن وتسلك سبلا كسبلكن ولقد يكون من المفيد أن أذكر لكن أسماء بعض عظيمات النساء فى التاريخ الاسلامي . في القرن الثامن عاشت سكينة بنت الحسين وهى سيدة متعلمة ضربت فى الفنون والآداب بسهم وكانت أبوابها مفتوحة للقاصدين من العلماء والشعراء والمتشرعين . وفي هذا القرن نفسه عاشت أم البنين زوجة الخليفة الوليد وهى من دهاة السياسة ومن أهل الرأي المسموع في سياسة الدولة كان زوجها الوليد يستشيرها وكان الوزراء يعملون برأيها . وفي أواخر هذا القرن نفسه اشتركت أميرتان ، من بنات عم المنصور الخليفة العباسي ، فى الحرب البيزنطية ، وفي هذه الحرب نفسها كان من بين قواد الجيوش نساء من فارسات العرب يقاتلن على ظهور الجياد . ومن المسلمات الشهيرات الملكة زبيدة زوجة هارون الرشيد فقد كانت شاعرة عبقرية ، والسيدة هدى التى كانت تدرس في بغداد التاريخ والفنون والآداب ، وأم الخليفة المؤيد التي أبيح لها تدريس الشريعة ، والأميرة قليه Clayyeh التى اشتهرت بالموسيقى والتفنن فيها وكذلك والدة الخليفة المقتدر التى عاشت في أوائل القرن العاشر وكانت ترأس محكمة الاستئناف العليا وتفصل في الظلامات وتقابل الاعيان والسفراء . وفي الاندلس ، خصوصا غرناطه وقرطبة ، كان للنساء من المقام العالى فى المجتمع الانساني مثل ما للرجال . ولا يفوتنى أن أذكر شجرة الدر التى

بلغت بحكمتها السياسية وبعد نظرها ذروة المجد فأصبحت ملكة على مصر ولما أن عزلها السوريون أصبحت ملكة مصر أيضاً بزواجها من ولى الملك بعدها . فالحركة النسائية في مصر لا يتوقف تقدمها وتحقيق أغراضها ومراميها السامية على ما لبني الانسان من حق طبيعى في الحياة والتطور فحسب بل إن لها فى تاريخ جداتنا الباهر وغابر تقاليدهن العظيمة ما تستمد منه وحى القوة والمعونة .

لقد أبحت لنفسي تسريح الفكر فيما يشغل أفهام المصريين وعقول الشرقيين الذين لا شغل لهم ولا هم إلا التفكير فى مصير بلادهم ولكننى أعلم أنكن ستغفران لى ما تقدم من قول الجد وتقنعن بما سأقوله من كلمات خاصة بمصر فاني أريد أن أذكركن أن مصر هى أول أمة حكمت فيها سيدة أي أول سيدة حكمت في التاريخ وأيدت سطوة الانوثة إذا كان معنى سطوة الأنوثة السيادة على الرجال . هذه السيدة هى الملكة حتشبسوت وقد عاشت قبل كليوبترا بخمسة عشر قرنا وكانت من أعظم ملوك العالم فى القرون الغابرة وكان الرجال يتأففون من الرزوح تحت حكمها وكثر ما كانوا يثورون ولكنها تغلبت عليهم بقوة عبقريتها . ولكنها لما ماتت هم الرجال بدافع الغيظ والانتقام ومحوا اسمها من الصفحات والآثار التى تخلد تاريخ مصر . بيد أن المنقبين عن الآثار استكشفوا آثاراً لها فيما بين سنة ١٨٩٤ و١٩٠٨ وأرجعوا شهرتها الخافقة الى عالم الوجود بعد أن قبرها من أخضعتهم من الرجال بدافع ما كان في صدورهم من غل وغيرة .

من هذا ترين أن مصر يمكنها أن تفخر بأنها أخرجت أول ملكة في العالم، وأول امرأة فى التاريخ سيطرت على الرجال قبل ملكتكن ، بوديسيا الجريئة الشهيرة ، بمئات السنين . من هذا يتبين لكن ان مدنية الفراعنة كانت مثلا للعالم في كل شيء حتى فى ميدان الحركات النسائية التى كانت تعتبر عادة بدعة من بدع المدنية الحديثة ، فاسم مصر يكفي للأخذ بألباب من يسمعه من الرجال . أرجو أن لا تسئن فهمى حينما استعمل كلمة « رجال » فى جمع من السيدات ، فانكن لتذكرن أن كل القوانين التى يصدرها برلمانكم وكل المستندات القانونية تطلق كلمة « رجال » فتشمل « النساء » أيضا بناء على رأى رجل القانون الجهبذ بلاكستون Blackstone . ولقد قال توماس هود كاتبكم الفكه الشهير مازحا : « ان المرأة ليغضبها كثيرا ان الرجال لا يضمونها » وقبل أن اختم القول ارجو ان تسمحوا لى ان الفت نظركم الى ان النيل العظيم نهر مصر الشهير قد ألهم احد الافاضل الميالين الى قول الشعر بقصيدة عصماء عنوانها « هوى الارواح » ووضعها فى أكبر كتاب اخرجه للناس : وهـذا الشاعر الفاضل تدل الحروف الابجدية التى بجوار اسمه على أنه من كبار العلماء

(فيما يلى ترجمة القصيـدة نثرا)

أيها النيل ! أيها النيل ! يا أبا الجميع ! يامن تجر الزوارق أميالا بسيرك السريع ، وهى تجرى وكأنما تجرى فى خط واحد رفيع .. أيها النيل ! أيها النيل ! يامرضع الجميع ! يامن تبتسم لنا ابتسام المحب الشفيع .

وتخصب الارض وترويها وتطعمها من عطش وجوع أيها النيل ! أيها النيل ! ياأخا الجميع ! يامن تحفظ لنا السمك والتمساح الشنيع وتحفظ لنا السمك من عدوه اللدود المريع .

ايها النيل ! ايها النيل ! يا صديق الجميع ! انت الصديق الذي لايخدع انت الصديق الوديع . ياليت كل صديق مثلك صادق العهد مخلص للجميع . (قهقهة وهتاف حاد)

يا حضرات السيدات كانى بكن ، وقد سمعتن هذه الجوهرة النادرة من الشعر الحديث ، تتحضرن للرحيل وقد دفعتكن الرغبة إلى ترك هذه الحفلة فوراً لتحزمن حوائجكن للتو والساعة وتشترين تذكرة ذهاب إلى مصر ! وتحقيقاً لرغبتكن أى تسهيلا لدخولكن مصر وتوفيراً لوقتكن من أن يضيع في الجمرك ما أظن وزير مصر المفوض إلا على استعداد تام لاعطائكن تذكرة مرور خاصة لمشاهدة « أبانا النيل » غداً في الصباح المبكر ولكنى أرجوكن ألا تحضرن في الفجر ! ما أظننى أحول بينكن وبين هذه السياحة السارة .

وفي الختام أرى ألا أؤخركن أطول من ذلك إلا لأشكركن على لطفكن ودعوتكن الرقيقة لى ولز وجتى وفي النهاية اقترح شرب نخب هذا النادى الذى أتمنى له من صميم قلبى نجاحاً وتوفيقاً (هتاف)

خطبة فى نادى ١٩٢٠ بجامعة الغال ألقيت فى ١٤ نوفمبر سنة ٩٢٤

سيدى الرئيس ، سادتى : اسمحوا لى أن أشكركم على دعوتكم

المنطوية على عظيم العطف ، وأن أشكركم على ما أظهرتموه من تقدير لى بتهيئتكم هـذه الفرصة السارة فرصة الاجتماع بكم والوقوف فيكم خطيباً هذا المساء . ألا تسمحوا لى أيضاً أن أعبر عن تقديرنا العظيم وشكرنا الجزيل للجامعات البريطانية بل والامة البريطانية عن بكرة أبيها لما يشملون به أولادنا ، الذين يفدون على هذه البلاد فى طلب العلم ، من حسن الرعاية وجميل العطف ؟ إن فى مختلف الكليات والجامعات البريطانية من الطلبة المصريين حوالى ٦٠٠ طالب وهم فى ازدياد مستمر عاماً بعد عام وإن هذا الازدياد لخير شاهد على تقديرنا وإعجابنا وشكرنا للمعاهد البريطانية . إن رجوع هؤلاء الطلبة الى وطنهم متشبعين بالثقافة البريطانية لما يساعد على إنهاضهم لبلادهم ماديا وأدبيا وعلى ذلك ستبقى مصر مدينة لكم دائماً بما أمددتم به أبناءها من عدة الاخلاق والثقافة اللازمة لما سيقومون به من عمل في سبيل نهضة بلادهم . وسيكون هؤلاء الشبان المصريون أنفسهم خير رابطة فى المستقبل لحسن التفاهم والتعاضد بين أكبر امبراطورية فى عصرنا هذا وأعظم شعب عريق فى المدنيـة في الزمن الخالى . ويسرنى أن أقول إن ما يلقاه أبناؤنا المصريون ، الذين يتلقون العلم في بريطانيا العظمى ، من كرم وعطف ، لا يلقونه في ميادين العلم فقط بل إنهم ليلقونه أيضاً في الحياة الاجتماعية . لقد قرأنا في الجرائد المصرية منذ عهد قريب تفصيلا مطولا للطريقة التى عبر بها أهالى كاردف عن حسن تقديرهم لشاب مصرى طالب طب توفى هناك ألا وهو نجيب

افندى مطر فأثر ذلك فينا تأثيراً عميقاً . لقد أثر فينا تأثيراً عميقاً ان مشهد ذلك الطالب الوحيد قد سار فيه آلاف من الناس من بينهم ناظر مدرسة الطب وعلية القوم في تلك البلد ، نعم لقد أثرت فينا تأثيراً عميقاً هذه العواطف النبيلة السامية التى أظهرها أهالى بلاد الغال « حقا إن الطبيعة لتقرّب بين سكان العالم بلمسة من لمساتها » .

وبهذه الروح روح العطف والتفاهم الأخوي أريد أن أقف هذه الليلة خطيبا أحدثكم عن بعض مظاهر المسألة المصرية رجاء ايجاد علاقات دائمة بين بلادى وبلادكم تكون لحمتها المحبة الصادقة ولما أن كنت الآن في مركز ممتاز ، لانى انما أخاطب جمعا من طلاب العلم الممتازين داخل نادى جامعة ، أجدنى مضطراً الى مصارحتكم القول احتراما لروح الجامعة العلمى فلا غموض ولا مداورات سياسية من تلك المداورات المبهمة التي قد أصبحت غير محمودة حتى فى بعض العلاقات السياسية . والواقع أنى أشعر فى هذا الجو أنى بعيد عن الصبغة السياسية حر من قيودها ومسئولياتها الرسمية و إني لأرانى ميالا إلى ذكر مختصر لتاريخ مصر الغابر كيما أقرب اليكم فهم تاريخها الحاضر ، مدفوعا إلى ذلك بدافع الاعجاب بمجد بلادنا ولتقرير حقائق تاريخية . . إن مصر ، كما تعلمون مهد العرفان وقد كانت تربتها صالحة دائما لنمو شجرة العلم وقد أخبرنا المؤرخون أن تلك الشجرة نمت وأينعت فى مصر وامتدت منها الحضارة إلى بابل وكريت وفلسطين وسوريا وبلاد الأغريق وغيرها من الاقطار ويقال

إن الأغريق انما أخذوا العلوم الرياضية عن قدماء المصريين

إن طاليس الملطى (٦٠٤ — ٥٤٧ ق.م) الفيلسوف الاغريقى الشهير الذى يقال إنه تنبأ بكسوف الشمس مرة ، قد جاء مصر وتعلم فيها الطرق التي كان يستعملها المصريون فى ايجاد مساحة الاراضى وأحجام الأوانى على اختلاف اشكالها (مما نصل اليه الآن باستعمال التفاضل) ثم أدخل الطرق الهندسية المصرية فى البلاد الاغريقية . وكذلك زار مصر الفيلسوف فيثاغورس (الذى كان من طلاب العلم المتفقهين فى الرياضيات وعلم الالحان) حيث تلقى مبادىء الشعائر الدينية في المعابد لاتحمسا للدين ولكن رغبة فى الوصول إلى أقصى مايمكن الوصول اليه من شذرات العلم (اذ كان العلم كما تعلمون فى صدور القساوسة ، حتي القرون الوسطى ، يغارون عليه من أن يتسرب إلى غيرهم) . ويقال أن تقدم العلوم الرياضية بجميع فروعها ابتدأ منذ ذلك الحين .

لست عازما على الاشادة بمجد مصر ومفاخرها ولها فى الماضي من يد على العلم والأنسانية ولكن سأقصر القول على ذكر مثلين أو ثلاثة من الخدمات التى أدتها مصر الى العلم . يقال أن الفضل فى ابتكار علم الجبر انما يرجع إلى قدماء المصريين الذين ابتكروه قبل ميلاد المسيح بنحو ١٧٠٠ سنة على الاقل ويقال ان علم هندسة المباني قد بدأ ببناء الاهرام حوالى سنة ٣٠٠٠ ق م وانه حوالى ذلك الوقت ابتكر قدماء المصريين ايضاً الكسور العشرية وطبقوها على

الاعداد والمكاييل والموازين وقسموا السنة الى ٣٦٥ يوما موزعة على ١٢ شهراً في كل شهر ٣٠ يوما منها والايام الخمسة الباقية سموها الايام المنسية وجعلوها اعيادا واجازات وهناك خرافة فيها تسلية عظيمة تقضى بأن هذه الايام الخمسة قد اكتسبها أحد الآلهة من إله آخر في اللعب بالاحراز واضافها الى السنة وكانت قبل ٣٦٠ يوما فقط . وكان قدماء المصريين ايضاً على علم تام بالطب والتشريح وكان لهم قانون شامل حافل بمباديء الآداب والاخلاق . يكفى ماذكرته عن قدماء المصريين . ولا حاجة بي الى ذكر تفاصيل من الايدى في سبيل التقدم والعلم بعد فتح العرب وتحت حكم الاسلام حسبنا أن نذكر ما تقلبت فيه مصر من الشقاء فى تلك المدة الطويلة وما لاقته من غدرات الزمان في حياتها الاجتماعية والسياسية . على أنه من الخطأ أن يقال ، كما يظن بعض الجهال من الناس ، ان مصر في تلك الفترة كانت فريسة تحت حكم دولة سيدة إذ من الحقائق الثابتة أن مصر فى عهد الامويين والعباسيين والمماليك كانت مركز العرفان والمدنية الشرقية اكثر من مرة وكانت مستقلة فلقد كان حكامها عادة يقطعون صلاتهم بالسلاطين اصحاب السيادة الاسمية ويستبدون هم بالحكم مستقلين ، فكانوا ملوكا لمصر وكانوا سلاطين وفتحوا فتوحات وأخضعوا أمما اصبحت لمصر السيادة عليها وكان لمصر أساطيل تجارية وحربية تضارع ما كان للبندقية والبرتغال واسبانيا من اساطيل وكان لمصر قبل انشاء قناة السويس بأمد كبير مركزا

ممتازاً في عالم التجارة فكانت صلة التوزيع بين الشرق والغرب بفضل مركزها الجغرافى العظيم

وفى عهد المدنية العربية فى مصر منذ حوالى ١٠٠٠ سنة انشئت الجامعة الازهرية الشهيرة وقد يسركم أن تعلموا أن هذا المعهد المقدس ، الذي يمتاز بأنه أقدم جامعة قائمة في العالم ، لايزال حتى الآن ينشر تعاليمه القيمة والحق أنه أهم معهد للعلم والعرفان في عالم الشرق وهو الذى حافظ لمصر والشرق كله على تقاليده وتعاليمه . ومنذ أنشائه وهو للمسلمين من طلاب العلم ملجأ القاصدين ومأوى كريما للاجئين ومنبعا للعلم يرده كل قاصد فهو مشاع للجميع لاتفريق بين افراد أمة وأمة ولاتفضيل لابناء مذهب على مذهب . ولاتقتصر أهميته لمصر على محافظته لها وللشرق على مبادىء العلم ونقاوة اللغة وسلامتها بل تمتد الى الهيئة السياسية فى الدولة فلقد كان علماء الأزهر مصدر التشريع في القطر وكانت هيئة كبار العلماء ، قبل وجود البرلمان والهيئات التشريعية ، أكثر من مرة مرجع الأمة في عظائم الأمور والمرشدة المدبرة ولقد أيقظت النهضة الحالية والحركة الانشائية في مصر شعور المصريين بوجودهم وشخصيتهم وكذلك نشطت الجامعة الشهيرة شاعرة بمجدها الأثيل ورفعت لواء الاصلاح ولا يخفى ما لها من الأثر العلمى العظيم في الشعب المصرى وأمم الشرق قاطبة فهى لا تزال أبداً في مخيلة من قصدها وشرب من مناهل العلم بين جدرانها من أهل العالم الاسلامى من هنود وإفغانيين وإيرانيين

وأتراك وصينيين وغيرهم من الطلاب الذين قد يزيد عددهم عن ١٥٠٠٠ نفس ومما تفخر به مصر أنه لا توجد في العالم جامعة أخرى يزيد عدد طلابها عن هذا العدد . ويعتبر الطلاب الأزهر منزلا لهم فكلهم إخوان على اختلاف أوطانهم ولهم من الحقوق ما لاخوانهم المصريين وعليهم من الواجبات مثل ما عليهم بل إنهم ليمتازون عن إخوانهم المصريين بأن الأروقة تسمى بأسماء البلاد التى ينتمون اليها. والحركة القائمة الآن في مصر لاصلاح الأزهر ورفع شأنه واستعادة مجده لا بد أن تفضى يوماً الى إحياء العلوم والآداب الشرقية التى كانت في الماضى موضع فخر الشرقيين وسبب من الاسباب المشرفة لهم.

إن مصر الحديثة هى يد من أيادى الرجل العظيم محمد على باشا جد مايكنا المحبوب الملك فؤاد الاول محب العلم ورافع لوائه وروح النهضة العلمية الحالية في القطر المصرى . فمن خدماته الخالدة لشعبه سهره الدائم على نشر العلوم والمعارف بكل فروعها في نواحى القطر بهمة لاتعرف الكلل وجهد لايعتوره ملل . لما انتخب المصريون محمد علي ليكون أميراً أنعم عليه سلطان تركيا بلقب باشا وجعله واليا في سنة ١٨٠٥ وكان محمد على باشا رجلا قليل الكلام يعمل في سكون. وجه كل جهوده إلى تنظيم وطنه الجديد تنظيما حقيقيا وادخل في جيوشه النظام الاوربى والخطط المتبعة فى اوروباوشجع الزراعة والصناعة وأنشأ مدارس للحربية والطب وهو الذى أوجد مدرسة الخانكة

الشهيرة بالقرب من القاهرة . كل ذلك على أكمل وجه وبأقل مايمكن من النفقات . لقدارتقى في الحياة بمحض ذكائه وقوة شجاعته وهمته ونشاطه . ولما أن تبين له أن السودان روح مصر لانها منبع النيل وان مصر بلد عديمة الامطار لاغنى لها عن النيل ومنابعه اضطر بحكم الضرورة الى فتح السودان وضمها إلى مصر فى سنة ١٨٢٠ فبدأ عمله هذا في تلك السنة وأتمه حفيده أسماعيل باشا فى سنة ١٨٧٦ وفي السنة التى تم فيها ضم منابع النيل وأوغندا وبحر الغزال والجهات الاستوائية وشاطىء البحر الاحمر حتى رأس غردفوى فاصبحت أوغنده تحت الحماية المصرية وتنازل له الباب العالي بناء على طلبه ، عن سواكن وزيلع وملحقاتها ومنح لقب خديوى مصر وملك النوبه ودارفور وكردفان وسنار والفرمانات السلطانية العثمانية تعترف بحقوق مصر على هذه الولايات السودانية كما أن الدول العظمى قد وافقت علي ذلك . لقد ألمعت ، حين وقفت أخطب فيكم الليلة ، الي انى جردت نفسي من صبغة سياسية لاتكلم معكم بروح الصراحة التى اعتبر أنها أهم مظهر للحالة المصرية

ان أهم مسألة تشغل البال فى مصر الآن وتلهى الناس عن كل شىء آخر هي مسألة استقلال مصر والسودان استقلالا حقيقيا صحيحا وعلى ذلك أرى أن الواجب يحتم على اذا تناول هذا الموضوع باسهاب وذلك من مصلحتكم انتم أيضا فكل شرح واضح لابد أن يؤدى إلى

حل المسألة وإنى لأعتقد شخصيا أن الشعب البريطانى لو علم حقيقة قضيتنا لكان حكمه فى جانبنا . وإنكم مهما نظرتم الى المسألة من أى ناحية تريدون لا يمكنكم أن تصلوا إلا الى نتيجة واحدة وهي أن مطالبنا عادلة معقولة . وهل لى أن أقول أيضاً إن من مصلحة بريطانيا العظمى كذلك ومما يعود عليها بالنفع والفائدة أن تعطي مصر استقلالها التام وأن تضم اليها ممتلكاتها السودانية التى تكون معها وحدة لا تتجزأ . لقد احتلت الجيوش البريطانية مصر في سنة ١٨٨٢ كما تعلمون وكانت ممتلكات مصر تمتد في ذلك الحين الى منابع النيل أى الى الحدود التي وصل اليها الخديوى العظيم اسماعيل باشا واحتلها فى سنة ١٨٧٤ — ٧٥ وهي الحدود الطبيعية لمصر . ولا حاجة بى الى أن أقول لكم إن بريطانيا قد صرحت بان احتلالها لمصر احتلال وقتى ينتهى بمجرد استعادة النظام وأن كل وعود الحكومة الانجليزية تنطق بذلك والواقع أن الجيش البريطانى كان على وشك الجلاء عن مصر في سنة ١٨٨٧ بناء على اتفاق بين انجلترا وتركيا كتب مشروعه السير هنري درمند ولف Sir H. Dummand Wolff ويرجع سقوط ذلك المشروع التعس الى غيرة بعض الدول التى أشارت على السلطان بعدم قبول المعاهدة . ولقد غادرت الجيوش المصرية ممتلكاتنا السودانية مؤقتاً . ولا ينكر أحد أن جلاء جيوشنا كان بناء على ضغط من الدولة المحتلة لبلادنا وأن ذلك كان على

عكس ارادة الحكومة المصرية ولقد فضلت وزارة شريف باشا الاستقالة على الموافقة على مغادرة السودان وأرسل رياض باشا ناظر النظار في سنة ١٨٨٤ مذكرة الى السير افلن بيرنج (Sir Evlyn Baring) في ٩ ديسمبر يقول فيها « لاينكر أحد أن النيل روح مصر فالمسألة واضحة ظاهرة . والنيل عبارة عن السودان ولا يشك أحد أن الروابط التى تربط مصر بالسودان هى كالروابط التى تربط الروح بالجسد هي روابط لا يمكن فصمها فاذا تملكت دولة من الدول شواطىء النيل قضى على مصر قضاءا مبرماً . لذلك يصبح معلوماً أن حكومة سمو الخديو لايمكن أبداً أن توافق على هدم كيانها بمحض اختيارها وبدون أن تكون مقهورة بقوة ترغمها على ذلك . وعند ابتداء الحملة في سنة ١٨٩٧ أصدر اللورد كتشنر (وكان وقتئذ سير هربرت كتشنر) بلاغاً أعلن فيه أنه انما يدخل السودان لتخليص الناس مما هم فيه من الظلم والاضطراب وليساعد الموالين المخلصين من الاهالى وليستعيد البلاد لمليكها الشرعي خديوى مصر . وفي سنة ١٨٩٨ نشر لورد روزبرى Rosebery ، في الكتاب الازرق الذى أصدره بشأن فاشوده ، خطابا من بطرس باشا غالى وزير الخارجية وفيه يقول « ان حكومة سمو الخديوى كما تعلمون ياجناب اللورد لم تغفل طرفة عين عن مسألة استرجاع الممتلكات السودانية التى تعتبر منبع الحياة لمصر والتى لم تغادرها الجيوش المصرية إلا بحكم قوة قاهرة فاسترجاع الخرطوم لايكون ذا

فائدة اذا لم يرد الى مصر وادى النيل الذى من أجله ضحت مصر فى الماضى كثيراً من التضحيات . ولقد كلفتنى حكومتى ، لما علمت بالمفاوضات الجارية بين فرنسا وبريطانيا العظمى بشأن فاشودة ، أن أطلب من فخامتكم التوسط لنا عند لورد سالسبورى Salsbury للاعتراف بحقوق مصر الثابتة ولاسترداد جميع المقاطعات التى كانت مصر تحتلها لغاية ثورة المهدي » ولقد كانت المقاطعات السودانية معتبرة مصرية في نظر أوروبا حتى وقت جلاء المصريين عنها الجلاء المؤقت . ومما يثبت ذلك ما أفضى به ساسة الانجليز من التصريحات في هذا الموضوع فى حادثة فاشودة وفي الاتفاق الانجليزي الايطالى الذى أبرم فى سنة ١٨٩١ — ٩٤ . ففى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩٨ صرح لورد سالسبورى لسفير فرنسا بأن وادي النيل كان ولا يزال ملكا لمصر وان أى عائق قد حال دون هذه الملكية أو أنقص من أطرافها بسبب اغارات المهدي واحتلاله للاراضي ، قد زال بانتصار الجيوش المصرية الانجليزية في أم درمان

ولقد قال اللورد روزبرى فى خطبة القاها فى ابسم Epsom في ١٢ اكتوبر ١٨٩٨ « نحن على وشك أن نسترد لمصر كل ما كانت تصريحات الحكومات الفرنسية تقضى بأنه من الاراضى المصرية » ولقد صرح لورد كمبرلى Kumberley فى حفلة اقيمت احتفاء بلورد كتشنر بأن اخلاء فاشوده لايحط من كرامة فرنسا لان الحكومة الفرنسية نفسها قد صرحت بأن الاراضي موضع الخلاف هي ملك

لمصر » من هـذا نرى أن دعوى مصر الخاصة بملكية الاراضى السودانية هى من الوجهتين السياسية والدولية مسألة حق ثابت . ومن الوجهتين الاقتصادية والاجتماعية نرى أن وحدة مصر والسودان أمر تقضى به الطبيعة نفسها . ففي القاهرة والاسكندرية بل وكل بلاد القطر المصرى لا يوجد فرق مطلقا بين المصريين والسودانيين من حيث الحـالة الاخلاقية والاجتماعية والقضائية . كلهم يتمتعون بالحقوق الوطنية على السـواء وكلهم يؤدون الواجبات الوطنية على السواء ولهم جميعا حق الانتخاب وفي المدارس يقعد المصريون والسودانيون جنبا الى جنب وفي الحقول والمعامل والافراح والجنازات ترى المصريين والسودانيين معا وكلاهما يشارك أخاه في السراء والضراء لقد جعلتهم الطبيعة اخوانا . وعامة المصريين والسودانيين انما ينتسبون في الواقع إلى أجداد من نسل العرب أو قدماء المصريين ، لغتهم هي اللغة العربية ، يكونون قد هبطوا مصر وأقاموا فيها وبعد ثوائهم زدحا من الزمن أخذوا يهاجرون الى السودان طلبا للعمل أو للاستعمار لقد كانت تمتد الاراضي المصرية جنوب الخرطوم أو تنحسر عنها تبعا لتوغل المصريين واتساع مشروعاتهم . ولقد قدرت الطبيعة أن تكون مصر والسودان وحدة واحدة والله أعلم لخير أريد بنا كان ذلك أو لشر . وهذه الوحدة عبارة عن أراضى لاتنزل بها أمطار وتستمد مياه الرى او الشرب اللازمة فى تلك الجهات من المنشآت الصناعية التى حفرها المصريون او صنعوها بايديهم على امتداد النيل وليس من

المتيسر رى مصر دون رى السودان لارتباط تلك المنشآت بعضها ببعض فلا بد ان تتحكم في رى مصر والسودان سلطة واحدة ولا بد لى من أن أؤكد أن نظام ري القطرين قد كان تصميمه وتنفيذه على أساس وحدتهما التى لا تتجزأ . ولا يوجد حد طبيعى يفصلهما ولقد كانت تحكمهما قبيل الاحتلال البريطاني حكومة واحدة

والبرلمان الذي اعطى لمصر قد كان أيضا برلمان السودانيين وكبار الموظفين وصغارهم ينتخبون من السودانيين والمصريين على حد سواء والنظام الادارى المتبع في مصر هو المتبع فى السودان . ومصر هي التى ألغت بيع الرقيق ومحته من أفريقية الوسطى . وقصارى القول أن كل مايحدث فى مصر يمتد أثره الى السودن بطبيعة الحال .

لقد كتب شيء كثير عن الرقيق ولكن بعض الكتاب قد شوهوا حال الرقيق فى مصر تشويها تاما . وأملى ألا تتهمونى بالعطف على المتجرين باخواننا من بنى آدم اذا أنا هممت بدحض تهمة القسوة التى كانت توجه الى ابناء وطنى الذين كانوا يملكون عبيدا فى تلك الايام . لقد كتب الدكتور مدن Medden وهو من كبار الثقاة فى فى هذا الموضوع وقد قصد مصر في أيام محمد على كممثل لجمعية بريطانية ضد الاتجار بالرقيق ، يقول « ان حال العبيد السود في مصر خير من حالهم في أية دولة مسيحية . وينسب الناس عادة حسن معاملة العبيد في الاقطار الاسلامية الى سماحة الدين الاسلامي الذي من تعاليمه الرحمة بالناس ومعاملة العبيد بالحسنى واعتبارهم اخواناً لاسيادهم

واعتبار الاسياد مسئولون عنهم أمام الله . وكذلك كتبت أخت لين Lene ، وكانت معه فى مصر حوالى ذلك الوقت نفسه ، « فى خطاب لها تقول » ان كثيرين ممن انتزعوا من أحضان أمهاتهم ورعاية آبائهم وهم صغار يجدون ممن يشترونهم حنان الام وشفقة الاب ويرفلون في ثياب غالية ويأكلون مالذ وطاب ولهم فى بيوت أسيادهم حرية يندهش لها الانسان . » كل من يهمه موضوع الرقيق وما كانوا يلاقونه من معاملة حسنة يمكنه أن يراجع كتب بركهارت Burkhart وانجرام Angram وصديقى الموقر سيد أمير علي وغيرهم

ان كثيرين من العبيد فى ذلك الوقت رفضوا انتهاز الفرصة والتمتع بالحرية التى منحتهم اياها الحكومة بمنعها الرق لما كانوا فيه من سعادة لقد كان اسيادهم في غالب الاحيان يزودونهم بالكثير من المال ويعتقونهم ويزوجونهم . وليكون عندكم فكرة أخرى عن الرق فى مصر يجدر بي أن أذكر لكم حادثة لذيذة كتبها مسترلج Legh (أحد أعضاء البرلمان الانجليزى في سنة ١٨٤٨ تقريبا) في وصف لسياحته فى مصر . يقول مسترلج انه قابل فى جهة من الجهات رجلا اسكتلانديا أسرته الجيوش المصرية فى معركة رشيد فى سنة ١٨٠٧ واسمه دونالد دونالد وهو من سكان انفرنس Inverness إن هذا الرجل الاسكتلندى قد فضل أن يبقى عبداً مصريا على أن يعتق ويطلق سراحه ويؤوب مع مسترلج . وقبل أن أختتم كلامي أقول أن فكرة بيع وشراء بني الانسان فكرة لاتطاق ولم أقصد

مما قلت إلا أن أبين لكم هذا الموضوع فيما يخص بمصر قد شوه تشويها يؤسف له .

ليست الاعتبارات السياسية والاقتصادية وحدها هي التي تجعل مسألة وحدة مصر والسودان ضرورة حيوية بل ان الاعتبارات الدفاعية أيضا تحتم ذلك . لامشاحة فى أن لكل دولة الحق التفكير فى الدفاع عن سلامتها ، ومن الحقائق الحربية ان من يتحكم في السودان يكون مسيطراً على مصر من الوجهتين الحربية والاقتصادية وفضلا عن الاعتبارات السياسية والاقتصادية والحربية أسائلكم إلى أين ينزح سكان مصر ، الذين يتزايد عددهم ، اذا لم ينزحوا الى السودان ؟ هنالك المنفذ الطبيعى الذى يحق لهم أن يسلكوه وليس لهم من منفذ غيره فمصر تحيط بها من بقية الجهات بحار أو صحراء . وعندكم فى هذه البلاد مثل حكيم يقول « ان من يبغي الكسب لا يناله فحسب بل عليه أن يتحمل مايجره من ذام وملام » وبناء على ذلك يجب مواجهة الحقائق بروح الشجاعة فمن الحق والعدل أن نقول لمن يريد ان يدعي ان السودان قد استعيدت لمصر ببضعة آلاف من الرجال يقودهم ضباط بريطانيون وأن بريطانيا تستحق من أجل هذه الخدمة الاشتراك فى حكم السودان والسيطرة عليها ، تذكر أن قصر نظر هكس Hicks باشا الجنرال البريطاني وأركان حربه وسوء تدبيرهم في سنة ١٨٨٣ هما السبب في انسحاق جيوشه والنكبة العظمى التى نزلت بهم بهم في كشجيل Kashgil

يجب على الانسان أن يشيد بذكر هؤلاء الضباط وشجاعتهم خصوصا وهم الآن في عالم الموت ولكننا مع ذلك لايمكننا أن نخفى عن أنفسنا أو نمحى من صفحات التاريخ ما قد وقع من خطأ عظيم بالزحف في صحراء جرداء لاماء فيها ولا مطر والتوغل مائتى ميل بعيدا عن الخرطوم بعيدا عن مركز القيادة وعن كل مدد والجيوش جيوش لاتستحق هذا الاسم لادراية لهم بفنون الحرب وضروبها بل ولا بمبادئها العسكرية البسيطة ! وثلثهم بل أكثر ليس لهم سابق علم باستعمال البنادق ! إن الطريق الوحيد الأمين الذى كان يجب على مثل هذه الجيوش أن تسلكه هو الاحتماء بالخنادق وأسوار الخرطوم والعكف على تعلم الحركات العسكرية والفنون الحربية حتى تصبح قادرة على ضرب الضربة القاضية. هذا طريق في منتهى الحكمة لو أنهم سلكوه خصوصاً لو ذكرنا أنه بعد فناء قوات هكس باشا في كشجيل Kashgil فى نوفمبر سنة ١٨٨٣ لم يستول المهدى على الخرطوم ، رغما من هذا الانتصار الباهر ، إلا فى يناير سنة ١٨٨٥ أى بعد مضى أربعة عشر شهراً تقريباً . لذلك يحق لنا أن نتساءل كم كان فى الاستطاعة أن يعمل من الاعمال الحربية والسياسية في مثل هذه المدة الطويلة ؟

قابلوا هذه الخطة بما اتبعه الجنديان العظيمان لورد كتشنر ولورد اللنبي Allenby من الخطط الحكيمة المتينة المنطوية على الحرص الاول في استرداده السودان والثاني في غزوة سوريا فى الحرب العظمى . كان على كليهما أن يواجه مسألة الصحراء ويتغلب على

صعوباتها ولم يتقدم أحدهما الا بعد التأكد من نجاح الحملة من كل وجه بكل حذافيرها ولم يترك أحدهما شيئاً للظروف ولم يقطع أحدهما صلته بمركز الجيوش مطلقاً . مما تقدم ترون ان مصر قد جلت مؤقتاً عن السودان قسراً عنها وعن شعبها وخديويها بغلطة قاضية وقع فيها الجنرال هكس باشا تلاها تشبث الحكومة الانجليزية بمسألة الجلاء . على أننا لا ننكر أن انجلترا قد ساعدت مصر في استعادة ما فقدته من ممتلكاتها السودانية بل نريد ألا ينكر أحد أيضاً ان كل الاجراءات الحربية التى اتخذت في هذا الصدد انما كانت تتخذ باسم خديوى مصر باعتباره الحاكم الشرعي لتلك الأقطار واذا كان لابد من تطبيق نظرية هذا الاشتراك في الحكم ، مقابل مساعدة حربية بسيطة ، فيما يختص بالسودان فالأولى الاعتراف بما لمصر من حق في الاشتراك فى حكم فلسطين وسوريا مقابل ما أسدته الى انجلترا وفرنسا من المساعدة المادية الملموسة فى الحرب العظمى بتقديمها ١٢٠٠٠٠٠ من أبنائها وكثير منهم من لم يعد من الحرب ناجيا) عدا المال اللازم لشراء الميرة والمؤونة والمواشى الضرورية التى لولاها لم تنته الحملة على ذلك الوجه الباهر من النجاح ، كما شهد اللورد اللنبى نفسه بذلك . وعلى مثل هذا القياس ألا يحق لامريكا أن تشترك فى حكم فرنسا وبلجيكا لما أسدته من مساعدات عظمى لهاتين الدولتين ؟ أليس لانجلترا مثل هذا الحق فيما يختص بفرنسا وبلجيكا وايطاليا؟ ألا يعتبر هذا الادعاء سخيفاً اذا ادعته انجلترا أو أمريكا ؟ بيد أن

في انجلترا مثلا لا يصطدم مع المتناقضات مؤداه « أن القانون الذى لا ينطبق على الاضداد هو قانون سقيم » ! وعلى الرغم من كل ما أدليت لكم به ، نسمع من طبقة معينة من الساسة البريطانيين أن مصر ليس لها في السودان إلا مصلحة مادية واحدة ، هي كمية من المياه اللازمة للقطر المصرى للري والشرب ، وبضعة حقوق مالية وهؤلاء الساسة يغضون الطرف عن الحقائق ويتجاهلون الواقع الذى لامراء فيه وهو أن السودان جزء من مصر وأن وادى النيل من منبعه الى مصبه وحدة لا تتجزأ ولما كان الساسة مشهورين بضعف الذاكرة ونسيان الحقائق فان علىّ أن أذكرهم بأن ساسة بريطانيا المسئولين في حكومات متتالية قد فاهوا بأكثر من خمسة وستين تصريحاً سياسياً ووعوداً مقدسة بأن انجلترا ستجلوا عن مصر . ولقد صدق اللورد ملنر حين قال « إذا كانت رفاهية مصر تهم انجلترا فان استقلال مصر يهمها أيضاً . ومن البديهى أن مصر حين تكون قوية مستقلة تكون أكبر ضمان لحرمة قناة السويس من أن يعتدى عليها معتد والمحافظة على سلامة الطريق التجارى الموصل الى آسيا كما تكون خير عون لانجلترا . أريد أن أذكركم بأن انجلترا سيدة البحار وما دامت لها هذه السيادة فلا خوف عليها من أن تبقي أعظم دول العالم فاذا مافقدتم سيادة البحار فلن ينفعكم احتلالكم قناة السويس بل ربما بقى نقطة ضعف فيكم وقد يكون خطراً عليكم . وليس أبعد عن عقل المصريين وطبيعتهم ومصلحتهم

من الرغبة فى اطالة حالة الانتظار وتعليق الامور دون البت فيها وما إلى ذلك مما يعوقهم عن توجيه كل جهودهم وقواهم في سبيل تحسين حال بلادهم ماديا وأدبيا وهوالعمل الذى يعتبر في الواقع أول واجبات من يسوس البلاد . اننا فى مصر نعلم علم اليقين ان الناس لا يمكنهم ان يعيشوا على السياسة بل لابد لهم من عمل منتج يبذلون فيه جهودهم كيما يتيسر الوصول الى إسعاد عامة الناس فاذا اتبعتم سياسة تبعث فى مصر القوة فانكم تعملون بذلك على تعضيد دولة ستكون نافعة لكم إن لم تكن لاغنى لكم عنها باعتبارها حليفة لكم في الشرق الادني وصديقة لكم في البحر الابيض المتوسط انكم لتعلمون جميعاً مركز مصر الجغرافى وموقعها السياسى ومواردها الاقتصادية وعظمتها التاريخية وكل هذه العوامل تدعو الى النظر الى دعواها بعين العطف ان اعجاب الشعوب بعظمة اليونان القديمة وثقافة الاغريقيين كان السبب الاعظم في نجاح اليونان في حرب الاستقلال ، بيد أن اليونان انما استمدت معظم ثقافتها ومدنيتها من مصر كما يعلم ذلك كل انسان الآن وكما قلت فيما سبق من أقوالي . ولابد من أن تتحرك فى العالم المتمدين عموما وفي الانجليز خصوصا عاطفة الاعتراف بالجميل وبما لمصر القديمة من الايادى على العالم فتنظرون الى مطالبها الحقة وآمالها المشروعة آمال أعرق الامم في القدم وأجدرهم بالاعجاب انكم معشر البريطانيين تفخرون بأن « كلمة الانجليزى ميثاق يقيده » فما بالكم بتلك الكلمة إذا كانت قد صدرت من كبار ساستكم ورؤساء

حكوماتكم مراراً وتكراراً وكانت كلمة شرف صدرت باسم بريطانيا وكانت ميثاقا غليظاً ؟ انى أثق كل الوثوق بأن هذه الكلمة التى رددت مراراً على لسان ممثلى بريطانيا العظيمة لا بل أعظم دول العالم لابد أن تكون كلمة صادقة وان يتحقق معناها وإلا فأى ضمان للعالم فى أقوال الشرف وأين توجد الاخلاق ؟

في كل مناحي الحياة حيث تنعدم الثقة تنعدم الأخلاق وينصدع بناء المدنية التى نفخر بها وتتداعى أسسها ولا يبقى لنا منها إلا الاطلال فتعقبها الفوضى والاضطراب . وينقلب نعيم الوئام جحيما مستعرة وينقض صرح سلام العالم وتتمزق وحدة الدنيا « هتاف حاد مستمر »

مصر والسودان

فى نظر العلم والتاريخ

انصرفت الافكار في العهد الأخير الى الاهتمام بمسألة السودان أكثر من ذي قبل وقد تولى كثير من الكتاب شرح العلاقة المتينة التى تربط مصر بالسودان لاثبات إن الأقليمين بلد واحد يسكنهما شعب واحد بيد أنى ألاحظ ان أكثرهم صرف همه الى الأدلة السياسية والاقتصادية وأثبتوا علاقة مصر بالسودان منذ عهد محمد على ولكن هناك من الحقائق العلمية والوثائق التاريخية ما يثبت ان مصر والسودان شقيقتان منذ العصور الغابرة لهذا جئت اليوم أقدم الى الملأ بعض هذه الأدلة التاريخية

(١) ان التوراة التى يدين بقدسيتها الانجليز مثل غيرهم من المسيحيين واليهود تنص صراحة على ان حام أنجب مصرايم الجد الأعلى للمصريين وكوش الجد الأعلى للغربيين والحبشة والسودان يعنى انها تثبت ان مصر والسودان شقيقتان وقد أثبت العلامة الفلامنكي (تيبل) في كتابه المسمى تاريخ ديانة قدماء المصريين ان حام هو نفس « كيم » أو « كيمت » يعنى الأرض السوداء وكان يطلقه قدماء المصريين على جميع بلاد النيل ثم أطلق على سكانها يضاف اليهم سكان (بونت) يعنى البونيين (سكان جنوب جزيرة العرب والصومال وجنوب ساحل البحر الاحمر الغربي) الذين كانوا يعتبرونهم

اخوانهم وأقاربهم يعنى ان قدماء المصريين كانوا يعتبرون سكان السودان ومصر وملحقاتهما بل والساحل الجنوبي من جزيرة العرب اخوانهم في العرق والجنسة وقد أثبتت الحقائق العلمية هذه القرابة كما سنبينه فيما يلى .

(٣) جاء في كتاب (Mythe D. Horus) إسطورة المعبود حوروس ص (٢١) لمؤلفه نافيل ان قدماء المصريين كانوا يصرحون بأنه كان يسكن بوادي النيل بعض القبائل الملحدة التى لا تعبد آلهة مصر خصوصاً إله الشمس رع فحاربهم هذا المعبود وقهرهم شر قهر وأباد أكثرهم بيد ان قسما منهم تمزق أيدى سبا ففر منه فريق إلى الشمال فسكنوا أسيا ومنهم القبائل البدوية وفريق آخر فر الى الغرب فسكنوا ليبيا والباقون فروا جنوبا فتوطنوا بالنوبة والسودان أن هذه القصة تثبت القرابة العرقية بين هذه الامم ونرى أن الخلاف بينهم أنما شجر بسبب الدين وهو مانراه في كل الامم قديماً وحديثاً وبالطبع لم يضع قدماء المصريين هذه الحكاية لكي يستعملها الخلف فى رد مزاعم الانجليز .

(٣) جاء في الكتاب الذى نقله الملازم فرنسيس ولفورد الانجليزي من Purans (يعنى كتب الهنود المقدسة) الذى قدمه سنة ١٨٠٧ لجمعية الابحاث الاسيوية فنشرته ان (شرما) هو اسم شام الذي هاجرت اولاده من مصر الى الجنوب يعنى الى اتيوبيا والحبشة وازان وكانوا اهل سلم وشيدوا مدينة (نباواتى) Napavati معناها

الجميلة التى سماها اليونانيون (نابتا) Napta ولقبوا سكانها (نابتو) Naptu وكانت هجرتهم من مصر فى عهد Sani يعنى Typhon أو Saturn وكانوا يتعيشون بصيد الفيلة ويأكلون لحمها ويبيعون اسنانها وقد صرح بطليوموس بأن مساكنهم عند منابع النيل وذكر الجغرافى النوبى عند بحيرة الآلهة (الواقعة عند جبال القمر باواسط افريقيا) جبلا سماه الجبل المبرقش أو المزين لانه في الغالب كان به كتابات هيروغليفية وصور ملونة كما هو الحال فى بقيـة الهياكل المصرية هذه النبذة المأخوذة من كتب الهنود المقدسة تدل صراحة على القرابة المتينة والروابط العرقية من سكان بلاد النيل من منبعه الى مصبه والناقل لها انجليزى لا يتهم بالتحزب للمصريين ومع هذا اذا أصرفنا النظر عن أقوال هذه الكتب الدينية الثلاثة مؤقتاً وسألنا التاريخ وعلماء انساب الأمم عن الحقيقة المنشودة نسمع ما يأتى :

(٤) جاء فى كتاب مصر والحيـاة المصرية فى القدم لمؤلفه العلامة (ادولف ايرمان) مدير متحف برلين سابقا واكبر ثقـة في اللغة المصرية القديمة والتاريخ المصرى المطبوع بتوبينجين سنة ١٨٨٥ ص ٥٢ ان هنالك منازعة مستمرة بين علمـاء أنساب الأمم وبين علماء اشتقاق اللغات بشأن أصل قدماء المصريين فالأولون يصرحون بان أصـل قدماء المصريين افريقيون بينما الآخرون يزعمون أنهم من أصل اسيوى . يقول الأولون أنه ليس فى تشكيل جسم المصرى وبنيـة اعضائه ماقد يميزه عن جيرانه الافريقيين

بل الحقيقة الحرية بالاتباع أن من يبدأ بسكان مصر ويتوغل حتى مناطق خط الاستواء بأفريقيا مقارنا السكان بعضهم ببعض يحكم بانهم من عنصر واحد وأنهم حلقات من سلسلة عرقية لايمكن التفريق بينهم قط فلا يمكن تفريق سكان مصر عن البربر سكان ساحل شمال افريقيا ولا أولئك عن كاوي أو التبو ولا هؤلاء عن سكان بحيرة تشاد بل الجميع فى نظر علماء انساب الأمم عنصر واحد قد أوجد طرز المعيشة ومؤثرات طبيعة البلدان وهواء الاقليم ماقد يشاهد بينهم من الخلاف الظاهري . أضف الى ذلك أن قدماء المصريين كان لديهم من العادات ما هو موجود لدى الشعوب الساكنة في أعالى النيل اليوم أذكر من ذلك صقل الشعر البديع الذي كان يستعمل كوسادة للرأس لايزال مستعملا الى اليوم بشرق السودان في تزيين الشعر وترتيبه كما أن السيف الهلالى الشكل الفريد في بابه الذى يحمله كل أمير من قبائل (منبتو) هو صورة طبق الأصل مما كان يتقلده فرعون مصر » . وجاء فى نفس الكتاب ص ٥٥ « ان سكان ليبيا ومصر واتيوبيا كانوا منذ القدم عنصراً واحداً (بنية اجسامهم وتشكلات اعضائهم متطابقة) افريقى المنشأ بالرغم من قبولهم لغة اسيوية » وجاء في نفس الكتاب المذكور طبعة سنة ١٩٢٢ الذى أخرجه أيرمان بالاشتراك مع تلميذه (رانكي) ص ٢٥ عند تميز المصريين عن الاقوام المجاورة لهم مايأتى : « بيد أنهم كانوا يمتون باواصر القرابة الى جيرانهم الجنوبيين يعنى سكان النوبه »

(سنرى فيما بعد أن الجنوب كان يطلقه المصريون على سكان السودان والنوبة والحبشة وبونت لا كما يعتبره العلامة رانكي المذكور) هذه النصوص العلمية صريحة جداً تؤيد النبذات الدينية السالفة الذكر

(٥) جاء فى تاريخ الازمنة القديمة لمؤلفه العلامة الكبير ادوار مايرطبعة سنة ١٩٢١ ص ٤٢ — ٤٣ مايأتى : ان سكان شمال افريقيا عامة — بخلاف سكان مجاهل أفريقيا الزنوج — يكونون احدى شعبات العنصر القوقازي (الابيض) ولشدة أواصر القرابة والنسب العنصرى بينهم نستعير لهم من التوراة اسم حاميين فى الصحراء الكبرى وفي شمال وغرب أفريقيا تسكن قبائل الليبيين والموريين (اسم سكان مراكش) وتمتد منطقتهم حتى نهاية جزائر الكناري في بحر المحيط الاطلسى وكانت جميع هذه القبائل يسميها قدماء المصريين زحوا واليها تنتسب سكان زحينو أومارمريكا والليبيون (يكتبه المصريون ريبو وينطقونه ليبو) سكان هضبة برقة التى أطلق عليها اليونانيون اسم كيرين واستعملوه بعدئذ لجميع سكان افريقيا التى تربطهم أواصر النسب العرقية ، وفى الغرب قبائل مشوشة سكان السيرت . ومن الحاميين أيضا سكان مصر وجميع القبائل الشديدة الشكيمة المحبة للحرب الممتدة مناطقها من مصر في شرق أفريقيا حتى منتهى بلاد الصومال جنوبا وكلها لون بشرة أفرادها كلون البرنز أو القهوة ومن أهمها قبائل الماظوي التى صارت تلقب فيما بعد بالمازوي وهم سكان هضبة النوبة المكونة من الاحجار

الرملية وهم أجداد قبائل البشارية والبيجا ومن القبائل الحامية أو أقارب قدماء المصريين أيضا قبائل بلاد الكندر من البونيين (سواحل الصومال) الذين ترى صورهم في المعابد والمقابر المصرية صورة طبق الاصل من قدماء المصريين بشرة حمراء معتمة ولحية قصيرة وخصلة من الشعر في قمة الرأس أو شعر مستعار كما كان حال قدماء المصريين منذ العائلة الاولى وهم أجداد أو على الأقل أقرب الناس إلى قبائل الصومال والجالا والماساى (سكان ازان يعنى شرق افريقيا الالماني وزنجبار) وهذه القبائل استوطنت بلاد الحبشة والمناطق الواقعة فى جنوبها (يعني القسم الشرقي من السودان حتى ساحل المحيط الهندى) واختلطت بقبائل الزنوج فتأثرت بها كما انها طالما أثرت على القبائل الزنجية بالتزاوج معها منذ القدم ومن القبائل الحامية أيضا العونطيو (التى كانت تقرأ قديماً (انو) وفي أواخر التاريخ المصري القديم وجدت قبائل حامية (سكنة الكهوف) كانت تقطن فى سلسلة جبال العرب وكانت قديما من أشجع القبائل وأكثرها حرباحتى طالما حاربتها مصر لرد عاديتها ومنع غارتها على قوافل تجارتها ويظهر أن هذا الاسم كان يطلق على سكان الجبال والصحارى الشرقية وكذلك على أعالى بلاد النوبة

وجاء في ص ٤٤ — ٤٦ أن بلاد النوبة التى كان يسميها قدماء المصريين كينست أوتوسيتى هى الدرب الوحيد الموصل بين مدينة الشمال ومجاهل افريقيا بالرغم عن ضيقه وقلة خصبه ومن مصب العطبرة تبدأ المناطق التى تسكنها الزنوج وتنبطح مترامية الاطراف

من جوف افريقيا حتى مناطق خط الاستواء وقد تمكنت قبائل الزنوج من التقدم بالنوبة وتخطت حدود مصر هـذا فضلا عن أنه طالما أحضرت منها منذ القدم الالاف العـديدة كأسرى أو خدم أو جند أو رجال شرطة واسكنوا بمصر فبعد حين اختلطوا وتزاوجوا مع قدماء المصريين فامتزج دم العنصرين كثيرا وبالطبع ان اشد اختلاط وامتزاج بين العنصر المصرى القديم والزنوج كان في المنطقة الواقعـة ما بين جبل السلسلة والشلال الثانى حتى اصبح أهلها منذ القدم كما هم اليوم أقرب الى الزنوج منهم للعنصر القوقازي وها هو حاكم منطقة فيلة (على عهد الملك بيبي الثانى) المسمى بيبي نخت مرسوم في مقبرته وصورته تبرهن على أنه زنجى لونه برنزى قاتم جداً . . . . . ان هـذا الاقليم الملحق بمصر كان يطلق عليه اسم توسيتى مثل بقية بلاد النوبة مع أن الحفريات الفنية اثبتت أن مقابر النوبة من مبدأ ازمنة التاريخ كانت خاليـة تماما من العرق الزنجى وكانت مؤهولة هى ومصر بعنصر واحد ولـكن حوالى عهد العائلة الثالثة بدأ الدم الزنجى يختلط تدريجاً بالنوبيين بازدياد مطرد ومع ان التشكيلات الجسمانية لسكان مصر وبلاد النوبة حتى الشلال الثانى كانت واحدة فان الرقي الفنى والعلمى بقي متأخراً بالنوبة عن مصر وعليه نرى أن الزنوج بدأوا يختلطون بسكان النوبة ومصر العليا منذ ثلاثة الآف سنة قبل الميلاد ويؤيد ذلك أن مخطوطات الأهرامات وقائمة الاجناس البشرية المعروفة لقدماء المصريين (المسماه التسعة

الرماة بالنشاب) ذكر بها اسم النوبيين مراراً دون أن يذكر بها اسم الزنوج قط أنه لا يصح أن يفهم من ذلك أن الزنوج لم تكن موجودة بمصر من قبل ذلك لان لدينا أدلة تبرهن على وجود الدم الزنجى بمصر حتى قبل أزمنة التاريخ ولكن مقداره كان قليلا من جهة ولم تكن الزنوج اعداء لمصر ولا شنوا عليها غارات . ومنذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد يسكن المناطق الخصبة ببلاد النوبة حتى اليوم قبائل زنجية بينما القبائل الحاميـة التى لم تختلط بهم حافظت على بداوتها فى الهضاب المجاورة وهى قبائل البجا وصارت تشن الغارة على جيرانهم المزارعين بغية النهب والسلب

(٦) يقول ديودوروس في الباب الثالث من كتابه أن أصل المصريين جالية نزحت من اتوبيا (بلاد النوبة وصارت تطلق على الحبشة فيما بعد) وقال هيرودوت ان طقوس العبادة في Napata وعقائد اللغة كانت صورة طبق الأصل لما كان بمصر أما ديودوروس فيؤيده (أولا) أن موتي المصريين قبل أزمنة التاريخ كانت تدفن وقد وجهت رءوسها الى جهة الجنوب وتبدل ذلك منـذ عهد مينا (ثانيا) أن العائلات المالـكة جاءت من الجنوب (ثالثا) أن قدماء المصريين استألفوا الحمار واستعملوه وكان قبائذ يوجد ببلاد النوبة بصورة وحشية (رابعاً) أن البخور كان يستعمل فى العبادة المصرية منذ القدم وما كان ذلك ممكناً لو لم يكن المصريون جاءوا من الجنوب حيث العـلائق مع بلاد الصومال وجنوب بلاد العرب سهلة وممكنه

ويشرح حقيقة ما قاله هيردرت الكشفيات والتدقيقات الفنية التى قام بها W. Budge مدير القسم المصري فى المتحف البريطانى ونشره في كتابه المسمى السودان المصرى المطبوع بلوندره سنة ١٩٠٧ وتدقيقات العلامة الامريكي الشهير J. H Breasted في كتبه العديدة خصوصاً كتابه المسمي آثار السودان والنوبة المطبوع سنة ١٩٠٨ وغيرهما اذ اثبت ان جميع هذه الآثار وما وجد بالسودان والنوبه من مدنية وعمران كله مأخوذ عن مصر وأدخله الى هنالك أجدادنا المصريين ممدنو الامم ومعلمو الشعوب ومطلع فجر المدنية كما يسميهم ماسبرو وبالطبع كانت الاقارب لديهم أولى بالمعروف فلا عجب اذا فضلوا اخوانهم في الجنسية على من عداهم وقد أبان أحد كبار اساتذة الالمان ماتقرأه عن فتح الاثيوبيين لمصر خطأ بل الحقيقة أن بعض أفراد العائلة الطيبية هاجروا اليها ومعهم الكهنة واجتهدوا فى العمل لتخليص مصر من الغاصبين ولما هاجموا مصر استقبلهم الخلق كاخوانهم الصادقين أرباب الحق المشروع في العرش لا أعداء مغيرين وهذا أكبر دليل على مقدار وحدة البلدين والعنصرين

(٧) جاء فى : (Conversation Lexikon) لمؤلفه Brockhous ان المصريين هم وزنوج افريقيا من عرق واحد وكذلك قبائل البربر البشاريين والجاللا وخلافهم وأما لغتهم فسامية وجاء فى دائرة المعارف الكاثوليكية تحت مادة مصر مايأتي : يؤكد علماء

اشتقاق اللغات أن المصريين هاجروا فى أول أزمنة التاريخ من غرب أسيا إما عن طريق برزخ السويس او باب المندب بينما الطبيعيون يؤكدون أنهم نزحوا اليها عن طريق ليبيا بمعنى أنهم حاميون بينما آخرون يجعلون منشأهم في وسط افريقيا ولكن الحقيقة الثابتة هى أن المصريين من نفس فصيلة الليبيين وغيرهم من القبائل المتوطنة بشمال وأواسط أفريقيا وقد ذكرت التوراة خمسة من العناصر المكونة للأمة المصرية (سفر التكوين العاشر صحاح ١٣ — ١٤) تحت اسم مصرايم الأقسام العنصرية الآتية : (١) الذين يقول عنهم ماسبيرو في كتابه تاريخ أمم الشرق القديمة المطبوع بباريس سنة ١٩٠٨ ص ١٦ إنهم الروتو أو الروميتو وهو إسم المصريين الحقيقيين في اللغة الهيروغلوفية (٢) واللابيم وهم الليبيون (٣) نفتوشيم (يعنى سكان توفنا أو منفيس) (٤) بتروسيم يعنى سكان كوريس أو صعيد مصر وبلاد النوبة (٥) ولانامیم وهم الذين شيدوا (أون) الشمالية وهي عين شمس و (أون) الجنوبية وهي هرمنتيس وقد تم تصالب هذه العناصر فى عهد العائلة الأولى .

(٨) يقول الاستاذ اليوت سميث فى كتابه المسمى البقايا الجسمانية لقدماء المصريين المطبوع سنة ١٩١٠ وفى جريدة الابحاث العلمية المنتشرة بالقاهرة عدد ٣٠ جزء ٣ شهر مارس سنة ١٩٠٩ بشأن سكان مصر ما يأتي : لقد كان من بين سكان مصر فى الأزمنة قبل التاريخ خصوصاً في الجثث التى عاينتها في مقابر نجا الدر (الواقعة ازاء

جرجا) بكل تحقيق اثنان في المائة من أصل زنجى بيد أن هنالك عدا ذلك أجساد مخلوطة بدم زنجى إلا أنى لم أستطع البت بشأنها بصورة قطعية ولكن هذه النسبة أخذت في الزيادة المطردة منذ عهد العائلة الثالثة ويقول ادوار ماير ص ٤٧ إن اسم نحوستو يطلق على جميع سكان بلاد الجنوب حتى أنه يشمل البونيين ولكنه فى النصوص التاريخية يستعمل بلا شك علماً للزنوج دون غيرهم .

(٩) إن فليند ربيترى ينص صراحة في دائرة معارف تاريخ العالم لهارمسورث وفى تاريخ الأمم لهاتشنسون وفي أبحاثه بطور سينا وفي كتابه تاريخ مصر أولا أن أقدم سكان مصر كانوا قبائل زنجية من سكنة الأدغال التى لا تزال أمثالها موجودة بحوضة النيجر وأعالى الكنغو ثم هاجمها سيل القبائل الليبية (الحامية) فقتلوا الرجال واستحيوا النساء وتزوجوا بهن ثم جاءت جماعات سامية من جنوب بلاد العرب ومن برزخ السويس ويصرح أنه كان بمصر خمسة عناصر مختلفة تصالبت وتمازجت فكونت العنصر المصرى قبيل عهد منا ومع أنه قبل الحماية الانجليزية على مصر وقبل أن يمزج السياسة بالعلم كان يقرر أن مهد المدنية بالعالم كله هى مصر فانه حاول بعد الحماية نقل ذلك المعهد الى علام (Elam) فاننا نكتفي بتسجيل أقواله ونتائج ابحاثه العلمية التى يقررها أكثر العلماء بشأن أصل المصريين حتى نرد بها على من يعمل على طمس الحقيقة ومكابرة المصريين بشأن وحدة مصر والسودان .

(١٠) يقول العلامة شوابن فورت في ص ٣٠ و ٣١ في مقدمة دليل بدكير بشأن أصل قدماء المصريين ما يأتي : كان مؤرخو الرومان واليونان يؤكدون أن أصل المصريين أفريقي بحت حتى أن ديدوروس نقل الينا من مأثورات الاثيوبيين أن المصريين أصلهم جالبة أتيوبية توطنت بمصر كما ان نفس مصر هدية النيل ولكن بما أن أولئك المؤرخين ما كانوا يعرفون من سكان بلاد النيل إلا الفريق من البشر الذى نطلق عليه الآن اسم الحاميين الذين هاجروا من آسيا الى أفريقيا وتوغلوا غرباً ثم عقبوا مجرى النيل الى الشمال وأقوال الأثيوبيين تطابق تماماً نصوص التوراة التى تبين أن حام والد كل من مصرايم وكوش يعنى مصر وبلاد النوبة فجعلهم العبرانيون أشخاصاً بدل شعوب ومنذ أن أماط ليبسيوس اللثام عن حقيقة الحاميين صرنا نعبر بهذا الاسم عن نوع من البشر متحد الأصل والمنشأ والعادات اكتسح نصف أفريقيا وابتلع قسما من سكانها الأقدمين وأجبر الباقين على الهجرة إلى الجنوب والغرب وما زال في عنفوانه حتى بزه الساميون وقد أبان ماسبيرو أن الليبيين أثروا على مدينة مصر التى كان لسكان غرب آسيا من البابليين بل وحتى للعرب والترك عوامل فعالة في تكوينها ولكن نفس الليبيين حاميون والخلاصة أن سكان وادى النيل تكونوا من امتزاج وتصالب السكان الأصليين (الزنوج وسكان الأدغال والأقزام وغيرهم) مع القبائل الحامية الآتية من آسيا عن طريق الصومال والحبشة والنوبة ثم تحسن

العنصر بورود عنصر راق جديد يكون للعائلات المالكة التى أتى الى مصر حاملا مدينة راقية الخ

(١١) جاء فى كتاب الشعوب والعناصر واللغات لمؤلفة فليكس فول بوشان المطبوع ببرلين سنة ١٩٢٢ ص ٣١ سنه ١٨٧٩ صرح روبرت هارتمان وقد كان في وقته من أكبر المتخصصين بشئون أفريقا العارفين بحقيقة شعوبها بما يأتى : إن السائح المدقق لو غادر القاهرة معقبا مجرى النيل صوب أواسط أفريقية لا يستطيع أن يعين بالضبط أين انتهاء المصرى بلونه الفاتح وابتداء الزنجي بلونه الاسود بهذه الجملة قرر الوحدة العرقية لسكل إفريقيا وفي ص ٤١ و ٤٢ أننا لم نستطع بعد تحليل المنشأ العرقي لزنوج السودان بوضوح تام لأن التجاح في بلوغ هذه الغاية متوقف على فحص هـذه المسألة مع جيرانهم الشماليين (بالطبع وفى مقدمتهم المصريين) فقدماء المصريين والبربر (سكان بلاد المغرب) والقسم الأعظم من الأحباش والجالا والصومال ومازاى من فصيلة واحدة متقاربة في لغاتها جدا متحدة فى مدنيتها المادية وأصلها إفريقي وعلماء اشتقاق اللغات يطلقون على هذه الفصيلة اسم الحاميين وكذلك علماء أنساب الأمم متفقون على وحدة هذه الشعوب وأحسنوا صنعاً بقبول هـذه التسمية إذ المعول على المدلول لا مجرد الاسم . نعم أننا نعرف أن قدماء المصريين لم يكونوا حاميين بحت بل يشوب دماءهم مزيج من السامية بينما البربر امتزج دمهم بالعنصر الاوروبي والزنجى والسامي أما الاحباش فعدا

الدم الحامي فان دمهم به مقداراً كبيراً من الدم العربى وكذلك حال الجالا والصوماليين بينما المازايين اختلطت حاميتهم بدم من قبائل البانطو ولكن بالرغم من هذا المزج الدموي تعتبر كل هذه الشعوب أمة واحدة من عنصر حامي وصفاتهم حامية وبالطبع هذه الصفات تختلف مقدار صفاء حاميتها في سكان هذه الأرجاء الواسعة بيد أن الانسان يستطيع تتبع هذه الصفات الحامية حتى في جنوب أفريقيا يعنى بين الاوتينتوت (هوتينتوت) حيث نجد الكلمة المذكرة تنتهى بحرف ب بينما الكلمة المؤنثة تنتهى بحرف ث أو س يعنى تماماً مثل ما هو الحال لدى قبائل الباجا أو ماكان لدى قدماء المصريين قبل آلاف من السنين حيث كانت علامة التأنيث عندهم ث أوس وعلامة التذكير (P) أو ف وكذلك نجد صنعة الجدل الخزونى التى اشتهر بها قدماء المصريين موجود بكل تحقيق واتقان في كل أفريقيا حتى فى أوغامبو وكذلك نوع البقر المصرى نجده في كل السودان وأواسط إفريقيا عند الهوتينتوت بينما بقر شرق إفريقيا من النوع الهندي - ص (٤٤) اكتشف الرحالة الانجليزى فى إيتورى الواقعة فى الشمال الغربي روينزورى الحيوان الذى ظن أنه اندرس عند قدماء المصريين منذ القدم ذا الثديين المسمى (Okapi) كان هذا الحيوان مقدساً عند قدماء المصريين للمعبود (Set) أو تيفون إله الشر لانه كان معبود القبائل السامية المتوطنة بسلسلة جبال العرب والذين أجلواعن مصر لكثرة شرورهم وغاراتهم ضد سكان الدلتا وهو أقدم وأهم

معبودات الساميين وفي قصة أوزيريس يتهم بقتلته ولكن على عهد العائلة الحادية والعشرين أحبه المصريون واعتبروه من بين آلهتهم (وفى عهد سيادة عباد قديماً هاجرت قبائل شرما أو شام الى منابع النيل بمصر على ما جاء من كتب الهنود المقدسة ـ المعرب) ص ١٠٥ أن صنع البرونز وصبه فى سواحل غينا الشمالية مأخوذ عن مصر وكثير من عقائد السودان الدينية خصوصاً عند الليس ينطبق على المصرى الذى شرحه لنا إيرمان وفى غرب السودان يوجد الاسبوع المكون من سبعة أيام كما هو الحال بمصر الخ . وكلها آثار من نفوذ المدنية المصرية بأفريقيا .

(١٢) إن من يقرأ الفصلين الممتعين فى كتاب الدكتور جورج بوشان المطبوع باستوتغارت سنة ١٩٢٢ بشأن سكان شمال وشرق أفريقيا يجد من الايضاحات الوافية والمعلومات الوثيقة ما يبرهن على أن سكان مصر والسودان والملحقات كلها من عنصر واحد بل إن نظرة واحدة للخريطة المبينة عناصر سكان أفريقا الذي وضعها الدكتور ب اشتروك ونشرت بالكتاب المذكور ما بين صحيفتين ٤٤٨و٤٤٩ ومن يتأمل في خرائط أطلس أفريقيا الذى نشره المعهد العلمي الخاص بدرس مسائل أفريقية العلمية والعرقية المسمي (Africa Archiev) تحت رياسة صديقى العلامة (ليوفروبينيوس) لايتردد لحظة عن الاعتراف بهذه الحقيقة حتى ولو كان من الانجليز

خصوصاً اذا أضاف إلى ذلك مطالعة كتاب العلامة ماينهوف بشأن اللغات الحامية المطبوع بهامبورغ سنة ١٩١٢

(١٣) جاء في كتاب تاريخ مصر لمؤلفه (Breasted) ص ٢٥ — ٦ عن أصل قدماء المصريين ما يأتي : أن أجداد المصريين لهم نسب « بالليبيين من جهة وبسكان شرق أفريقا يعنى والجالا والصوماليين والحبشة والباجا (النوبيين) وقبائل أخري من جهة ثانية ولقد تركت غارة سامية دمغتها السامية بصورة جلية فى لغات هذه القبائل الافريقية وأقدم طبقات اللغة المصرية القديمة ينم لنا على أنها كانت خليطاً من لهجات هذه القبائل وبالرغم من كونها بها صبغة أفريقية فان بنيتها وتشكلاتها سامية وقد تم تكاملها منذ أقدم أزمنة التاريخ ومع هذا فان اختلاط الليبيين والافريقيين بالمصريين استمر حتى في الازمنة التاريخية ولدينا وثائق تاريخية تثبت قرابة المصريين والليبيين العرقية منذ ثلاثة آلاف سنة أما علاقة المصريين بالساميين فترجع الى أقدم عهود التاريخ وليس لدينا وسائط تعين لنا زمن هذا الاختلاط ولا طريق حصوله بيد أنه من المرجح أنه كان وقوعه عن طريق شبه جزيرة طورسينا كما حدث ثانية فى زمن الفتوحات الاسلامية ومع أن آثار الساميين اللغوية بقيت محفوظة في اللغة المصرية فان حياة الصحراء والبداوة ليس لها أثر في حياة مصر والديانة المصرية خلو من آثار الساميين أما صور البونتيين التى رسمها المصريون فى

هيا كلهم فتنطبق تماما على صور المصريين والخلاصة أن ما ادعاه بعض المؤرخين (أمثال راولنيسون قديماً بل وكل المؤلفين حتى سنة ١٨٤٣ حيث برهن العلامة مورتون على بطلان هذا الرأى فاتبعه المؤرخون الحديثيون واعترفوا بأن المصرى من العرق الأبيض — للعرب) من أن المصري زنجى بحت كذب لا أصل له بل كل ما يقال إنه ربما اختلط بدمه بعض الدم الزنجى بمقدار قليل لا يستحق الذكر .

كل الأدلة التي ذكرتها تبرهن بصورة واضحة أن أصل قدماء المصريين حاميون اختلط بهم دم سامي ومقدار من الدم الزنجى وإنه وسكان النوبه والحبشة والصومال من فصيلة واحدة وكذلك الاكثرية السودانية مثله ولكنى أريد أن أبين ما يقوله الانجليز بشأن أصل السودانيين فأعرب للقراء القطعة الآتية من دائرة المعارف الانجليزية ليروا كيف أن السودانيين من حيث المنشأ صورة طبق الأصل مثل اخوانهم المصريين يقول مؤلف مادة (سودان) في دائرة المعارف الانجليزية ما يأتى :« إن القسم الاعلى من السودان تسكنه قبائل رحالة من الحاميين والساميين يسمون عربا وسكان حوضة النيل في شمال الخرطوم أيضا خليط من أجناس مختلفة خصوصا النوبيين القاطنين بولاية دنقله وأهم سكان صحراء النوبة هى قبائل العبابدة والبشارية التى ترعى جمالها في الجبال القريبة

من ساحل البحر الأحمر أما فى المنطقة الواقعة فى جنوب بربر وسواكن فتقطن الهدندوة بينما المنطقة الواقعة بين العطبرة والنيل الأزرق مأهولة بالجعليين والحسانية والشكرية — والحسانية والحسنات تغطتان غالبا بالجزيرة والكبابيش تسكن البلاد الواقعة بشمال كردفان التى تأهلها قبائل البقارة وفي دارفور الخلق مزيج من العرب والزنوج أما قبائل الزنوج الساكنة بحياض النيل حوالى بحيرة نو وفي شمالها والمنطقة الواقعة في شرق النيل تسكنها قبائل بارى والنور والدنكة وهذه الاخيرة تنتشر أفخاذها فى مديرية بحر الغزال أيضا وفي غرب منطقة الشلوك وجنوب كردفان توجد قبائل (النوبه)(Nubos)التى يظن أنها منشأ النوبين وفى الجنوب الغربى من بحر الغزال توجد قبائل البونجو وفي خط تقاسيم مياه النيل والكونغو توجد قبائل نيام نيام . »

إن القارىء لهذه القطعة يرى أن القسم الأعظم من سكان السودان حاميون وساميون وإن الأقلية من الزنوج بينها قبائل نوبية لعلها التى هاجرت من مصر على عهد عبادة (Set.) أو من نفس عنصر قدماء المصريين ومن يعرف أن الاسلام انتشر بالسودان منذ القرن التاسع بعد الميلاد يدرك أهمية الروابط الموجودة بين مصر وأهالى السودان فهى عنصرية ولغوية ودينية واجتماعية بالرغم من مدعيات المستعمرين وانى أود أن أشرح نقطتين قد يحدث لدى البعض بسببها شىء من اللبس أولا ان الحاميين ليسوا أسويين كما

كان الرأى السائد بين أكثر المؤرخين الذين كانوا يجعلون مهد ظهور البشرية هضاب البامير وما حولها بل الحقيقة هي أن منشأ العرق الأبيض هي جبال الأطلس ومنها انتشر بأوروبا وآسيا ولمن شاء أن يراجع أبحاث برينتون وفروبينيوس وكل المدققين الذين قاموا بحفريات فنية بشمال افريقيا وقد كانت هجرة الساميين سابقة لانتشار الحاميين وكان آخر قبائلهم بأفريقيا سكان سلسلة جبال العرب التى أجلاها المصريون بعد حروب عنيفة وهذا يشرح للقارىء منشأ المؤثرات السامية باللغة المصرية القديمة. ثانياً قد يرى القارىء تضارباً بين اعتقاد المصريين أن النوبيين طردوا من مصر الى الجنوب وقول الأثيوبيين أن المصريين جالية أثيوبية نزحت فتوطنت بوادي النيل (مصر) ولا يدرك سر وجود قبائل النوبا بين قبائل الزنوج بجنوب كردوفان ولكن من يطالع كتاب العلامة ليوفروبينوس الذى ظهر فى شهر فبراير الماضى المسمى أفريقيا المجهولة أو الغير المعروفة يفقه الحقيقة ويتأكد من صدق القولين إذ أبان المؤلف المذكور أن الحاميين انتشروا من جبال الاطلس فاحتلوا كل شمال افريقيا حتى خط يمتد من الرأس الأخضر بغرب افريقيا الى مصوع ولكنه ينعرج من مصب السوباط حتى زنجبار وبعد حين جاء سيل من البشر سماهم الكاشيين (صحة اسم الكوشيين) من بلاد العرب وسواحل الصومال وأريتريا فانساب الى الغرب مكتسحاً الحبشة وشرق السودان معقباً بحرى النيل الى مصر حتى حوالى طيبة وكان تصادم هذه الموجة

الكاشية مع سابقتها الحامية بالحبشة والنوبة ومصر والقبائل التي لم تقو على مقاومة الموجة الثانية هاجرت الى الغرب . بناء على هذه الحقيقة المدعمة على أبحاث أكبر ثقة في مسائل المدنية والقرابة العرقية بأفريقيا نعرف صدق إعتقاد المصريين والاثيوبيين بيد أن الأولى سابقة للثانية ونعرف أن قبائل النوبا الموجودة بكوردفان من القبائل التى اجتنبت تصادم التيارين المذكورين واضطرت ان تسكن بين الزنوج مثل مافعله غيرها حتى في حوضة النيجر وأختم مقالى هذا بنبذة ترجمها العلامة إيرمان من ورقة البردى نمرة ٣٤٤ المحفوظة بمتحف لايدن الشارحة وقوع أول ثورة عرفها التاريخ وكيف أن الجنود الزنوج الموجودة بالجيش بذلت قصارى جهدها في رد عادية متوحشى الساميين عن بلاد مصر والنبذة المذكورة عبارة عن المبدأ الذى كانت تنادى به الجنود الزنجية المذكورة ومآله (ان من يدافع عن اخيه انما يدافع عن نفسه) وفى ذلك من صدق الأخاء الموجود بين الشقيقين منذ أوائل التاريخ المصرى مافيه عبرة لأولى الألباب

جاء في كتاب هرمان شنايدر ص ٤ العبارة الآتية

أنه لايمكننا أن نعرف بصورة قاطعة العناصر المكونة للشعب المصرى القديم لأن تصالبها تم قبل ازمنة التاريخ بيد انه من المحقق أن الشعب المصرى كان خليطاً من العناصر المجتمعة في صعيد مصر وتصالبت بامتزاجها ببعضها وكانت هذه العناصر زنجية وليبية وسامية

وجاء في ص ٩و٨ من مقدمة تاريخ مصر القديمة المأخوذ من الآثار لمؤلفه (S. Birch) العبارة الآتية « إن مأثورات قدماء المصريين تصرح بأن سكان وادى النيل خلقتهم المعبودات من الطين وهي عقيدة تشابه ماجاء في التوراة بشأن خلقة آدم ولا يزال الخلاف بين كبار العلماء بشأن أصل المصريين مستعراً لم يقرر ان كانوا قد هاجروا إلى مصر من غرب آسيا حاملين معهم المدنية الراقية أو أنهم جاءوا الى مصر من اثيوبيه معقبين مجرى النيل أو أنهم كانوا أهالى محليين كان ظهورهم قبل أن يبدأ التاريخ العام ولا تزال علومنا البشرية عاجزة عن تعيين زمن نشأتهم . إن اقدم الآثار المصرية تصور لنا هذا العنصر بلون أحمر معتم لايمكن اعتباره قافقاسيا بحتا ولا زنجيا خالصا وفي عهود العائلات المتوسطة ازداد مقدار امتزاج الزنجى بالعنصر المصري كما أن وجوه العنصر السامى النحيف صارت تصادف على عهد ازدهار الامبراطورية) يعنى أن كلا المؤلفين يصرحان بوجود الدم الزنجى والحامي والسامي في بنية الشعب المصرى وسيرى القارىء أن هذه العناصر هي المكونة لسكان السودان وجاء في ص ١٠ من كتاب فلسفة التوراة لمؤلفه (باول دويسين) « أن بلاد وادى النيل كانت مأهولة من أقدم أزمنة التاريخ بشعب له كعب عال في المدنية تشهد له بذلك آثاره العديدة التى خلفها حتى الآن ولقد كانت الطبقة الأولى أو الأساسية في بنية هذا الشعب افريقية ثم اختلط بها قبيل الازمنة

التاريخية عنصر آخر ربما كان ساميا لأن اللغة المصرية مع كونها غير سامية ترى من بنيتها مشابهتها للغات السامية » ومعلوم لنا أن المقصود من قوله طبقة أفريقية يعنى زنجية لأن كل من يقرأ كتب تقويم البلدان يعرف أن افريقيا تسمى القارة السوداء لأن أكثر سكانها من الزنوج أو السودانيين .

(٩) جاء فى ص ٤٦ من الجزء الأول من تاريخ مصر القديم لمؤلفه راولنسون أن أصل قدماء المصريين رغم رواية دويدوروس يرجع الى أسيالا النوبة وقال بعدئذ « إن أهم الصفات المميزة للمصريين يمكن إرجاعها الى مؤثرات الاقليم وطرز الحياة من جهة ومن جهة أخرى من التزاوج والامتزاج بالعناصر الأفريقية الأخرى التى كانوا لا يترفعون عن التزاوج معها قط ومن هذا نجمت سمرة بشرة الشعب المصرى وسمك شفات أفراده وتبدل نوعا ما شكل أعينهم . . وقال يظهر أن المصريين كانوا من أشد الشعوب التي تماس معها قدماء سكان اليونان سمرة حتي أن هيرودوت يسميهم بسود الجلود (هيرودوت الكتاب الثاني بند ١٤٦) بيد انى أعتقد أنه قد بالغ في هذه الصفة كمبالغة من ينعت جميع أهالى الهند بالسود » وجاء في ص ٤٣٠٦ من الجزء السابع من Annals of Archaeolog بحث مطول عن العلاقات العنصرية بين قدماء المصريين والعناصر البائدة استخلص منه المؤلف أن قدماء المصريين كانوا مزيجا من الزنوج وقبائل البجا سكان الصحارى الشرقية وقد أكد سيليجمان في بحثه المذكور أن

كل من كان فى الرسوم المصرية صابغا شعر لحيته في شمال مصر أو جنوبها أصلهم من قدماء المصريين الذين اختلطوا بالزنوج جنوبا وبعناصر أخرى فى الشمال . والآن أقدم للقارىء أهم أراء الباحثين بايجاز نقلا عن كتاب موضوع أصل قدماء المصريين لمؤلفه Stehr ص ١٨ (١) أن (E. Schmedt) يعتقد أن العنصر المصرى ثابت الشكل لم يطرأ عليه تبدل جدير بالذكر بيد أن بعض أفراده أشبهوا النوبيين وأن وجه المصرى بيضاوى قليل العرض وصغير العينين قليلة الارتفاع ومن يختلط بالنوبيين يصير نسله عريض الوجه والأنف (٢) سنة ١٨٤٤ أعلن (Morton)أن الشعب المصرى عنصر قافقاسى مركزه بين الساميين والأوروبيين وأن أقباط مصر مزيج من الزنوج والقافقاسيين وأن الأجسام الغليظة بين افراده منشؤها اختلاط المصريين بالزنوج والنوبيين (٤) فى سنة ١٨٨٨ أعلن (E Schmedt) أنه وجد الشعب المصري مكونا من ثلاثة عناصر عنصر مصرى بحت وآخر نوبي بحت وثالث مولد من اختلاط الاثنين (٥) فى سنة ١٩٠٥ أعلن (Thomson & Romdall Maciver) ان سكان مصر العليا كانوا منذ القدم مكونين من عنصرين الأول زنجى وجهه وأنفه عريضان والثانى مصرى وجهه طويل وأنفه رفيع وفى نفس السنة صرح (Maciver) بأننا لو قارنا مقاييس عظام قدماء المصريين لأول عهود التاريخ نجد أن أقدم السكان بها كانوا ليبيين ذوى رءوس طويلة وأنوف عريضة ثم هاجر اليها البونيين من جنوب جزيرة

العرب ذوى الرءوس والجماجم، العريضة والأنوف الرفيعة وفي الزمن الواقع مابين العائلة السادسة والثانية عشر تم عصر دور الامتزاج والتصالب بين هذين العنصرين . قال هذا مع أنه في سنة ١٩٠١ كان ينفى وجود العنصر الليبى بمصر ويصر على أن الشعب المصري كان خليطا من الزنوج والساميين .

(٦) سنة ١٨٩٧ صرح شواينفورت أن الشعب المصرى كان مكونا من ثلاثة عناصر عنصر قديم جمجمة أفراده قليلة الارتفاع وعنصر ليبى وثالث من بدو الشرق أو الحاميين سكان الصومال والحبشة والنوبة ومصر واعتبر منشأ العنصر الثالث اليمن .

(٧) أما فليندر بيترى (من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠١) فيقول ان سكان مصر كانوا مزيجاً من ستة عناصر تمتاز عن بعضها بتفاسير الوجه وشكل اللحية والملبس فالعنصر الاول أشقر اللون وشعره ذهبي فاتح أنفه منقارية وهذا العنصر هو رهينو (Rehenu) وأنهم كانوا أقارب الاوروبيين والليبيين بل والسوريين وكان يعيش بجوارهم في ازمنة قبل التاريخ أسلاف الأقزام ومزيج من الزنوج والمؤلف لايريد استعمال اسم البربر لهم لان هذا الاسم يشمل كل من الليبى الاشقر والنوبي الاسمر والعنصر الثاني ذو اللحية المزدوجة كان شعره خشنا وكان يرسل لحيته وأنفه ضخم ومستقيم وذقنه بارزة الى الامام قليلا وشفتاه ضخمتان وجمجمته قليلة الارتفاع وهو شعب فاتح ومسكنه كان بساحل البحر الأحمر والعنصر الثالث ذو أرنبة الانف المدببة كان يقصر شعره تاركا ضفيرة وعلو جمجمته متوسط

وكان شعره صوفي النوع وكان يدفع الجزية والعنصر الرابع ذوالانف المائلة الى جنب أو البطشاء كانت ذقنه منخفضة وارتفاع جمجمته قليلا وشعره جدائل طويلة ولحيته قصيرة قليلة العرض وكان هذا العنصر فاتحاً وعند ظهور العائلات المالكة بمصر كان محتلا للفيوم ومصر الوسطى والعنصر الخامس ذو اللحية البارزة للامام كانت جمجمته قليلة الارتفاع ويقطن في غرب الدلتا والعنصر الذى كانت قناة أنفه مستقيمة وهو الذي أسس العائلات المالكة وكانت جمجمته قصيرة وشعره طويل ولحيته قصيرة وقليلة العرض وأول ظهوره بوادي النيل كان عند ابيدوس ثم توسع بالصعيد والدلتا ويظهر أنه جاء الى مصر من وسط ساحل البحر الأحمر وعلى عهد العائلة الرابعة تصالبت وتمازجت هذه العناصر الستة ونشأ من اختلاطها العنصر المصرى المعروف وأضيف الى ذلك بعض آراء كبار العلماء نقلا عن كتاب مقابر أبى صير الملأ التى يرجع عهدها الى ما قبل ازمنة التاريخ لمؤلفه فردريك موللر اختصر منها على رأى (B. Destikiny) الذي اثبت فى سنة ١٩٠٩ أن العنصر المصرى مزيج من (Bushman) سكان الادغال والزنوج والليبيين والحاميين والساميين ورأى اليوت سميت الذى أعلنه سنة ١٩١٠ بعد فحصه مقابر أعالى النوبة قبل أن تغمرها مياه خزان اسوان يعنى بجهات الشلال والكلابشة فقال أنه من المستحيل تعيين عنصر قدماء المصريين من الازمنة المنصرمة قبل بدأ التاريخ لعدم عثورنا بالبلاد المجاورة على آثار يمكننا معها المقارنة

والاستنتاج ولكنه رغم ذلك يحكم بفضل نتائج أبحاثه بنجا الدير والشلال بانهم كانوا أقارب البربر في الغرب والساميين في الشرق ويصرح بانه لم يعثر بمصر ولا بالنوبة على آثار العنصر الزنجي ويقول أنه عند بدء العائلات المالكة وقعت هجرتان الى مصر واحدة من الشمال والاخرى من الجنوب والثانية جاءت الى مصر بمقادير كبيرة من الدماء الزنجية التي امتزجت بالعنصر المصرى ومع هذا لم يتبدل شكل العنصر المصرى القديم بالزنوج الذين هاجروا الى مصر ومن الغريب أن اختلاط الزنوج المذكور مع العنصر المصري كان اكثر مما وقع ببلاد النوبة حتى أن النوبيين صاروا بعد ذلك أقرب الى المصريين القدماء من سكان واوى النيل الحديثين »

هذا ما يقوله أكبر ثقة انجليزى ومع هذا يتشدق بنو قومه مدعين أن العنصر المصري لاعلاقة له بالسودانى . إن نفس كلمة مصر التى عجز أكثر الباحثين عن إدراك معناها تدل وحدها على حقيقة العنصر المصرى إذ أن معناها فى اللغة السنسكريتية المزيج أو المخلوط كما أن كلمة (قفط) جبت أو ايجبت التى أطلقها اليونان على مصر معناها باللغة السنسكريتية المحروسة أو المحفوظة وهى خير صفة لطبيعة وادي النيل ومن البدهى أن العنصر المخلوط أو الممزوج كان مركباً من العناصر المجاورة من شمال أفريقية والنوبة والسودان وبلاد البونيين والساميين كما سبق بيان ذلك وما دام محروساً في هذا الوادي الخصب الذي صانته الطبيعة بسلاسل الجبال شرقا وغرباً والصحارى شرقاً

وجنوبا والبحر شمالا فلا عجب إذا تم تصالبه بسرعة في أزمنة قبل التاريخ ولا غرابة فى هضمه كل العناصر التى تختلط به بمقادير صغيرة وما دام العالم قلما يوجد به عنصر نقى من كل شائبة اختلاط فلا معنى لتوهم البعض أن الشعب المصرى مكون من عنصر واحد كما أنه من الخطأ القاحش الاعتقاد بأن السودان اسم عنصر لأن المقصود من الأسم سود البشرة أو سمر الجلود سيان في ذلك القبائل السامية والحامية والزنجية ولقد ذكرت فيما سبق أن كلمات زنجي ونوبي واتيوبى كانت مرادفة للكلمة العربية سوداني وأزيد على ذلك أن قدماء المصريين كانوا يطلقون على السودان اسم نوحاسى أو نحسى وقد قال لنا أستار فى ص ٢٣ من كتابة موضوع عناصر قدماء المصريين ان كلمة نحاسى Nahasi لم يكن تطلق لدى قدماء المصريين على الزنوج والنوبيين بل كانت تشمل جميع سكان كل الأقطار الواقعة فى جنوب مصر وهذا يذكرنى بكلمة يم في اللغة العبرية فانها كالعربية معناها البحر وبما أن البحر واقع فى غرب فلسطين فقد استعملت بمعنى الغرب ومن ذلك أرجح أن قدماء المصريين كانوا يطلقون الكلمة على بلاد الجنوب (يدخل فيها بلاد البونيين (Punt) ولكن نظراً لكثرة سمرة أهل هذه الأرجاء صارت مرادفة للسودان كما أطلق اسم الذهب (نوبة) على سكان البلاد الموجودة بها فصرنا نسميهم اليوم النوبيين وعليه يلزمنا أن ندقق بايجاز فى العناصر المكونة للشعب السوداني حتي نحكم بأنه والشعب مكون من نفس العناصر فمثلا معجم

تقويم البلدان لمؤلفه أيوالدبانزى Ewald Banse ينص ص ٣٨٢ على مايأتى : —

أما سكان السودان ففي جهات المستنقعات وأراضى الجنوب الرطبة مكونون من قبائل زنوج أعالى النيل وهذه القبائل بعضها زنجي الأصل كالدنكة والبسارى وبعضها مزيج مع العنصر الزنجى كالشلوك واللور والفنج (Fundsch)وفي الأراضى الشمالية اليابسة تقطن قبائل حامية استحالت الى زنجية مثل أهل النوبة الحضر والبدو الباجا حتى أن الانسان ليري بين قبائل البجا وجه العربي وشعر الزنجى وشفتيه فى نفس الشخص الواحد واثار العرفان بالسودان مصدرها العرب امثال بنى عمرو والكبابيش والشكرية والعنصر الحاكم بكردفان ودارفور هو العربى الذي أدخل الاسلام الى جوف افريقيا وجاء فى كتاب اليوزباشى (Colborne) المسمى مع هيكس باشا في السودان ص٩ — ١٤٤ العبارات الآتية :

ان العرب دخلو السودان من الشمال واكتسحوا البلاد فاضطرت القبائل الزنجية ان تنجلى الى الجنوب أوتصبح رقيقا للفاتحين ولما استولت جيوش الاوروبيين على فلسطين أبان الحرب الصليبية هاجر الى مصر اكثر من كانوا بها من العرب وبعدحين نزحوا الي السودان وبالتدريج انتشروا جنوبا الى خط العرض درجة عشرة شمالا ولما حاولوا ان يتعدوه وجدوا جمالهم تهلك من جراء المستنقعات فعادوا الى الشمال والتحقت بهم قبائل عربية أخرى استقرت في كردوفان

ترعى ابلها بينما الزنوج هاجرت الى دائرة الدنكة .. أن اصل سكان كردوفان كانوا نوبيين ولا يزال منهم حتى اليوم شعبة في جبل نوبة الواقع فى جنوب كردوفان . . . أن الفاتحين تزاوجوا مع الاهالى الاصليين وفي شرق العطبرة توطنت عدة قبائل عربية ثم استولت على سنار وتوابعها . . . بعد مرور عصور وأجيال اختلط ابانها العرب بالزنوج وامتزج دم الاثنين ونتج نسل مولد بيد أنه رغم ذلك لا نزال نرى عرب السودان أسيوى الخلقة والعادات والصفات الخ أن من يضم الى ماتقدم أقوال غلاسر وديودوروس وهيرودوت بشأن الاثيوبيين أو البونيين ويذكر تلقيب شوا ينفورت للبمن بانها معمل البشر الذى طالما قذف أمواجه وطغت سيوله على أسيا وأفريقيا وعرف ان قبائل البونيين بعد أن افتحمت بوغاز باب المندب وتصالبت مع بقية العشائر الحامية ذهبت شعبة منها الى مصر بينما الشعبة الاخرى اكتسحت كل افريقيا في المناطق الواقعة في جنوب الصحراء الكبرى وشمال بحر الغزال حتى وصلت المحيط الأطلسى مكونة الحكومات الافريقية المختلفة حتى أن من يراجع تاريخ السودان أو سياحات ناختينجال أو سياحات بارت فى أفريقيا يجد أن كل القبائل العربية ببورينو وصهاجة وتمبكتو والنيجر الخ اصلها من جنوب بلاد العرب يعنى من أصل قحطانى أو بونى وأما عرب الشمال فهجرتهم الى السودان كانت بعد الاسلام. من كل ماتقدم نرى أن العناصر المكونة للشعب السودانى هى نفس العناصر المكونة للشعب المصري

يعنى الزنوج فالحاميين فالبونيين فالعرب ولهذا يحكم كل منصف بان الشعبين من عنصر واحد ولذا لم يتردد المدقق الكبير جوستاف ناختنجال في الجزء الاول من كتابه المسمي الصحراء والسودان ص ١٨٦ من التصريح بالحقيقة الآتية : أن من يعقب مجرى النيل في مصر صوب منابعه يمكنه أن يقنع باستحالة تعيين الحد الذى انتهى عنده صعيد مصر وسكانه وابتدأت به برابرة النوبة وقبائل البجا وكذلك لا يمكنه أن يبين أين تنتهى دير أولئك القوم وتبدأ مناطق الزنوج لان التوبو أو الدارا سكان الجنوب أقرب الى الزنوج من اخوانهم الشماليين التيدا بينما إذا ما وصل الانسان الى منطقة زوغارا في شمال دارفور يحار في أمره ولا يستطيع البت في أمرها ولا لأى الفريقين ينسبها وكذلك الفرق بين قبائل الطوارق المتوطنة ببلاد السواحل الشمالية الافريقية وبين اخوانهم بالصحراء عظيم جداً حتى ليتخيل للناظر انهما عنصران مختلفان مع أن قرابتهم العرقية مسلم بها : من كل ذلك نرى أن امتزاج طبقات العنصر يتدرج بشكل يستحيل تعيين حدوده ولمن شاء دراسة قبائل السودان المختلفة ومعرفة قرابتها العرقية وعاداتها أن يطالع كتاب شواينفورت المسمى «في قلب أفريقية» أو الرسالة الصغيرة الوافية التي كتبها الاستاذ هرتمان (R Hartman) سنة ١٨٨٤ والتى أتمنى أن تعرب وتدرس بجميع مدارس مصر حتى يعرف كل مصرى الحقائق اللازمة عن اخوانه سكان بلاد النيل واسم الرسالة (سكان حياض النيل Die Nillander)

(١) يقول لنا السير هارى جونسون فى كتابه المسمي مبحث النيل المطبوع بلوندرة سنة ١٩٠٣ (إن أول سكان مصر وحياض النيل أصلهم من الهند دخلوا أفريقيا عن طريق برزخ باب المندب قبل تحوله الى بوغاز وأنهم كانوا من عنصر الأقزام الذين تشاهد بقاياهم حتى اليوم بالكونغو وجنوب أفريقيا وحوالى سنة ٧٠٠٠ قبل الميلاد كان عنصر البوشمان هو المكون لأكثرية سكان مصر المستضعفين لأقوام هاجرت إليها تكاد تكون قوقاسية بحتة جاءتها من بلاد الصومال والجالا فكونوا أغلبية الشعب المصري ولاتزال بقاياهم موجودة الى اليوم ببلاد الصومال والحبشة وامتد نفوذهم حتى بلاد الزولو جنوبا والمحيط الاطلسى غربا وهذا العنصر هو العنصر الحامى دعامة الشعب المصري وبالرغم من توغل قدماء المصريين بالسودان وزنوج مناطق خط الاستواء وبالرغم من وجود دماء زنجية في عروق أجدادهم الحاميين وبالرغم من تمثيلهم للزنوج القدماء وبالرغم من استجلابهم الزنوج إلى مصر فقد كان قدماء المصريين عنصراً قوقازيا بحتاً . وبعد حين انقطعت العلائق بين المملكتين ولما ظهرت المدنية المصرية سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد تأثر بها الزنوج في الجنوب والليبيون في الغرب وتعلموا من المصريين صناعة المعادن والحرف الأخرى) .

هذه شهادة علامة انجليزى اشتغل زمناً بدرس هذا الموضوع تقرر لنا العلاقة العرقية ومبدأ الروابط التاريخية بين البلدين بشكل

لايستطيع المكابرون انكاره وبما أنى أتبع فى التاريخ المصرى القديم قاعدة فليندر بيترى فى تاريخ الوقايع أضيف الى النتيجة التى ذكر جونسون ١٤٦٠ قبل الميلاد على الأقل وأبين للقارىء أن سبب انقطاع العلائق بين القطرين قبل ظهور المدنية المصرية منشأه تأثير طبيعة القطرين وطراز معيشة أهل البلادين فبلاد مصر ضيقة لا تكفي لحياة الرعاة بخلاف السودان وفيضان النيل يحتم على سكان مصر تكوين حكومة مركزية قوية تسوس شؤونها الزراعية وتدبر ادارة مياهه فالعلاقة كانت بين القطرين متينة أبان بداوة الاثنين وضعفت حيناً بتوطن المصريين وبقاء سكان السودان مشتغلين بتربية مواشيهم ولكن ظهور المدنية المصرية في منتصف القرن السبعين قبل الميلاد اعادت العلاقات بينهما ولكن على أساس تغلب المدنية على الهمجية وسعى المتحضرين فى صد غارات البدو واخضاعهم للنظام والقانون . ومن الغريب أن انقطاع العلائق لسبب اختلاف طرز المعيشة نشاهده في الحيوانات والطيور والنباتات بل والعادات فمثلا كل من يطالع تاريخ مصر لمؤلفه برستيد وايرمان وماسبيرو يرى أن أكثر الحيوانات المفترسة كالسباع والفيلة كانت هى والزرافة حتى مبدأ عهد العائلات المالكة موجودة بمصر وصحاريها ولكنها اندرست أو هاجرت الى الجنوب فلا أثر لها اليوم بمصر بينما هى تعيش بالسودان وكذلك فرس النيل والتمساح كانا بالنيل بل بالوجه البحرى حتي منتصف القرن التاسع عشر ولا أثر لها اليوم في شمال

اصوان ونوع من أبي قيردان لايوجد إلا بأعالى النيل الأبيض والبردي الذي كان الورق يصنع منه لا يوجد إلا بأعالى النيل وكذلك قوارب البردي التى ترى رسمها بالآثار المصرية توجد ببحيرة تسانا أو دنبعة . وكذلك القوارب المكونة من حزمتى الغاب مستعملة حتى الساعة ببعض جهات النوبة ولا أثر لها بمصر فلا عجب إذا رأينا البوشمان أقدم سكان مصر وأمهر الصيادين بفطرتهم قد بادت آثارهم من مصر بل وأكثر أقطار أفريقيا لعدم ملاءمة بلادنا لطرز حياتهم بعد ما حدث فيها من تقلبات اجتماعية وطبيعية بيد أن ذلك لاينفي القرابة العرقية بين المصريين وبينهم ويؤيد ذلك.

(٢) ما كتبه العلامة بدج في الجزء الثاني من كتابه تاريخ السودان المصري ص ٤١٣ ، ٤١٤ وإليك ترجمته (إن الآثار المصرية تبرهن لنا على أن عنصرين كانا منذ القدم يسكنان بحياض النيل من البحيرات الكبرى بخط الاستواء حتى منتصف صعيد مصر وكان قدماء المصريين يسمونها (نحسو) يعنى السودانيين أو السود أما أحد العنصرين فكانت له جميع مميزات الزنوج من شفاة سميكة وشعر صوفي وأنوف فطساء الخ بينما العنصر الآخر بالرغم عن سواد بشرته تنقصه كل صفات الزنوج . وكان العنصر الزنجي فى الغالب يسكن في المنطقة الواقعة في جنوب دار فور وكوردوفان حتى خط الاستواء ويكون أجداد الامم الزنجية الممتدة اليوم من سنغامبيا غربا حتى الحبشة شرقا بينما العنصر الآخر الاسود البشرة الغير الزنجي

(منه كثير لونهم نحاسى أو بنى) فكان يعيش في المنطقة الواقعة في شمال منطقة الزنوج ويمتد شمالا على الأقل حتى أسيوط إن لم نقل أبعد منها كثيراً الى الشمال ومن البدهي أن هذين العنصرين كانا دائماً يتزاوجان فيما بينهما . ومن المحقق أن العلائق بين بلاد مصر وأعالى النيل كانت وثيقة وقديمة . وكان الزنوج كما هم اليوم وثنيين يعنى أن عزائمهم السحرية لم ترتق إلى درجة الدين ولا شك فى أن كثيراً من مراسم وطقوس الديانة المصرية القديمة مأخوذة من سحر زنوج أفريقيا الوسطي) وقوله فى ص ١٤٦ من نفس الجزء ما يأتى :

(إن بينات الآثار المصرية تبرهن على ان وادي النيل جميعه كان مأهولا قبل ظهور العائلات المالكة بالزنوج أو بقوم سود أو بني البشرة مثل سكان النوبة خصوصاً سكان سكوت و (محص) ونوبي دارفور وأنهم تزاوجوا مع سكان الصحارى شرقا وغرباً ثم جاءت هجرة من الشرق إلى صعيد مصر تحمل معها مدنية أرقي والكتابة وأصول زراعية أعلى ومعرفة بعض الصنائع والحرف فأسسوا العائلات المالكة) من كل ذلك يري القاريء أن سكان مصر والسودان والحبشة والصومال كلها من العنصر الحامى المشوب بقليل من دم الزنوج . وان هذا العنصر كان قوام سكان السودان المصري وهذه الأرجاء قبل توطن الزنوج بها وان تزاوج العنصر الحامى بالزنوج في السودان من جهة وباخوانهم سكان مصر من جهة أخرى

قد أوجد لحمة قرابة بين الجميع لا يمكن فصمها قط مهما حاول الغاصبون وان هذه القرابة الموجودة منذ بدء الخليقة استمرت الى اليوم وما زادتها العصور التاريخية التى سنقص علي القاريء أنباءها إلا متانة وقوة.

معبودات مصر سودانية — معبودات مصر بالسودان — معرفة مصر لمنابع النيل — قرسية — كلمة هذه الارجاء فى نظر المصريين

عرف القراء أن مصر والسودان في عرف العلم والتاريخ شعب واحد وقرأوا فيما سبق أن جميع سكان مصر كانوا من عنصر البوشمان ولكنى سمعت بعض البسطاء يعجبون من كون المصريين أرباب المدنية العالية والعلوم الراقية يمتون بنسبهم الي سكان مجاهل أفريقيا الغارقين في بحور الجهل والهمجية ولكنى ألفت نظر هذا المعترض إلى أن المدنية عارية اكتسبها المصريون بذكائهم فى بحر عصور طويلة وإلا فأجدادهم كانوا هم وسكان السودان واحداً فى كل شيء وها هو العلامة ماسبيرو يقول لنا في كتابه المسمى فجر المدنية ص ٥٢ (إن لدينا من الاسباب المتينة ما يجعلنا نحكم بحق بأن أجداد قدماء المصريين كانوا نصف متوحشين مثل سكان مجاهل أفريقيا وأمريكا لهم من التشكيلات الاجتماعية والأسلحة والآلات مثل مالدى أولئك) ويقول في ص ٥٣ (كان رجال مصر القديمة يسيرون كما

ولدتهم أمهاتهم عاريى الأجسام ماعدا الامراء والاعيان فكانوا يتزيون بجلود الفهود يأتزرون بها حيناً ويحملونها على أكتافهم أخرى والذيل يمس كعابهم كما نشاهد. فيما بعد فى صور زنوج مناطق أعالى النيل وكانوا يدهنون أجسامهم بالشحم والزيت ويوشمون وجوههم وفي بعض الاحيان أجسامهم بيد أن هذه العادات زالت مع الزمن ولم يبق لها أثر إلا بين الطبقات الدنيا) من كل هذا نجد أن المصريين كانوا صورة طبق الاصل من سكان أواسط أفريقيا خصوصاً أعالى حياض النيل ولمن شاء أن يراجع كتاب الجغرافيا العمومية لمؤلفه أليس ركلوس ج ٩ ص ١٤و١٥٨ و ١٦٥ و ١٧٥ و١٧٨ وما يليها . ومع هذا فنفس أساطير قدماء المصريين تشهد صراحة بذلك جاء فى ص ١٧٤ من كتاب فجر المدنية لماسبيرو العبارة الآتية :

(كان قدماء المصريين وقتئذ نصف متوحشين وكانوا من أكلة لحوم البشر وان عاشوا أحياناً على ثمار الارض فانهم لم يكونوا قط يفلحونها أو يزرعونها فعلمهم أوزيريس صنع آلات الزراعة — المحراث والفاس — وعلمهم فلاحة الحقول وزراعة الحبوب وحصادها وزراعة الكروم وأرجعتهم ايزيس عن أكل لحم البشر وشفت أمراضهم والسحر وعلمتهم قاعدة الزواج الشرعي وكيفية طحن الحبوب بالرحى وصنع الخبز من الدقيق واخترعت النول بمعاونة شقيقتها نفتيس وكانت أول من نسج الاقمشة وصبغها ولم يكن للمصريين

دين حتى وضع أوزيريس لهم الشريعة وعلمهم الطقوس الدينية وكتب لهم أسفار الدين وشيد المباني فى طيبة الخ) هذه الاسطورة الدينية تبرهن لنا على صدق القرابة بين مصر والسودان وترينا نوع العلائق المتينة بين البلدين حتى قبل أن يبدأ عهد التاريخ المعروف ولكن مما يزيد هذه العلائق وضوحا ويبرهن على استحالة التفريق بين المصري والسودانى أن يعرف القارىء أن أرباب مصر جلهم ان لم يكن جميعهم من السودان وان أرباب الزنوج كانت لهم من الحرمة بمصر مثل ما كان لها بالسودان وان معبودات مصر كانت محترمة ومعبودة في أرجاء السودان مثلها بمصر بل ان عبادة أوزيريس السودانى بمصر وآمون المصرى بمروونباتا بالسودان بزت تقريباً كل ماعداها بتلك الأرجاء فلا غرابة اذا رأينا شامبليون يقول في كتابه المسمى (خطابات كتبت بمصر طبعة ثانية بباريس سنة ١٨٣٣ ص ١٥٧) (إن هذه المعبودات قد قسمت أرجاء مصر والنوبة (يعنى السودان) فيما بينها حتى كأنها ملوك أقطاعيات اقتسمت ادارة البلاد فيما بينهم) واذا كانت الأرباب بالقطرين من أسرة واحدة كما رأيت فعبادهم كذلك تبعاً لقاعدة الطوطمة التى تجعل عباد كل رب من سلالته

قلنا فيما سبق أن هاتور وشجرة الجميز المقدسة وعدة من معبودات مصر كلها من بونت وأن الصل والتمساح وفرس المقدسة بمصر أصلها سودانية ، واليوم أود أن أثبت للقارىء أن أوزيريس ، وايزيس

وحوروس أيضاً سودانية يعني إن أكبر معبودات مصر سودانية وبما أن عهد دخول ديانتها الى مصر يرجع الى قبل أزمنة التاريخ فيرى كل منصف أن العلائق الدينية والمعنوية بين البلدين ترجع الى مبدأ الخليقة رغم مكابرة الغاصبين وجشع مستعمري الانجليز . جاء في ص ١٧٣ من كتاب فجر المدنية لماسبيرو (ولقد كان أوزيريس جميل تفاسير الوجه اسود البشرة الخ) وجاءت نفس هذه الاوصاف أيضا في كتاب (قصة ايزيس وأوزيريس) طبعة ليمان بند ٣٣ ص ٥٧ وجاء فى كتاب (أخلاق المصريين وعاداتهم) لمؤلفه ويلكينسون الطبعة الثانية ج ٣ ص ٨١) إن أوزيريس يصور دائماً بوجه اسود وأيد سوداء أو خضراء اللون مثل أرباب الموتى ولعل ذلك هو السبب فى الاعتقاد بأنه كان أسود) واعتقد ماسبيرو أن سمرته واسوداده تشبها بوجه المومیا ولكنى أعتقد عكس ذلك. يعنى أن لون المومیا الاسود لم يعمله المصريون إلا تقربا من أوزيريس إله الموتى ومما يبرهن ذلك أن أكثرية المصريين قبل العائلات المالكة كانوا من البوشمان أو العنصر الاسود غير الزنجى وكان أحب المعبودات إليهم أوزيريس ابن جلدتهم حتي انهم بالرغم من سيطرة العائلات المالكة وبالرغم من سمو دين معبودهم رع استمرت الاهالى على عبادة أوزيريس بل واستحالت جميع صفات رع وتعاليمه لأوزيريس ولمن شاء الوقوف على تفاصيل هذا التطور الدينى أن يطالع الفصل الممتع المسطور في كتاب (نمو الديانه المصرية ورقيها التدريجى)

لمؤلفه بريستيد . من كل ماتقدم نتأكد أن أوزيريس منقذ مصر من الهمجية وايزيس شقيقته مخرجتهم من الوحشية كانا من العنصر الاسود الذى قلنا أنه غير زنجى وأن أكثرية سكان السودان ومصر منه

أما حوروس معبود مصر الشجاع رب الفروسية والوطنية الحقة الذى أجلى عن مصر اتباع ست المفسدين فقد كان رب مؤسسى العائلات المالكة التى جاءت الى مصر تحمل الحديد وصناعة التعدين والصيقلة من أعالى النيل بناء على أقوال العلامة نافيل فى مقالته البديعة المنشورة فى مجلة (ريفيو أرشيولوجيك سنة ١٩١٣) ص٥٢ و٥٤ ومنها نفهم أن عبدة أوزيريس وايزيس أقدم سكان مصر وان عبدة حوروس كانوا من نفس العنصر الاسود الغير الزنجى شاركوا اخوانهم في تطهير البلاد من العنصر الضار الاشقر اللون الاحمر الشعر عباد « ست »

قد يقول البعض أن هذه الارباب وان تكن سودانية الأصل إلا انها توطنت بمصر وانقطعت كل علاقاتها بالسودان فلا معنى لاعتبارها من معبودات السودانيين فهل لديك أدلة أخرى تبرهن على تقديس المصريين لارباب السودان فى الازمنة التاريخية وجوابي عليه بالايجاب الذى لايقبل أى نقض . جاء في مخطوطة الاهرامات طبعة ماسبيرو السطر ١٩٩ وما يليه من مخطوطة اهرام بيبى الاول هذا نص تعريبه : ان « خنسو » يعني انحا حاكم بلاد الجنوب أو

(طيطوني) العظيم حاكم تا كنسيت أو « سيت » الماثل تحت أشجاره يحيون ويجلون بيبى هذا ويقيمون السلم لبيبى هذا) وقد علق بودج فى ص ٧ — ٥٢٦ من كتاب تاريخ السودان المصرى على هذا النص بقوله « ان المعبود خنسو الملقب بأنحا كان أكبر معبودات السودان وطيطون معبود المنطقة الواقعة بين الشلالين الأول والثاني وسيت كان معبود الصحراء الشرقية وشرق الدلتا والجاليات المصرية بطورسينا والسلم اشارة الى الاسطورة الدينية القائلة بأن أوزيريس استعمله في صعوده من هذه الدنيا الى السماء عند موته بزملة حوروس وسيت » واننا لانعرف هل أراد مؤلف هـذه العبارة المسطورة باهرام بيبى الأول أن يقدمها كتحية للشعب السوداني أم أراد أن ينبئنا بأن سيطرة ملـكه قدشملت كل السودان وأهله بل ومعبوداته أيضاً ؟ وعلى كلتا الحالتين فان هذه العبارة ذات أهمية مخصوصة فهي أول مرة على ما أعرفه ذكر فيها اسم المعبود طيطون وتبرهن لنا على إن المصريين كانوا يعتبرون معبودات السودانيين من القدسية والأهمية بحيث تستحق الذكر بين آلهة مصر وان الرمز المستعمل لاسم المعبود خنسو في هـذه العبارة يصادف في اهرامات مرو (اهرام بمرة ١ من الزمرة الشمالية) وهذا أحد الرموز الأربعة التى كانت الكهنة تحملها فى الاعلام أبان الطقوس الدينية ومن هذا

نعرف أنه استمر كأحد معبودات السودان الأربعة المهمة حتى على عهد حكومة مرو مع حداثته) أظن أنه لامعنى للتعليق بعد اعتراف أكبر ثقة انجليزى فى هذا الباب بالحرمة المتبادلة بل بالاخوة الدينية منذ القدم بين الطرفين والتى استمرت الى قبيل ظهور النصرانية والاسلام فسيري القارىء عند ما نذكر له أعمال الملوك الفاتحين أنه مامن ملك مصري شيد بالسودان معبدا إلا وجعله لعبادة رب سودانى ورب مصري كما انه مامن ملك إثيوبى إلا وفعل مثل ذلك بمصر رغم كل ماوقع بين الطرفين من حروب لاعتبارهم أن الخلافات الوقتية والمطامع الشخصية لاتؤثر على أواصر القرابة والأخاء بين الشقيقين .

ومن الغريب أن احترام المصريين لم يكن قاصراً على أرباب السودان بل تعداه الى تقديس أشخاص بعض قبائل السودانيين كما ان السودانيين عبدوا بعض ملوك مصر لانهم بتوغلهم في تلك الأرجاء نشروا بينهم العلم والمدنية وأخرجوهم من الظلمات الى النور كما سنبينه فيما بعد

جاء فى ص ٥٢٣ ـ ٥٢٤ ج ٢ من كتاب تاريخ السودان المصرى لمؤلفه بودج العبارة الآتية .

(لقد ذكر العلامة ماسبيرو فى الجزء السادس ص ٤٣١ من مباحث الميتولوجى) أن صورة القزم الذى يدخل السرور والبشر على قلب الملك ممثلة في صورة المعبود « بس » الذي نبصر تماثيله

على شكل قزم مفتول العضلات قوي البنية كبير الرأس عريض الوجه ملامحه تسر أحيانا وتنم عن الفروسية وحب الحرب أحيانا أخرى .

إن القزم فضلا عن ادخاله السرور على قلب الملك كانت له أهمية أخرى ألا وهي قدومه من أرض الأرواح التى كانوا يعتقدون وجودها بين نهاية هذه الدنيا ودار الآخرة وبالقرب من جزيرة المسعودين الناجين (سكان الجنة) فالقزم العارف برقص الرب بس الذي كان يفرح به المعبودات كان قدماء فراعنة مصر يرون منتهى الشرف جعل أنفسهم مكانه لأنهم كانوا يرجون أن يتعلموا منه هذا الرقص الذى سيبسط الرب أوزيريس رب الميعاد الذي سيحاسبون بحضرته بعد مفارقتهم هذه الحياة الدنيا .

وقد أبان لنا ايرمان فى ص ٥٧٩ من مجلة المجمع الشرقي الالماني ١٨٩٢ أن الملك بيبى الاول والملك مرنرع من فراعنة العائلة السادسة قد جعلا نفسيهما (كما أوضحت لنا نصوص الأهرامات) هما والقزم شيئا واحدا حتى في البدن بغية جعل الأرباب الذين سيحملونهما إلى محكمة أوزيريس يسرعون بنقلهما الى حضرته لعلمهم بأنهما سيدخلان على قلبه السرور برقصهما وكانا يطمعان أنه متى سر منهما يغفر لهما ذنوبهما ويصدر حكمه بادخالهما جنة الأبرار . ان هـذه النصوص كتبت قبل وصول قزم حرخوف إلى منفيس ومن المؤكد أن القزم الذى جلب إلى مصر على عهد الملك أسا (من العائلة الخامسة)

لم يكن الأول من نوعه في القدوم إلى مصر فى عهد العائلات »

ومن هذه الفقرة نعرف أن رقص الاقزام كان محبوبا لأوزيريس وبما أن عبادته بمصر كانت من قبل أزمنة التاريخ فلاشك في أن علاقة مصر ببلاد الأقزام ترجع إلى هذا العهد ولاعجب اذا سمعنا بريستيد عند كلامه على حكام أسوان في كتابه تاريخ مصر يلقبهم بأنهم أول مكتشفى مجاهل أفريقيا . والآن أذكر للقارىء وصف بلاد الأقزام نقلا عن أكبر كشاف انجليزي عرفته افريقيا وأعنى به استانلى . جاء في الجزء الثانى ص ٩٢ وما يليها من كتابه المسمى (أظلم جهات افريقيا) يوجد من الاقزام نوعان الباتو (ولعلها الباتو المذكورة فى اهرامات بيبى — للمعرب) والوامباتى . والأولون رؤوسهم طويلة وكذلك وجوههم وعيونهم مستديرة حمراء اللون قناة أنوفهم رفيعة حتى أن عيونهم شديدة القرب من بعضها والقسم الثانى وجوههم مستديرة عيونهم كمقل الغزال بعيدة عن بعضها وجباههم عريضة ، تنم سيماهم عن الصراحة وطيب القلب ولون بشرتهم فى صفرة العاج والوامباتي يعيشون في القسم الجنوبى من واحات خط الاستواء بينما الباتو يعيشون فى القسم الشمالى منها وتمتد منطقتهم إلى غابات أواميا الواقعة على نهر سمليكى وشرق ايتورى . وهم أمهر صيادي أفريقيا)

ولقد أبان لنا السير ويليام غارستين في تقريره بشأن حوضة أعالي النيل المطبوع بالقاهرة ص ٦٥ أن نهر السمليكي يبدأ في النهاية

الشمالية الغربية لبحيرة البرت أدوارد يعنى درجة عرض صفر وثمان دقائق وثلاث ثوانى جنوبا ويصب فى البحيرة الجنوبية من بحيرة البرت نيانزا يعني خط عرض ١ وتسع دقائق ومن ذلك نعرف أن مواطن الاقزام عند منابع النيل في خط الاستواء تماما ومن الغريب أن هذا يطابق اعتقاد قدماء المصريين بشأن منابع النيل وأرض أولئك الأقزام المقدسين سكان أراضى الارواح فقد جاء في كتاب فجر المدنية لماسبيرو في الفصل الخاص بالنيل السماوي خصوصا في صحائف ١٦ — ٢١ أنهم كانوا يعتقدون أن النيل ينبع من السماء في خط الاستواء عند بحر خضم به جزائر المسعودين يعنى الجنة (لعل هذا هو منشأ ظن بعض الشيوخ القائلين أن النيل من الجنة وأن أراضى الأرواح واقعة عند منبعه نعم أنه حاول جعل هذا البحر الخضم عند ملتقى النيل الأبيض ببحرى الغزال والسوباط وقال إنه جف حتى لم يبق منه الا بحيرة نو وانى مع احترامي العظيم لرأي هذا العلامة لا يمكنى قبوله إلا اذا فرضنا أن منطقة بلاد الاقزام انتقلت مع مرور الزمن الى الجنوب حتى وصلت الى مقرها الحالى اذ بخلاف ذلك لا يمكننا تطبيق اعتقاد قدماء المصريين على رأيه هذا . والنتيجه أن قدماء المصريين كانوا على معرفة تامة بمنابع النيل وبسكان هذه المناطق النائية التي يظن الاوروبيون أنهم اول من ارتاد مجاهلها وكشف اسرارها واستشهد على صحة قولى هذا بفقرة من اقوال ص بودج ٥٢٥ ج أول من كتابه المسمى تاريخ السودان المصرى (انه بالرغم من تلهف بيبى

الأول لرؤية القزم الذى أحضره حرخوف معه من السودان فلا تتوهم أن الاقزام كانت غير معروفة بمصر لاننا قد عثرنا على مصنوعات من العاج بمقابر ابيدوس وهي من أقدم عهود الفراعنة وهذا يبرهن لنا على ان التجار المصريين لا بد أنهم تماسوا معهم اثناء بيع تجارتهم بالجنوب وقد ذكر لنا استانلى وغيره من السياح أن الاقزام أمهر السودانيين فى القنص عامة وصيد الفيلة خاصة ولا بد أن تجار قدماء المصريين كانوا يعرفون مميزاتهم الطبيعية وعقليتهم جيدا . وبما أن حرخوف سافر مئات الاميال الى جنوب ملتقي النيلين الأبيض والأزرق فليس هناك من سبب يحول دون وصوله الى مناطق الاقزام المعروفين بتجارة العاج والجلود وانه استطاع اقناع أحدهم بالسفر معه الى مصر) ان هذه الشهادة من عالم انجليزى يخدم المستعمرين اكبر دليل على أن المصريين جاسوا كل السودان وانهم كانوا على خير صلاة ودية مع سكانه ويكفى ان بيبى كان يفضل رؤية قزم حرخوف على جميع جزية بلاد السودان لنعرف مقدار حب بل تقديس ملوك مصر لأولئك الاقزام السودانيين لان رقصهم من اهم طقوس الدين التى يتقرب بها فرعون الى ربه بل ويرجو الغفران ودخول دار النعيم بواسطته . ولكم اشتقت لمعرفة هذا الرقص وسر قدسيته فلم أعثر في كتب القدماء ومخطوطات المصريين على شيء حتى قرأت كتاب صديقى وزميلى الدكتور بوكمان المطبوع فى هذا العام بواسطة المعهد الافريقى بمونيخ فعلمت ان

البوشمان والاقزام يقلدون في رقصتهم مشية الحيوانات المختلفة ويتقنون ذلك وأن لكل حيوان عندهم مشية خاصة تعتبر مقدسة لديهم حتى اليوم يتقربون الى المعبودات بها عند ما يقوم الراقص منهم بتقليدها ومن ذلك عرفت سر شغف فراعنة مصر بتعلم هذه المشيات المقدسة لمختلف الحيوانات خصوصاً ما كان منها مقدسا لأوزريس وادركت اهمية الدور الذى كان يقوم به فرعون مصر في المعبد إبان الحفلات الدينية بفضل أساتذته من أقزام السودان . فهل بعد القرابة العرقية والدينية والمعنوية والتاريخية وهل بعد ان يتمنى ملك مصر وعزيزها ان يكون هو والقزم سواء يستطيع انسان انكار اخوة الشعبين الذى يمدهما النيل بمائه ويحيى بلادهما بطميه الا تكفي الحقيقة التى أبانها شاباس فى كتابه مخطوطات مناجم الذهب المصرية المطبوع سنة ١٨٩٣ والتى أقرها جميع العلماء من أن المصرى كان يتجه جنوبا اذا ما اراد تعيين الجهات فيصير الشرق على يساره والغرب على يمينه بخلاف جميع الامم . ان هذه الحقيقة تثبت أنه كان يعتقد أن أصله من الجنوب وان النيل منبع حياته في الجنوب وأن شقيقه السودان مفضل لديه عن كل الاقطار بل وعن معبوده الشمسى وسأذكر في مقالة آتية النشيد الدينى المبين اعتقاد المصرى منذ القدم بالنيل ثم أبدأ بذكر عمل الفراعنة بالسودان حتى يعرف كل انسان العلائق التاريخية بين البلدين

اهمية النيل لمصر قديما وحديثا — تقديس النيل — فضل النيل على العالم — انشودة النيل عند قدماء المصريين — عبادة النيل بمصر والسودان

ان مصر هدية النيل كما رواه هيردوت عن قدماء المصريين لانه يرويها بمائه فيجعلها جنة زاهرة بين الصحارى القاحلة المحيطة بها ولا لان أقدم سكانها هبطوا اليها من اعالى حياضه بل لان تدبير شؤنه وادارة مياهه وسياستها ابان الفيضان استلزم وجود حكومة مركزية قوية تسيطر على وادي النيل وتنظم أمور سكانه وتدعم أسس المدنية وعليه فالنيل هو موجد مصر ومدنيتها ومصر معلمة الشعوب واستاذة الامم ومربية العالم فالنيل له الفضل الاكبر فى انتشال البشر من البربرية ورفعها الى اوج الانسانية الكاملة والمدنية الراقية وقد قدسه المصريون قديما وعبدوه كما يفعل اخوانهم اليوم سكان النيل الازرق وكانت له معابد خاصة به وكهنة وكانت تقام لمقدم فيضانه سنويا أعيادا فاخرة يعتقد القوم ان زيادة الفيضان ووفرة البركات وفيض الخيرات عليهم يكون بقدر افراطهم في الحفاوة به ، وكان الملك فرعون مصر على رأس الكهنة يذبح القرابين ويقدمها للنيل ولا تزال حفلة قطع الخليج وعروس النيل باقية لنا من تلك الاعياد رغم اعتناق المصريين لدينى النصرانية والاسلام ورغم كر العصور وتبدل الدول ومع هذا يحاول الانجليز ان يحتكوا فى النيل حياة مصر

ويبيعوها مؤقتا مياهه بمهج ابنائها الجنود وملايين الجنيهات المتحبلة من عرق اولادها الفلاحين ويريدون فصل السودان، وبه منابع النيل، عن مصر وما مثلهم الا كمن يريد فصل القلب وشرايين الحياة عن رأس انسان ويزعم انه يحافظ علي حياته . الا أن القطرين لامة واحدة ابوهما النيل وليست هذه بعقيدة حديثة اخترعها ساسة مصر أو زعماؤها الحاليون بل هي صوت الطبيعة ، هي لسان الأزلية ، هي الحق الصراح الخالد ويكفي أن أعرب للقراء الانشودة الدينية التى كان أجدادنا القدماء يترنمون بها أبان عبادتهم للنيل في أعياده السنوية ليعرفوا أن مكانة النيل في قلب المصرى قديما وحديثا هي لم تتبدل . ومن غريب التصادف أن نصوص هذه الانشودة الدينية المصرية القديمة موجودة على ورق البردى بالمتحف البريطانى كحجة قائمة ضد اعتداء الانجليز وكبرهان أزلى يسجل الظلم والعار على المستعمرين وكدفاع دائم قدمه الاجداد لمحكمة العدل الازلي لاثبات أحقية مطالب المصريين اليوم أو وثيقة تثبت القرصنة الانجليزية سجلت في قلب عاصمتها وإلى القارىء نص هذه الانشودة نقلا عن ترجمة العلامة ماسبيرو لها

(Hymne deNil 1868) وفى كتابه تاريخ أمم الشرق القديمة الطبعة الرابعة ص ١١ — ١٣ وفى كتابه فجر المدنية ص ٤٠—٤٣) ونشرة (FrCook) في كتابه المسمى (سجلات الماضى — القسم الاول الديني الجزء الأول ص ٣٤١ — ٣٧١) وترجم بروكش باشا بعض فقراته الى الالمانية فى كتابه المسمى الدين والميتولوجى

ص ٦٣٩ — ٦٤١ ونشره غيرهم أيضا وهذا نص الانشودة

(١) السلام والقدسية لك ياهابي (اسم النيل) يامن تظهر في البلاد وتأتى إليها لتمنح مصر الحياة — أنت يامن تخفي مجيئك فى الظلام حتى فى اليوم الذي يحتفل بمقدمك وترتل الاناشيد فرحا بك . إن أمواجك تنتشر في البساتين التى خلقها رع . لكي تحيى (تمنح الحياة) لكل عاطش أنت الذي تأبى أن تسقى الصحراء بفيضان مياهك السماوية. بمجرد هبوطك الى البلاد ترى (Sibu) سيبو (آله الارض) وقد أخرجت الخبز ونابري (Napri) رب الغلام يقدم قرابينه وبتاح (Ptah) يثري كل متفنن (يجعل كل صانع ومتفنن مسعودا غنيا) .

(معنى الفقرة الاخيرة المشبعة بالأساطير الدينية أن مياه النيل تحيي موات الارض فتدر الرزق فالغلال تنمو وكل قوى تتجدد ويعم الرغد والفيض تحت اشراف بتاح رب الصنائع والهندسة — للمعرب)

(٢) يارب الاسماك . ان الطيور لاتنزل بالحقول بمجرد عبورك من الشلال — أنت خالق الحبوب (الحنطه) وصانع الشعير — أنت الذى تطيل بقاء المعابد . واذا ما كفت يداك عن تعميرها أو انحبست عنا مياهه ، فهنالك تعم الفاقة كل ملايين المخلوقات . ويا من اذا غاب (بقى) فى السماء يفتك الموت بالآلهة وبجميع البشر

(٣) وغدت الحيوانات مجنونة وكل من في الدنيا — من كبير وصغير يغدون في فاقة وحزن — أما اذا ماحدث خلاف ذلك بأن

قبلت صلوات الناس وأدعيتهم عند مبدأ فيضانه وجعل نفسه من أجلهم خنومو (Khnumu رب النيل المكون من الماء والطمي المخصب للبلاد — للمعرب) وفاضت مياهه هنالك تهتف الأرض فرحا وتسر كل البطون ويهتز كل ظهر بالضحك وتطحن كل سن شهى الطعام)

(٤) يا جالب الطعام الوفير الغذاء . ياخالق كل شيء جميل — يارب حبوب الحياة التى تروقك يامن اذا اسعدنا بصحبته أخرج الماشية الكلأ وضمن لجميع المعبودات القرابين الشهية أن اريج ريحك لاعطر من كل ما عداه يامن يستوى على القطرين فتمتلىء مخازن الحبوب وتسعد الاسواق ويغدق على الفقراء الخيرات والنعم

(٥) انك تلبى دعوة كل داع مانح كل شيء حامل السفن بقوته ومجريها برحمته . لاتنحت الاجسام الصخرية لاجله ولا التماثيل التى تحمل تاج القطرين — أنه خفى لاتقدم له الجزية ولا القرابين . لاتؤثر على لبه الطلاسم والاحاجى مقامه غير معروف ولا يمكن للمكتابات السحرية أن تكشف ضريحه (مقره أو منبعه السماوي للمعرب)

(٦) الا أنه لا يوجد بيت كبير يستوعبك . وليس لأحد من القوة ما يوصله الى سويداء فؤادك : ومع هذا تفرح وتسعد بك كل الاجيال من ابنائك (يعنى جميع سكان بلاد النيل قديما وحديثا — المعرب) لانك تحكم كملك تنفذ اوامره في جميع الورى وتظهر

فيوض خيراته على جميع سكان الجنوب والشمال . أنت الذى تغسل بمياهك دموع كل عين وتغدق العطاء اذ ما منحت

(٧) حيثما حللت تحمل المسرة وتتبدد الاحزان وترقص القلوب طرباً ان (Sovku)سوفكو التمساح المقدس ابن (Nit) يثمل بالمسرة لأن المعبودات التعسة المزملة لك قد امرت كل شيء بان تفيض خيراته وأن تعم مياهك الحقول وتصير كل انسان كريما حتى أن الانسان ليشرب من عمل جاره (حصة مياه جاره أبان المناوبات — للمعرب) دون أن يشكوه أو يرفع الدعوى عليه

(٨) انك لتدخل البلاد بين هزج الاناشيد وتغادرها بين الأفراح — ان كل الناس لترقص فرحا بمقدمك من عالم الخفاء لأن تأخرك عنا هو الموت والفوضى — وعند ما تقدم الأدعية مبتهلة اليك لتدر فيضانك السنوى تصطف أهالى طيبه وأهل الشمال جنباً الى جنب رغم اختلاف الحرف والمقامات لايتأخر أحدهم عن جاره (اشارة الى توقف حياة الجميع على مياه النيل — للمعرب)

وكل الاغنياء لايفكر أحدهم في ارتداء ملابس الاعياد بل ونفس أولاد توت (Thot) إله الثروة لا يتحلون بالجواهر بل ونفس المعبودات التسعة تشارك الجميع في ظلام الحزن والتعاسة حتى اذا ما استجبت الدعاء وبدأ فيضان مياهك تعطر كل انسان وزالت الأكدار

(٩) ياصانع الثروة الحقيقية التى تشتهيها الناس هذه آيات دعائنا

ودعانا نتقدم بهامبتهلين اليك علك تجيب الدعاء . إنك إذا ماجاوبت الناس بأمواج محيطك السماوى يقدم (نابرى) رب الحبوب قرابينه — ان جميع الأرباب تبتهل اليك ان الطيور لم تعد تحط على قمم التلال. ان يدك لتصنع ما هو أغلى من الذهب وألواح الفضة لأنتا لانأكل الفيروز بل القمح الذى هو ألزم للحياة من جميع الاحجار الكريمة .

(١٠) انهم ليغنون لك على موسيقاهم وينشدون أدعيتهم على نغماتها مزملة بالتصفيق لان الأجيال من أبنائك يفرحون بمقدمك وقد ملئوك بالتحيات والمدائح لانك رب الثروة الذي يزين الارض ويجعل السفن سعيدة ومباركة في نظر البشر والذى يشرح صدر المرأة بمنحها البنين ويبارك القطعان ويزيد نتاجها

(١١) أنت الذي اذا ماقاض فى مدينة الامير يقنع الغنى ويجنى الفقير البشنين ويصبح كل شيء متيناً وحسناً ويصير الكلأ والنباتات المختلفة أنواعه لأولادك أما اذا مانسى أن يمنح الطعام يهجر السعادة المنازل وتنقلب الحقول الى صحاري قاحلة قتالة)فالنيل هو حياة مصر قديماً وحديثاً وسيبقى كذلك الى يوم الدين رغم أنف المستعمرين الغاصبين

القرابة العرقية بين مصر والسودان يثبتها علم مقارنة العادات

من المعلوم أن مقارنة عظام العناصر المختلفة من أهم وسائط تعيين قرابتها العرقية ولكن في الزمن الاخير أصبحت مقارنة العادات أكبر دعامة في معرفة الروابط العنصرية ويكفي أن يعرف القارىء

أن المجمع العلمى الأفريقى بالمانيا كل مباحثه مبنية على هذا الأساس المتين ولذا أود أن أقارن بين عادات القبائل السودانية المختلفة وبين سكان مصر قديماً وحديثاً حتى يرى القارىء أن وحدة الشعبين العنصرية لاشك فيها وإنها تزداد قوة ومتانة كلما زدناها بحثاً وتدقيقاً من جهات مختلفة ولقد عثرت على مقالة مسهبة في هذا البحث بقلم فليندر بيتري أعظم انجليزي متخصص في تاريخ مصر كتبها في مجلة مصر القديمة الصادرة في سنة ١٩١٤ تحت عنوان مصر في أفريقية فأوجزت فى تعريبها جداً فى عدم الاطالة : (١) تحنيط الموتى بمصر معروف وهذه العادة موجودة لدى قبائل (Babenda) على ماذكره (A. Werner)١٦٣ص من كتابه المسمى الأهالي المحلية بمركز أفريقية البريطانية وعند قبائل النيجر على ماذكره المأجور ليونارد ص ١٧٥ من كتابه بشأن قبائل جنوب النيجر .

(٢) دفن الموتي الكعكي كان موجوداً بمصر وجنوب أوروبا على ماسبق لى بيانه ولايزال بكل افريقيا من شرقها للغرب خصوصاً لدى قبيلة (Yaos) ص ١٧٥ من كتاب (Werner) وقد أثبت فروبينيوس فى كتابه المسمى صوت من أواسط افريقيا ص ٢١ وجود ذلك في بلاد النيجر وقال بأن وجه الميت في قبره ينظر إلى جهة الغرب وهذه العادة موجودة لدى قبائل الجالا (Galla) فى شرق أفريقيا أما عند الشلوك والشيش والدنكة فتوسد الميت على جنبه الايمن

وكذلك لدى قبيلة (Akikuyu) وتوضع رأس الميت على يده اليمنى إن كان رجلا واليد اليسرى إن كانت إمرأة وكذلك لدى مملكتي (Unoro & Ankole) بينما عشيرة الباهمة Bahima تدفن ملوكها فى أكوام السباخ وبقية الخلق تدفن أمام أبواب عششهم (راجع ص ٤ — ٨٣ من مقالته مسألة الحاميين بالسودان المصري في « مجموعة سنة ١٩٠٣ »من(جريدة الجمعية الملوكية لعلم تسلسل الامم Journal of the Royal Anthrodpological Society.

وقال بيتري إن هذه الصورة من الدفن كانت موجودة بمصر فى أزمنة قبل التاريخ وكانت رأس الميت توضع صوب الجنوب بشرط أن ينظر الوجه غربا (٣) ذكر فروبينيوس ص ٦٧٤ من كتابه السالف الذكر أن قبائل غرب السودان تقطع رأس الميت وتحفظها لديها تخليداً لذكراه وقدلاحظ بيترى أنه قد وجدت بمقابر نجاده بمصر جثث على هذه الصورة (٤) ذكر ويرنر في كتابه المذكور ص ٢٨٩ أن بعض قبائل السودان تضع قصبة في قبر من توفي من الجدرى حتي تخرج بواسطتها العلة ويتخلص جسد الميت من شرها وقد قال بيترى أن مثل هذه القصبات وجدت فى مقابر سليمة لم يكن أحد قد مسها وهي من عهد العائلة الاولى (Tarkhan) وظن أنه كان يقصد بها فى مصر مرور الروح منها وفى مقابر دشاشة وجدت ثقوب رفيعة منقوبة في الصخور من المقبرة إلى مكان تقديم القرابين ووجد المستر (Quibell) مثل ذلك فى مقابر سقارة .

(٥) جاء فى ص ١٧٥ في كتاب ورتر أن عند دفن شيخ (Kapeni) بعد وضعه فى القبر نزل أحد أصدقائه الى جانب الجثة ورمى سهما فى كبد السماء وقال بيتري ان هذه العادة كانت بمصر في أول عهد التاريخ حيث كان يعتقد المصريون أن أرواح الملوك ترتقى الى السماء على ريشة نعامة كان يقذف بها من القبر في الهواء (بالطبع فى نهاية سهم كما هو الحال بالسودان الآن — للعرب) .

(٦) أن المراسم الدينية التى يقوم بها التربي بين قبائل (Atonga) على ماذكرة ورنر ص ١٦٣ من كتابه تشبه تماما ما كان يقوم به الكاهن المصري الذى كان يترك الميت بعد دفنه في حراسة المعبود (Anubis) الذي كان على صورة ابن آوى والقبائل السودانية تسمى الكاهن المذكور الضبع لعدم خوفه من الموتى

(٧) جاء في ص ١٦٥ من كتاب ورنر أن الميت يدفن في الغرفة التى توفي بها بان يحفر له نفق في الارض بآخره غرفة توضع الجثة بها وفي ص ١٧٥ من الكتاب المذكور يقول أن افراد قبيلة (Yaos) عدا حفرهم النفق المذكور يوسدون الميت متجها للشرق بينما الغرفة تكون دائما في غرب نهاية النفق وقد لاحظ بيترى أن هذا الطراز من الدفن كان بمصر قبيل ازمنة العائلات المالكة وان النفق زيد عمقه على عهد العائلة الأولى ومنذ عهد العائلة الثالثة صار النفق أعمق بكثير وحفرة غرفة الدفن أرحب كالغرف المعروفة بالمقابر المصرية

(٨) ذكر ورنر ص ١٠٩ من كتابه أن بعض قبائل السودان

تقيم حول القبر عدة أعمدة منها عامودين بنهايتهما العليا شكل زواية يعلق عليها حبال تحمل جثة الميت عند انزاله الى القبر ثم تضع أعمدة افقية تحته حتى لاتمس الجثة قاع القبر وقال ان سبب هذه الاستحضارات يقصد بها صيانة الميت من شر السحرة ولاحظ بيترى أن هذا النوع من الدفن وجد في مقابر (Tarkhan) بمصر وذكر وبرز أيضا أنه لاحظ فى المقابر في (Blonty) مستديرة ومغطاة بطبقة من البناء كأنها احواض من حدائق اكثر منها قبور وقال بيترى أن بين مقابر ترخان (Tarkhan) ما هو من هـذا النوع يعني قبورا مستديرة لها قباب واطية من الجبس والرمل أو الآجر

(٩) وذكر فروبينيوس في ص ١٩٢٠ في كتابه أنه صادف المقابر وهي عبارة عن حفر عميقة عليها قباب مخروطية الشكل وكان عمق القبر في الارض اربعة عشرة قدما ولما نزل اليه وجد به طرقا مختلفة طول الواحد خمسة ياردات ونصف وعند نهايتها أعلى وأعرض وهى منحوتة في صخور الاحجار النارية وهـذه المقابر موجودة في (Nupeland) وكانت المقابر بها قديما ضخمة على شكل تلال ولكنها أهملت فاندسرت بيد أن بعضها ولا يزال موجوداً منها عدد في (Kaba Bunu) ينزل اليها الانسان للتفرج عليها وفي (Mokwa) وجـد في نهاية هذه المقابر كهوفا للدفن بها وقال بيتري أن هـذا النوع من المقابر يشرح لنا سر بناء مصطبة (Zeser) في سقاره وفي ص ١٢١ من مجلة مصر القديمة لاحظ بيترى أن المقابر ذات النفق

المائلة التى قال فروبينيوس ان الانسان يراها من بعد كتلال حمراء فى جنوب السنغال وشمال بلاد الحوصه (Houssa) (ص ٢١٥ من كتابه) شبيهه بالاهرامات خصوصا اهرام خوفوو ببلاد النيجر منها الكثير وزاد بيترى على ماتقدم أن هذه المقابر لاتختلف فى شىء عن مقابر ملوك مصر قديما قبل بناء الاهرامات

(١) جاء في ص ١٦٥ من كتاب ورنر ان الموتى فى السودان قد تدفن بمنازلها بان يحفر نفق فى ارض الحجرة التى توفي فيها الميت وتحفر فى آخر النفق غرفة صغيرة لدفن الميت . وقال ايضا في ص ١٧٥ ان قبيلة ياوس تحفر النفق السالف الذكر ويوسدون الميت متجها للشرق وأما الغرفة فتحفر دائما في الجهة الغربية وقد لاحظ بيترى أن هذا الطراز من الدفن وجد بمصر في أزمنة قبل التاريخ وان النفق صار تعميقه فى عهد العائلة الاولى عن ذى قبل ومنذ عهد العائلة الثالثة الملوكية بمصر صار النفق أعمق والغرفة اوسع وأكبر

(٢) وذكر ورنر في ص ١٥٩ أن بعض قبائل السودان تغرز على القبور عدة اعمدة من بينهما عمودان بنهاية كل منهما زواية يعلق عليها حبال تحمل جثة الميت وقت انزاله الى القبر ثم تضع عمد أفقية تحته وقال ان سبب هذه التدابير هو السعى في صيانة الميت من شر السحرة ولاحظ بيتري أن هذا النوع من الدفن وجد في مقابر تارخان (Tarkhan) بمصر .

(٣) ذكر ورنر أنه لاحظ المقابر فى (Blantyre) فاذا بها

مستديرة ومغطاة بطبقة من البناء كأنها أحواض حديقة اكثر مما هي مقابر وقد لاحظ بيترى أن من بين قبور تارخان بمصر ما هو شبيه بها يعنى قبورا مستديرة لها قباب واطئة من السمنت والرمل أو الآجر وذكر فروبينيوس ص ٢٠ — ١٩ من كتابه انه وجد فى المقابر حفرا عميقة عليها قباب مخروطية الشكل وعمق القبر ١٤ قدما ولما نزل به وجد بالمقابر طرقات مختلفة طول كل سرداب منها ٥ و٥ ياردة وعند نهايته يزداد ارتفاعه وهذه المقابر منقورة في صخور من أحجار نارية وموجودة فى (Nupeland) وكانت المقابر قديما ضخمة على شكل تلال ولكنها أهملت وبادت ولا تزال مقابر منها فى (كابابونو) نزل اليها لرؤيتها وفى موكوا وجدت كهوف مستعملة كمقابر وقد لاحظ بيترى ان هذه المقابر تبين لنا سر بناء مصطبة زيزر بسقارة

(٤) وذكر فروبينيوس في ص ٢٥ — ٢١ من كتابه ان المقابر ذات الانفاق المائلة التي يحسبها الناظر تلالا حمراء وموجودة ببلاد النيجر وفى جنوب السنغال وشمال الحوصه (Houssa) . وقد لاحظ بيترى ان هذا النوع من المقابر أشبه الاشياء بالاهرامات وان الانفاق المائلة موجودة بالاهرامات خصوصا باهرام خوفو وان شكل المقابر المذكورة لايختلف قط عن مقابر ملوك مصر قبل بناء الاهرامات .

(٥) وجاء فى ص ٥٣ — ٥٤ فى كتاب ورنر المذكور أن قبائل السودان تقدم قرابين من الجعة أو (البوزة) في ازيار من فخار توضع على احجار عند قاعدة شجرة مقدسة وفي بعض الاحيان

توضع سلة مملوءة بالدقيق على جذر الشجرة وقد لاحظ بيترى أن الجمه كانت من اهم القرابين عند قدماء المصريين وأن أزيارها وأوانيها كثيرا ماترسم مع القرابين والدقيق كان العامل المهم في القرابين المصرية حتى ان الاناء المملوء بالدقيق الذى كان يوضع على حصيرة صار رسمه في اللغة المقدسة (الهيروغليفية) يقرأ (Hetep) يعنى قربان ومنه اشتق يرضى أو يصالح لان الغاية من تقديم القرابين الحصول على رضاء المعبود .

(٦) وجاء في ص٥٣ — ٥٢ من كتاب ورنر أن القبائل السودانية قد تقدم قرابين من القماش وجاء فى ص ٤٥٦ من كتاب ليونارد أنه عند مايتنبأ الكاهن ويصدق حدسه يقدم الملك قربانا من القماش واذا أراد الكاهن الاستفسار من معبوده عن أمر قدم اليه قربانا من القماش ولاحظ بيترى أن تقديم الكتان الابيض كان يلى عند قدماء المصريين قربان الدقيق فى القيمة ولذا ذكر بين القرابين المسطورة سجلاتها فى الدير البحرى وأبيدوس .

(٧) جاء فى كتاب ليونارد أنه فضلا عن القرابين الحيوانية أو الانسانية يدفن بالسودان مع الميت بعض أشيائه الخصوصية كالحراب وأدوات الزينة وتماثيل من الخشب أو الطين وجاء في كتاب ورنر ص ١٥٩ العبارة الآتية: وتوضع مع جثة الميت كل أدواته الخصوصية قبل أن يهال التراب عليه وذكر فروبينيوس أنه وجد داخل المقابر السالفة الذكر أربع شمعدانات في كل من الجهات الاربع

للقبر واحد منها وكانت تضاء عند وضع الملك بقبره وكان بالقبر قناة تبدأ من النقطة التى كان بها رأس الميت (الملك) عند وفاته وتمتد الى قرب سقف قبره وبها توضع جميع أشيائه الخصوصية . الخ بغية ادخال المسرة على قلبه وقد لاحظ بيتري أن هذا يطابق حرفيا ما كان يعمل بمصر وقال ان وجود غرف خصوصية كالتى ذكر فروبينيوس للمأكولات وغيرها للزيارة كانت موجودة بمصر وضرب لذلك مثلا بمقابر أبيدوس الملوكية (٨) ذكر وزنر ص ١٥٥ وص ١٥٩ أنه بالقرب من بلانتيو بعد وضع العصى وجميع أدوات الميت الخصوصية بالقبر تهشم ثم يغلق القبر وقد لاحظ بيتري أنه كثيرا ما نجد قرابين مهشمة في مقابر مصرية محفوظة على عمق كبير لم تصل اليها أيدى اللصوص أو العابثين وهذه العادة السودانية تشرح لنا سبب ذلك التهشيم الذى طالما حار العلماء قديما في تعليل حدوثه (٩) ذكر فروبينيوس أن بعض القبائل السودانية تشيد غرفا للقرابين فوق المقابر وقد لاحظ بيترى انها شبيهة بصومعة القبور الملوكية بمصر وكذلك امتداد مجرى من هذه الغرف الى القبور التى وصفها فروبينيوس أكد بيترى وجوده بالمقابر المصرية وضرب لذلك مثلا باهرام خوفو (١٠) ذكر فروبينيوس بكتابه ص ٢٤ أنه من المتبع بالسودان الغربى أنه عند وفاة السيد يؤتى بأسراه ويذبحون على قبره كقرابين وذكر وزنر في مقالة المسائل الحامية بالسودان المصرى ص ٨٨ انه عند ما يموت الملك يقذف بكثير من زوجاته في قبره أحياء وقد لاحظ بيترى

وجود ذلك بمقبرة الملك قا (Qa) في أبيدوس حيث قتلت كل خدمه على قبره كما أن عادة ذبح البشر كقرابين رجعت إلى مصر في عهد العائلة الثامنة عشر الملوكية (١١) جاء في ص ٦٨ من كتاب ليونارد أن أكبر الاولاد مقدس فى العائلة باعتباره كاهنها وفي ص ٤ — ١٦٣ من نفس الكتاب أن أكبر أولاد المتوفى أو ولي عهده هو الذى يتولى المراسم الدينية فى جنازة والده بينما بقية اخوانه يرتدون ملابس الكهنة ويشاركونه في المراسم وذكر في ص ٣٩٥ أن الولد الأكبر يعتبر ممثلا للعائلة جسمانياً والأب ممثلها الروحاني ويكون أثناء حياة والده الاكبر مقدسا باعتباره كاهن العائلة وهو الذي يقدم القرابين ويذبحها خصوصا في جنازة والده وقد لاحظ بيتري أن الولد الاكبر كان بمصر كاهن العائلة وكانت اخوته تعاونه فى ذبحه الثور على قبر والده ولكنه هو الوحيد الذي له حق ذبحه وضرب بذلك مثلا برسوم مقابر الدشاشة (١٢) جاء فى كتاب ص ٤ — ١٦٢ من كتاب ليونارد العبارة الآتية : إن أولاد الميت يرتدون ثياب الكهنة ويدهنون وجوههم بالكلس المقدس ويلبسون قبعات عالية من القش من المصنوعات المحلية ويربطون في وسطهم زنانير من البفتة ويسيرون الى مكان الجثة وهنالك يقومون بتمثيل حرب صورية يسمح فيها بأخذ التمثال الملطخ بدم الضحايا ثم يقام احتفال فخم لنقله الى المكان المعد لحفظه فيه وجاء في ص ٤ — ١٨٢ من الكتاب المذكور أن فى أبيبو (IBibio) تقام مبان ضخمة للميت منها غرفتان صغيرتان

من الطين باباهما من الخشب توصدان دائما بغية تخصيصهما لروح الميت ستعملهما كيف شاءت وأما ارو (Aro) فيدفنون ملوكهم في اماكن ضخمة وتوضع قرابين من طعام وعقاقير طبية في نقرتين دائما محفورتين في مقدمة الكوم المقام على القبر وقد لاحظ بيتري أن ذلك يطابق الحفرتين الموجودتين في كل مذبح أو مكان القرابين بالمعابد المصرية وان استعمال القبعات القش الطويلة كان شائعا بمصر وضرب لذلك مثلا بالصورة التاسعة المرسومة على حائط معبد رمسيس الثاني وكذلك كل الطقوس الاخرى صورة طبق الاصل مما كان مستعملا لدى قدماء المصريين حتى قال في ص ١٢٧ من المجلة المذكورة ان خير وسيلة لمعرفة حقائق الطقوس الدينية لقدماء المصريين هي تدقيقنا ودرسنا المراسم الافريقية (السودانية) الحالية : (١٣) ذكر ورنر في ص ٥٠ — ٤٧ من مقالته ان القبائل السودانية تقيم عششا للارواح تقدم فيها القرابين وقد ذكر بيتري ان هذه العشش أو بيوت الارواح كانت عمومية بمصر في عهد العائلات التاسعة والعاشرة والحادية عشر الملوكية (١٤) وذكر ورنر ص ٤٩٠ و ٥٣ ان القرابين يقدمها للمعبود شيخ القرية بالنيابة عن الاهالى ولاحظ بيتري أن الملك بمصر كان يفعل ذلك حتى ان عبارة (نسوت دى هتب Nesut de Hetep) التى معناها عسى أن الملك يقدم قربانا ترينا معنى رسم الملك وهو يقدم القرابين للموتي.

(١٥) من عادات الشلوك وعقائدهم الدينية أن الملك لا يصح أن يهرم أو يمرض لئلا يقل نتاج الماشية وتفسد الحاصلات وتمرض

الرعية وتفتك بها الأوبئة ولذلك يجب على ابنه فى كلتا الحالتين أن يقتله ويخلفه فى الحكم (راجع مقالة دين نيا كانج Nyakang للدكتور سيليجمان ص ٢ — ٢٢١) وكل رئيس كبير من الدنكة يقتل بناءاً على طلبه فى احتفال مهيب حتى لا تدركه الشيخوخة وكذلك فى واوانج (Wawang) يقتلون ملوكهم وتوجد في بانيورو (Banyoro) عادة قتل الملوك إذ بمجرد أن يمرض الملك ويشعر باقتراب منيته تزوره زوجته فيطلب منها كأساً معلومة يشربها فيموت (راجع مقالة مسائل الحاميين بالسودان المصرى) وذكر فرونينيوس ص ٧ — ٥٦ إن هذه العادة موجودة ببلاد النيجر إذ أن الملك بعد أن يحكم سنتين يأمره الرؤساء بالانتحار فان امتنع أنفذوا الأمر فيه بقتله باحتفال مهيب تبعاً لعقائدهم الدينية القديمة وقد كانت هذه العادة موجودة بين الاثيوبيين (الاطيوبيين سكان بلاد النوبة والحبشة) وقد ذكرها (Sician, Diodorus, Pliny) وأكدوا أن وجودها إنما هو للاسباب السالفة الذكر بين الشلوك (فرونينيوس ص ٦٧٦) وقد لاحظ بيترى ان من أكبر الاعياد المصرية عيد سد (Sed) وضع نهاية لحياة الملك الارضية واعتباره كأنه قد امتزج باوزيريس ولا شك ان هذه العادة أصلها العادة الافريقية السالفة الذكر ولكنهم بمصر كانوا يكتفون بأن يعين الملك خلفه الذي يتزوج بابنته ثم يتركون الملك يعيش الى آخر ايامه حتى يموت موتا طبيعيا يعنى ان رقي المدارك المدنية بمصر أدي الى تعديل هذه العادات

(١٦) ذكر ليونارد ص ١٧٠ ان من عادات قبائل افيك Efik والا بيبيو Ibibio ذكر وفاة الملك بجمل مجازية لقدسيته واستحالة ذكرهم ذلك مباشرة وقد لاحظ بيتري ان هذه العادات تشرح لنا الفقرة الموجودة في حكاية Sanekat الذي يذكر وفاة فرعون بقوله أن باشقا طار الى السماء . (١٧) ذكر سليجمان ص ٦١ — ٥٩ من مقالة مسائل الحاميين ان قبائل باهمة Bahima وبانيورو Banyoro وباجاندا Baganda كلها طوطمية العقيدة لايصح التزاوج بين افراد القبيلة الواحدة منها . بيد ان ملوك باهمة يتزوجون بشقيقاتهم ويصح ذلك ايضا لامراء البانيورو اذ القاعدة تحتم ان يعيش الامراء والاميرات معا والباجاندا يحتفل افرادها احتفالا دينيا مهيبا بتزويج الملك بشقيقته رغم شدة تمسكهم بقواعد الطوطمة الدينية ومن ذلك نعرف ان التزوج بالشقيقات كان متفشيا أو عاما بين الحاميين وقد لاحظ بيترى ان الاقتران بالشقيقة والاخت بين ملوك مصر كان عموميا وقديما حتى ان زوجة الملك على الاطلاق كانت تسمى اخته وفي أثيوبيه كانت العائلات الموكية حق الوراثة لديها في البنات فقط وكن يتزوجن باشقائهن وقد صارت هذه العادة فيما بعد كطقس دينى بين ملوك البطالسه بمصر (١٨) عند قبائل Baganda باجاندا عند مايولد أمير يقطع الحبل السرى ويوضع في أناء مخصوص ويختم ويوضع في قماش باحتفال ويزين بالخرز ويسمى التوأم ويوضع فى معبد مخصوص به وعند ظهور كل هلال يحملونه باحتفال مهيب ويطوفون به ويعتبرانه

كشخص حي وبعد وفاة الملك يوضع فكه الاسفل مع الحبل السرى فيصير الملك موجودا في هذا المعبد لانهم يعتقدون ان الروح المتقمصة للحبل السرى والروح المتقمصة لجسم الملك قد اجتمعا مع فكه وكونتا معبوداً كاملا (راجع ص ٩٨ من مقالة المسائل الحامية) وجاء في ص٨ – ٦٦من نفس المقالة ان هذه الحرمة للحبل السرى موجودة أيضاً لدى الدنكة والشلوك والباهمة وكثيراً من قبائل السودان وصحاري النيل ولاحظ سيليجمان ان العلم الذي كان يحمل أمام الملك قديماً بمصر كان يسمى أحشاء الملك أو المولود الملوكي وهو عبارة عن نفس الحبل السري. وقد لاحظ بيترى ان وجود مقبرتين للملك الواحد عند الباجاندا يشرح لنا معضلة مهمة فى التاريخ المصرى إذ طالما وجدنا هرمين لنفس الملك الواحد أو هرما بجهة وقبراً بجهة أخرى . قد يتصور البعض استحالة بناء اهرام لاجل الحبل السرى ولكن وجود الاهرامين لا يمكن شرحه قط بأى صورة معقولة سوى بقبولنا هذه الحقيقة المشاهدة بأفريقية والسودان اليوم (١٩) جاء فى ص ٢١٧ من كتاب دين نياكانج (Nyakong)لمؤلفه سيليجمان ان العادة عند هذه القبائل تقضي بقتل كل من يتجرأ على قتل فهد أو زرافة أو وحيد القرن) الانتيلوب واسمه بالسودان مثله بالتركية جيبك(Jeik)والملك وحده هو الذى يصح له لبس جلد وحيد القرن بينما ولى عهده وكبار أمراء الاسرة المالكة وكبار الرؤساء يصح لهم لبس جلود الفهود وقد لاحظ بيترى ان الصور المصرية القديمة ترينا

ولى عهد مصر وأبناء الفراعنة مرتدين جلود الفهود وصار في الازمنة الأخرة من الشارات المميزة للانبياء (كل رئيس كهنة بمصر كان يلقب بنبي) لأن الواحد منهم كان ينوب عن الملك فى الزعامة الدينية

(٢٠) جاء في ص ١٥٦ من كتاب (من وراء عقل الزنجى — At the back of the blackman's Mind) لمؤلفه (R. E. Dennett) (المطبوع سنة ١٩٠٦) ان ذيل الثور ويسمى ببلاد الكونغو (Manso) هو رمز الملوكية والشارة التى تحتم على الجميع الطاعة خصوصا عند قبائل (Bavili) وقد لاحظ بيتري ان ملوك مصر من أزمنة قبل التاريخ الى آخر عهودهم كانوا يعلقون في أحزمتهم ذيل ثور وربما كان هذا سبب تلقيب المصريين لفرعون (بالثور القوى) (٢١) جاء في ص١٥٦ من الكتاب الأخير ان البوليس يحملون رسم الفك الأعلى من سمك القرش (Sawf ish) علامة على انهم (Budungu) بعنى شرطة ملوكية يجب لها الطاعة وهذا الفك يحفظ في (Xibita — الكرم المقدس) وقد لاحظ بيترى ان رسم هذا الفك موجود مرتين على تمثال المعبود (Mn) الضخم بقفط (٢٢) ذكر ليونارد في ص ١٨٤٦ من كتابه ان أكثر القبائل السودانية عقائدها الدينية تنص على أبدية الحياة وان الموت ماهو الا خطوة انتقال بين عالم الدنيا وعالم الأرواح والأخير فى عرفهم يشبه الدنيا في كل شيء حتى ان كل انسان يتعاطى صفته الدنيوية فى الآخرة وقد لاحظ بيترى ان ذلك صورة

طبق الاصل من العقيدة المصرية التى شرحها فى ص ٨ — ٢٦ من مجلد مجلته المذكورة (٢٣) جاء في ص ١٨١ من كتاب المسائل الحامية لمؤلفه ليونارد ان السودانيين يعتقدون ان لكل شيء روحا خاصة به وقد لاحظ بيترى ان ذلك صورة طبق الاصل من عقيدة قدماء المصريين القائلة بأن لكل شيء روحا واسماً خاصاً به (٢٤) جاء فى مقالة دنكه (Dinka) من دائرة معارف الاديان أن روح المتوفي تسمى جوك (Jok) وان هذا التعبير يطلقونه خاصة على أرواح الاجداد العظام ويعتقدون أن أرواح الاسلاف اذا أهملت وتركت قد تصيب العائلة بالمصائب والامراض فانها رغم ذلك دائما تعتبر الحامية الحارسة لها بل وللعشيرة والشعب وذكر ليونارد ص ١٩٠ من كتاب المسائل الحامية أن القوم يعتقدون ان كل نفس عليها حارس من أرواح أقاربها أو أصدقائها الذين انتقلوا الى عالم الارواح ولكل انسان روح ترشده الى طريق الصواب في الغالب روح والده (لاحظ بيترى ان هذه العقيدة قد شرحت لنا حقيقة) (Ka) عند قدماء المصريين وهي التى طالما ضل فى فهم حقيقتها وادراك ماهيتها وتعليل عقيدتها العلماء المشتغلين بالتاريخ المصرى (٢٥) جاء في ص ٢٤٧ من كتاب دين نياكانج ان لدى القوم عدة حكايات مأثورة يسمونها الطرق أو السبل وهذه الحكايات يتعلمها الانسان من الكاهن وقد لاحظ بيترى ان عند نهاية عهد العائلات الاولى بمصر كان هنالك ١٦ أنشودة دينية باسم السبل أو الطرق

كالموجود على تابوت (Beb) في دندره (٢٦) ان أكثر عشائر الدنكة يعتقدون أن جدهم الاعلى رجل كان له توأم حيوان هو طوطم العشائر المذكورة (راجع مادة دنكة بدائرة معارف الاديان) وقد لاحظ بيترى ان هذه العقيدة كانت أيضاً بمصر وضرب لذلك مثلا (Chu) شو الانسان و (Huros) وهوروس الانسان وست (Set) الحيوان (٢٧) ان معبودات السودانيين التى على شكل كبش تسمى (Ara) أرا و (Ara Dunga) أرا دونجا وهذه الاسماء تطلق على الزوبعة والصاعقة لأن الخلق تعتقد ان العاصفة من صنع كبش ولكن في بلاد الهوسا (Houssa) والبنيو (Benue) الواقعة في شرق بلاد النيجر قد طرأ على هذه العقيدة بعض التعديل بأن صار إله الزوبعة إله الشمس أيضاً (فروبينيوس ص ٢٢١—٢١٩) وقد وجد الاستاذ فلامند (Flammand) فى جنوب (Oran) بالجزائر صورة كبش له قلائد وعلى رأسه قرص الشمس أشعة أتشبه (Uraeus serpent) ثعبان الشمس ذو الاجنحة عند قدماء المصريين (فروبينيوس ص ٢٢٥) وقد لاحظ بيترى أن الكبش كان الحيوان المقدس للمعبود آمون بطيبه وقد بقى ذكره في التاريخ بالقرنين اللذين وضعهما اسكندر الكبير على رأسه اشارة على انه من نسل آمون فصار يلقب بذي القرنين وكان الكبش معبود الاثيوبيين وطالما وجد في رسومات العائلة ٢٥ الفرعونية وكان في مدينة (Mendis) منديس بالدلتا معبد لأجل (Ba) وهو على

صورة كبش الذى مزج مع اوزيريس ويرجع عهد عبادته الى ازمنة قبل التاريخ (٢٨) ان الثور لا الكبش هو اكبر معبودات الهوسا وكل القبائل الواقعة فى شرقها ورب الارباب فى عرفهم هو الثور وله زوجه اسمها رع (Ra) واسم الثور نفسه مايكافو (Maikaffo) وعليه تعتبر رع أو رعنه (Rana) سيدة الشمس غابت في البحر القديم فى صندوق حجرى ومعها كبش ابيض ولم يستطع احد ان يعيد طلوع الشمس ولكن رع سيدة الشمس فعلت ذلك ورفعتها هى والكبش الى السماء الدنيا (فروبينيوس ص ٢٢٢) وقد لاحظ بيترى ان المعبودات التى بمصر على شكل ثيران مشهورة من أرمنت حتى الدلتا ولم يعجب من تصادف اسم رع بالجهتين عجبه من نفس الفكرة والعقيدة وقال انه ليس من المستبعد ان هذه العقيده سرت من مصر الى النيجر لانه يعتقد ان منشأ هذه العبادة من الشرق .

(٢٩) جاء في مادة دينكه بدائرة معارف الاديان ان القوم يرجعون بنسبهم الى بعض الحيوانات ويجعلونها مقدسة وهذا ضرب من الطوطمة التى هي عبارة عن احترام بعض الحيوانات بعدم ذبحها واذا قويت قبيلة معينة أرغمت جيرانها على احترام طوطمها وتقديسه حتى تطمس معالم تعدد الطوطمة وقد لاحظ بيترى ان هذا يفسر لنا رموز المقاطعات المختلفة بمصر القديمة والحروب التي طالما شجرت بينها وسبب تقديس كل مقاطعة لحيوانات معينة (٣٠) يقول لنا ورنر ص ٣ — ٦٢ ان كل قرية بالسودان لها شجرة مقدسة تقدم عندها القرابين وهي

فى الغالب جميزة (Sycamora) التى قال لنا عنها (Lévingstone) انها شجرة مقدسة بجميع بلاد الشرق خصوصا بافريقية والهند وقد علمت من (M. Augusteshe Shevalier) انها موجودة ومقدسة بكل قرية بالسينغال وغينا الفرنسية واحترامهم لها كمعبودة وقد لاحظ بيترى أن ذلك يطابق صورة الجميزة التى وقفت عليها ربة قدماء المصريين حتحور تقدم الاكل والشرب للمتعبدين الذين وضعوا قرابينهم عند جذرها وكان لقب حتحور دائما سيدة الجميزة وفي حكاية من عهد العائلة الثانية عشر الفرعونية يلقب بطل الرواية بابن الجميزة وهذا يدل على تأليهها عند قدماء المصريين أيضا . (٣١) جاء في مادة دينكه بدائرة معارف الاديان ان بعض العشائر تذبح معزة قربانا لروح اسلافها استمدادا لمعونتها في صيدها لفرس البحر وعشيرة تين (Tain) من الدينكة تذبح معزا أو خروفا أحمر قربانا لأن حصان البحر أحمر وقد لاحظ بيترى أن اللون الاحمر كان خاصا بالمعبود ست (Set) وكذلك كان فرس البحر خاصا بست حتى انه كان يوجد في معبد ست بنوبت (Nubt) علم مرسوم فيه فرس البحر وكان يرفع ويطاف به بالمعبد في الاحتفالات الدينية وأعياد ست وكل القرابين ذات اللون الأحمر كانت تذبح لست .

(٣٢) جاء في مقالة الدينكة المذكورة ومن العادات الاخرى انهم يأخذون جزع شجرة يدفنون جزءا منه بالارض ويقلمون اكثر فروعه الصغيرة ثم تعلق بالباقي قرون المعز المذبوحة كقرابين

مع جزء من عمودها الفقرى بينما جمجمتها توضع على عمود يقام امام باب المعبد وعند ذبح قرابين الثيران ترمي العظام بينما القرون توضع على عمود ينصب امام المعبد وقد لاحظ بيتري أن اول أثر لمعبد بالفيوم يرينا جمجمة ثور مرفوعة على عمود مركز امام المعبد وقد وجدنا بمقابر المغيرين على مصر بعد عهد العائلة الثانية عشرة الفرعونية مئات المقابر وآلافا من الجماجم وقرون الماعز والثيران قد زينت باللون الاحمر وركبت على أعمدة سوداء بغية تركيزها امام المعبد .

(٣٣) جاء فى ص ٢٥٠ و ٢٥٢ من كتاب دين بنا كانج ان الخلق يتفاءلون بالميسر ورمي السهام المخصوصة أو قطع خشب عليها علامات من المعدن أو قسم من قشر جوز الهند وقد لاحظ بيتري ان ذلك كان موجودا بمصر واستدل على ذلك بشقفات الاردواز التى وجدت فى مقابر نقادة او نجادة بل وبالطاع والبخت بمصر في الوقت الحاضر .

(٣٤) أن الفخار الحديث الموجود في جنوب بلاد الجزائر يطابق في لونه وصوره وأشكاله الهندسية فخار مصر قبل أزمنة التاريخ لهذا يعتبره العلماء بأنه من بقية صنع الفخار المصرى الاحمر وقد بين ورنر ص ٢٠٥ من كتابه كيفية صنع الفخار الاسود بالسودان وقد لاحظ بيترى أن ذلك يطابق كيفية صنعه بمصر قبل أزمنة التاريخ فى كل شيء

(٣٥) ذكر ورنر ص ٨ — ١١٧ من كتابه ان السائح كثيراً ما يصادف الاطفال بالسودان قرب الغدران تلعب بصنع عرائس

أو أشكال حيوانات من الطين مختلفة الأشكال بيد انها قلما تحرق وقد لاحظ بيترى ان هذا النوع من اللعب كان موجوداً بمصر (لا يزال شائعاً الى اليوم أيضاً بجميع بلاد الفلاحين — للمعرب) ولدينا منها مقادير كبيرة وجدت في مقابر العائلة الثانية عشرة الفرعونية بالكاهون (٣٦) يقول ورنر ص١٤٤ ان الانسان كثيراً مايصادف بقايا فؤوس خشبية بجميع أنحاء أفريقيا وخصوصاً بالسودان وقد لاحظ بيتري ان هذا النوع وجد بمصر على عهد العائلة الثانية الملوكية واستمر وجوده في أزمنة بقية العائلات الأخرى (٣٧) ذكر ورنر وجود فؤوس خشبية بكل جهات السودان وقال ان مقبضها أقصر من مقابض الفؤوس المعدنية وقد لاحظ بيترى أن هذا الشكل موجود في الخط المقدس (الهيروغليفي وذلك دليل على وجوده بمصر قبل أزمنة التاريخ يعنى قبل وضع أحرف الكتابة التصويرية بمصر للمعرب) وأنه كان مستعملا بمصر منذ عهد العائلة الثانية عشرة الفرعونية ومنها نشأت الفأس المعدنية (٣٨) ذكر ورنر ص ١٩٥ ان القوم بالسودان يفتلون أو يبرمون الخيوط بأيديهم أولا ثم يكررون فتلها بالمغزل اليدوي وقد لاحظ بيتري أن هذا النوع من الغزل فى مقابر بني حسن من عهد العائلة الثانية عشرة الملوكية وقال ان القوم بمصر اليوم يغزلون الصوف بالمغزل قبل ابرامه باليد (٣٩) وصف ورنر الأنوال المستعملة للنسيج بالسودان ص١٩٦ وقد لاحظ بيترى أنها صورة طبق الأصل من أنوال قدماء المصريين خصوصاً المرسومة

بقبر خيتي (Khety) في بني حسن من عهد العائلة الثانية عشرة الملوكية (٤٠) ذكر ورنر ص ٢٠٠ ان القوم بالسودان يضعون ناموسيات من ليف النخل وان سكان أعالى النيل يستعملون أكياساً للنوم لتقيهم لذع البعوض وقد لاحظ بيترى أن هيرودوت ذكر استعمال الناموسيات بالدلتا بمصر (يعنى أنه كلما وجدت المستنقعات وكثر الباعوض استعمل سكان وادى النيل الناموسيات — للمعرب) (٤١) جاء بمقالة الدينكة بدائرة معارف الأديان أن القوم قبل ان يذهبوا لصيد السمك أو حصان البحر يقدمون خطاطيفهم (Harpoons) المستعملة للصيد لزوجة الكاهن لتدهنها بشحم فرس البحر ثم يستمدون معونة أرواح الآباء والأسلاف ويبدأون بالصيد وقد لاحظ بيترى أن الخطاف كان واسطة الصيد بمصر وكان قبل أزمنة التاريخ من العظم ثم صار من النحاس وعلى عهد الرومان صار يصنع من الحديد وذكر كيشينج (A. L. Kitching) في كتابه المسمى (On the backwaters of the Nile) المطبوع سنة ١٩١٢ أن أفراد قبيلة البونيورو (Bunyoro) يربطون الخطاطيف بحبال من ليف ويعلقون عومات حتى يرقبوا بواسطتها حركات فرس البحر عند اصابتهم إياه إلى أن يموت ثم يذهبون ويستولون عليه بكل سهولة (٤٢) ذكر ورنر ص ١٩٣ ان القوم في السودان يستعملون لصيد السمك شباكا تثبت على الساحل بقطع كبيرة من الحجارة وترفع أطرافها الأخرى بالماء بعوامات

وفي بعض الاحيان يستعملون شباكا كبيرة تبقى حبالها بأيدى عشرين رجلا لسحبها وقد لاحظ بيترى ان هـذه صورة طبق الأصل لشباك قدماء المصريين المرسومة مئات المرات في المقابر المصرية (٤٣) ذكر ورنر ص ١٩٣ ان السودانيين يستعملون أيضاً شباكا يدوية خفيفة ذات ضلعين متحركين على نقطة ارتكاز واحدة ولها عارضة تفتح فوهتها بواسطتها وقد لاحظ بيترى مطابقة ذلك تماما لرسم شباك يدوية من عهد العائلة الخامسة الملوكية بمصر. (٤٤) ذكر ورنر ان سكان بحيرات منابع النيل الأبيض يستعملون سلات مصنوعة من الأعشاب لها فوهة واسعة مفتوحة وأخري ضيقة قد سدت بشبكة من الاعشاب التى يتخلل منها الماء وتحول دون مرور السمك وذكر كتيشينج ص ٢١٣ من كتابه ان قبائل الباكيني (Bakeni) تعمل سلات كبيرة لهذه الغاية وقد قارن بيترى بين هذه الرسومات وبين رسومات السلات التى كانت مستعملة بمصر على عهد العائلة الخامسة الملوكية فاذا بهما صورة طبق الاصل أوطراز واحد . (٤٥) ذكر كيتشينج أن من الطرق المتبعة فى صيد الانتيلوب فخ عبارة عن حلقة يوضع بداخلها شوك متجهة ابره الى الجنوب ثم يركز على حفرة ويغطى بأعشاب فاذا جاء الانتيلوب ليرعى ودخلت رجله بالحفرة لايمكنه اخراجها لان تلك الابرة النباتية تخرق جلده وكلما حاول الاخراج زادته ألما فيمكث حيث هو حتى يحضر الصائد ويقبض عليه وقدلاحظ بيترى أنه وجد بمصر مثل هذا الشوك وقدمه

الى متحف مقارنة الشعوب باوكسفورد وقال أننا نرى في رسوم مقبرة في (Herakonplis) من قبل أزمنة التاريخ صورة فخ كبير من من هذا النوع وقد سقطت به أربع حيوانات لاجل ايجاد صيد للميت (٤٦) ذكر كيتشينج ص٩ — ١٨٨ من كتابه أن أهالى مملكة جان (Gan) يزينون رؤوسهم بشيء يسمونه جويتش (Giwich) وهو عبارة عن مخروط من شعورهم التي يحافظون عليها كلما قصوها ارتفاعه أربع بوصات وقطره عند القاعدة ثلاث بوصات وقمته عبارة عن ظرف مرمي (خرطوشه) فارغ ويزينونه بقلائد من الخرز الابيض والاحمر وقد قال بيتري أن هذه العادة تشرح لنا معمي الشكل المماثل لهذه الصورة الذي طالما صادفناه على رؤوس المصريين من عهد العائلة الثامنة عشرة الى آخر عهد العائلة العشرين والذى أعيانا معرفة حقيقته حتى وقفنا على هذه العادة العادة السودانية والفرق الوحيد بين الأثنين أن المخروطات المصرية لم تكن مزينة بقلائد وفى ص ١٦٩ من مجلة مصر القديمة قال بيتري عند آخر بحثه المذكور العبارة الآتيه : أن هنالك علائم تدل على وجود أدوار مهمة انتشرت فيها المدنية من مصر أو عن طريقها الى قلب افريقية فالدور الاول كان على عهد العائلة الخامسة عشرة فى نباتا (Napata) التى أخذت كل مدنيتها وكتابتها عن مصر ونشرتها بالسودان بيد أنها تصل الى خط الاستواء وغرب أفريقيا والدور الثانى فى القرن السادس قبل الميلاد وفيه وصلت المدنية المصرية الى بلاد النيجر (غرب افريقية) ومركز افريقيا الى جنوب

خط الاستواء ثم ضرب مثلا بطراز المعمار المصرى وانتشاره بافريقيا فقال أن اهالي سونغاي (Songhia) قد افلحوا فى تقليد طراز المعمار المصرى فى المباني الخشبية والطينية بدل مبانى مصر الحجرية ثم انتقل من ثم الى (Mandin Gos) ماندين جوز . . . ثم فى مدينة جنه (Jenne) الواقعة عند ملتقي النيجر وباني (Bani) ومن (جنة) انتشر فى جميع انحاء السودان الغربى وليس ذلك يقاصر على طرز المعمار المصرى بل كذلك بناية السفن وبقية الصنائع الاخرى ثم قال ان اكثر العقائد والعادات الافريقية كونت دعائم المدنية المصرية بيد أنها ليست كل شيء في مدنية مصر لان صلات مصر الدائمة مع سور وعلام وأشور وبابل واليونان ادخلت على المدينة المصرية كثيرا من التعديلات والرقي بيد أن ذلك لاينفى أن أساس مدنيتها خصوصا قبل أزمنة التاريخ أفريقي بحت .

أثبتنا فى مقالتنا الماضية وجود اتفاق كبير بين العادات المتبعة في مصر والسودان منذ العصور الغابرة ولا شك أن وجود بعض العادات الجوهرية خصوصاً العادات المتبعة في دفن الموتى والعقائد الدينية عند قومين أو أكثر لا يمكن تأويله (أولا) بأنه من قبيل توارد الخواطر أو المصادفة خصوصاً إذا كانت تفاصيل هذه العادات متفقة فى كل شيء (ثانياً) لا يمكن تأويله بأنه ناجم عن النقل أو التقليد اللهم إلا إذا أثبتنا وجود علاقات متبادلة وثيقة بين الطرفين منذ القدم ومع هذا فان التقليد في الغالب يكون في الامور

الغير جوهرية اللهم إلا اذا أرغم قوم غيرهم بقوة السلاح والتغلب على قبول عاداتهم وهو في علاقات مصر بمجاهل أفريقيا وغيرها معدوم : فلا يمكن إذن تأويل وجود هذه العادات إلا بالسبب (الثالث) وهو القاعدة الاساسية المشيدة عليها دعائم علم مقارنة المدنيات والمجمع العلمى لهذا الفن وأعنى بذلك القرابة العرقية بين هذه الاقوام ذات العادات والعقائد الدينية المتشابهة وبناء على ذلك لا يسع بيترى أو أى مكابر من الاستعاريين إلا الاقرار بأن مصر والسودان من عنصر واحد وكون العادات المصرية القديمة مطابقة لكثير من عادات القبائل المختلفة بأفريقيا يشرح لنا سبب تسمية مصر بمصر إذ هذه الكلمة التى حاول بروكش وغيره تأويلها باسم قلعة أو جبل معناها الحقيقي في اللغة السنسكريتية الشعب المختلط الامشاج أو الخليط من الخلق كما إن كلمة قفط أو إيجيبت معناها المصون أو المحفوظ ومن هاتين الصفتين سهل تصالب الشعب المصرى المكون من العنصر الحامي فالقبائل الزنجية المختلفة فالعنصر الكوشى أو البونى أو الاثيوبى حتى صار شعباً ذا صفات خاصة ولكن عنصره هو وسكنة السودان واحد وهنالك بعض عادات أخرى لم يذكرها بيترى أود أن أذكر أهمها تأييداً لهذه القرابة العنصرية بين المملكتين التى بفضلها نفهم كثيراً من أسرار الديانة المصرية القديمة .

(١) إن عادة الختان المنتشرة بين الاقوام السامية والشعب المصرى منذ القدم موجودة أيضاً بالسودان واذا كان هيرودوت

قديماً قال بأن سكنة كليكيا من نسل الجيوش المصرية لوجود الختان لدى القومين لجهله بوجوده لدى بقية الاقوام السامية فان ختان البنات الذى لا أثر له قط بأى جهة من جهات العالم إلا بمصر والسودان من أكبر الادلة على القرابة العرقية بين الشعبين وتوسع السودانيين في عمليات الختان وعند الولادة وفي ظروف أخرى مما يبرهن على أن منشأ هذه العادة سودانية انتقلت الى مصر منذ القدم ولا تزال متبعة في القطرين .

(٢) العنجريب أو السرير المصنوع من الجريد كان موجوداً في مصر من أقدم العائلات الملوكيين وكان مستعملا في كل منزل بها على عهد تل العمارنة والعائلة الثامنة عشرة الفرعونية ولا يزال الى اليوم مستعملا بالسودان وبلاد الصومال وخط الاستواء (راجع الخريطة نمرة ٢ من الجزء الاول من اطلس افريقانوس) وببلاد الحبشة ويوغاندا نجد استعمال العنجريب والمصاطب المبنية باللبن — كمصاطب العمد والفلاحين بمصر — شائعاً وما اندراس هذه العادة في مصر إلا بفضل تغلب المدنية الغربية عليها .

(٣) جاء فى ص ٥٠ من كتاب افريقيا المجهولة لمؤلفه العلامة فروبينيوس العبارة الآتية : ان الرسم — المقصود هنا الرسم التخطيطي لا التصوير ولا النحت لا يوجد قط بين الاقوام الافريقية الا عند قدماء المصريين ولا يزال حيا إلى اليوم في رسم البوشمان وهم في الرسم أقرب إلى قدماء المصريين من جميع سكان شمال افريقيا

وقد سبق لى القول بأن البوشمان أو سكان الادغال لما هبطت الصحراء وشمال أفريقيا انسحب سكان الصحراء إلى أواسط افريقيا وسكان الشمال هاجروا إلى مصر (راجع أيضاً مقالة بيترى فى دائرة معارف تاريخ العالم لهامسورث في شأن تاريخ مصر القديم وهذا يبرهن على القرابة العرقية بين المصريين والبوشمانيين

(٤) جاء فى كتاب « عشر سنوات بخط الاستواء بافريقيا والعودة مع أمين باشا » لمؤلفه كيتانو كوزانى ص ٤٢ : من اهم طقوس الدينكه الدينية عبادة الثعابين وتقديسها ففي كل منزل يوجد ثعبان أو اكثر يعيش آمنا هادئا دون أن يمسه أحد بسوء بل له حرمة الانبياء ويبلغ من ايناس الثعابين أنهم يقدمون لها اللبن لأطعامها وأنه يتبع المرأة عند ما تناديه فى جميع غرف المنزل وثناياه دون أن يؤذي أحداً بسوء وجاء في دائرة معارف الأديان تحت مادة (Nuba ص ٤٠٢) وفى ثيرا الاخضر بكورد فان الجنوبية توجد أناس تدعى أن جدها الأعلى ثعبان يسمونه أرونجا (Erunga) يستطيع كل واحد منهم أن يقلب نفسه أفعى ! ! ! متى شاء واذا لدغ ثعبان أو أفعى أي انسان تفل أحد أولئك الناس على الموضع ودعكه فيبطل أثر السم ويطيب المصاب لوقته . واذا انتقلنا إلى مصر قديماً نجد أن الثعبان ذا الأجنحة أو الشمس ذات الأجنحة كانت ترسم برأس ثعبان وكانت من أكبر المعبودات بها ونرى أن الثعبان المقدس كان رمز الربة (Buto) وكان بمصر معبدان الثعابين مقدسين في مقاطعة

طيبة خصوصاً فى جهاتها الشمالية (راجع ص ٣٥ من مجلة مصر القديمة ٩١٤ لبيتري وكتاب الدين المصرى لايرمان) ونجد الدور المهم الذى يلعبه الثعبان في سياحة أوزيريس وقرص الشمس في عالم الأموات ونرى حتى اليوم الاعتقاد السائد لدى الخلق بشأن الثعابين الموجودة بالبيوت من أنه صاحب البيت أو رب البيت الذى لا يصح أن يؤذى بل يطعم وأنه لا يضر إلا إذا أوذى وأن رفيقته أو قرينته تنتقم من العائلة ان هى ضرته ونجد الطريقة الرفاعية وما يتبعها من القبض على الأفاعى ومنع أثر سمومها وضررها كلها أشياء تثبت وجود هذه العقيدة السودانية وتأصلها بمصر منذ القدم بفضل قبائل الدينكة التى هاجرت الى مصر على عهد العائلة الثالثة الفرعونية وبفضل القبائل النوبية التى توطنت وسكنت بصعيد مصر حتى طيبه ومايليها .

(٥) كتب العلامة ادوار نافيل في مجلة الحفريات الأثرية ريفيو أرشيولوجيك سنة ١٩١٣) مقالا بديعاً تحت عنوان المنشأ الأفريقى للمدنية المصرية جاء في صحيفة ٤٨ ان آثار العصر الحجري تدل على أن منشأ المدنية المصرية القديمة كان له مركزان واحد بالدلتا والآخر ببلاد النوبة الجنوبية والسودان وقد اعتقد المستر (W. Welcome) أنه كان بسنار والنيل الأزرق يعنى ان سكان مصر الأصليين لم يكونوا أسيويين بل أفريقيين جاؤا اليها وانتشروا فيما حولها من البلدان وجاء في ص ١٠ — ٥٠ أن اسم (Anou) أنو أو (An) أو (On) اسم عنصري وكان يطلق على عين شمس حيث كان يعبد توم أو أتوم وكان اسم مصر « قطرآن » وهذا العنصر في

عرف قدماء المصريين كان يسكن كل شمال أفريقيا وشبه جزيرة طورسينا وبلاد النوبة وكان اسم (Anuthennu) يطلق على سكان شمال أفريقيا الواقعين بغرب مصر و(Anahesti) يطلق على سكان بلاد النوبة وجنوب مصر واسم « Anu » كان يطلقه قدماء المصريين على فصيلة من البشر لها لون معين ولم يطلقوه على الزنوج قط وقال في ص ١ — ٥٠ ان أحد ضباط العائلة الخامسة توغل في أعالى النيل فوجد ان أكثر سكان حياضه من هذا العنصر الذى كانت حدوده الجنوبية بعيدة ثم أخذت تنحسر الي الشمال تدريجياً على ما يظهر تحت تأثير غارات الزنوج واسم (Anumcentou) أو « Menti » كان يطلق على سكان شبه جزيرة طورسينا وجنوب فلسطين وبلاد مدين وربما كانت كلمة مدين فى اللغات الساميين مشتقة من « Mentou » المصرية والعنصر الذى كان قدماء المصريين يسمونه Anou هو الذي نسميه نحن الآن الحامى ساكن شمال أفريقيا وأعالى النيل وجاء فى ص ٥٢ أن قبيلة هاجرت الى مصر من السودان في مبدأ عصور التاريخ وحملت اليها حرفة التعدين والصناعات المعدنية وجاء فى ص ٤٠ — ٥٣ أن قبيلة أفريقية « سودانية » تعرف صنع النحاس جاءت من حياض النيل الجنوبية وأدخلت هـذه الصناعة الى مصر وعلمت أهلها الصنائع والكتابة والزراعة ويسمى عصرها بالعهد « النحاسى » وكانت هـذه القبيلة من نفس العنصر الأصلى لسكان وادى النيل

هذه النبذ تدلنا أولا على القرابة العرقية بين الشعبين وثانياً على ان العنصر المصري أكثرية دمائه حامية مثل بقية سكان شمال أفريقيا وشرقها وبلاد النوبة والجزء القليل فيه من الزنوج والبوشمان وغيرها من قبائل مجاهل أفريقيا ولا أظن بعد كل الادلة العلمية السالفة الذكر يستطيع متبجح من مستعمرى الانجليز أن يدعى بأن المصريين غير السودانيين أو أنهما قومان لاقرابة عرقية بينهما أو يعجز مصري عن اثبات هذه القرابة المقررة لدى كل العلماء وان شاء الله سأذكر للقراء فيما بعد العلاقات التاريخية والدور المهم الذى لعبته مصر فى نشر المدنية بالسودان خاصة وأفريقية عامة هدانا المولى سواء السبيل

يقول لنا الاستاذ حورج بوشان في كتاب علم أنباء الشعوب وأنسابها (Voker Kundi) ص ٥١٢ ان قبيلة المنجبيتو Mangbetu تزين شعورها بدبابيس مصنوعة من النحاس والعظم وخلافه كما كان يفعل قدماء المصريين تماماً وفى ص ٥١٣ يقول ان الخناجر المستعملة اليوم فى اداماوا Adamawa صورة طبق الأصل من خناجر قدماء المصريين وفي ص ٥١٤ يقول ان السهام الحادة القاطعة المصنوعة من الخشب التى كانت مستعملة بمصر قديماً موجودة اليوم من دارفو غرباً الى شرق بلاد الحبشة شرقاً ومنتهى بلاد يوغاندا جنوبا وفي ص ٥١٦ يقول ان قبيلة « Asanda أساندا » تستعمل اليوم قيثاره من الطراز الذى كان يستعمله قدماء المصريين تماما .

ص ٤٥٦ ان الاوانى الحجرية التى من طراز أوانى قدماء المصريين مستعملة حتى اليوم بأعالى النيل . كل هـذه البراهين تؤيد وحدة مصر والسودان في العنصرية والدين والعادات رغم أنف كل مكابر وما اختلاف لون البشرة إلا من تأثير الأقليم وحرارة الشمس كلما اقترب الانسان من خط الاستواء وما أصدق ما قاله حكيم العرب الاشهر ابن سينا في هذا الباب وجاء العلم الحديث مصدقا له

فى الزنج حر غير الاجسادا حتى كسا جلودها سوادا

والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

وانى أود أن أذكر رأى « أرثر ويغال Arthur Weigall » مفتش عموم مصلحة الآثار المصرية سابقا وصاحب المؤلفات القيمة فى تاريخ مصر بشأن أصل العنصر المصرى بايجاز . ص ٩٣ ج ١ « ان العنصر المصرى حتى عند مبدأ فجر التاريخ كان مكونا من أمشاج عناصر مختلفة ففى الوجه البحرى كان القسم الشرقي أغلبه من عناصر أسيوية وفي غرب الوجه البحرى كانت الاغلبية من الليبيين أما سكان مدينة أون أو عين شمس فأصلهم بدوى أما سكان الصعيد فقسم منهم منشأه بلاد بونت وقسم أسس المملكة التينية وقد دخلوا مصر من الواحات الخارجة يعنى أصلهم ليبى ثم قبائل عبدة ست القوية وهي أقدم سكان مصر ويظهر ان عنصرهم ليبى أو حامى » واذكر ماجاء فى ص ٥٥٠ من كتاب الاستاذ يوشان من « ان اقدم سكان الحبشة وما جاورها هو موجة

حامية الاصل امتدت من مصر الى هذه الارجاء فتوطن منها في شمال الحبشة ووسطها الاثيوبيون وسكن بقية البلاد القبائل الحامية المشهورة مثل أجاو Agaue وفالاشا Falascha وكافتشو Kaffitscho الخ » واضيف الى ذلك الفصل الممتع الذى نشره العلامة استواينفورت في كتابه المسمى (طرق مصر المهجورة Auf Unbetretnen Wegen in aegypten المطبوع سنة ١٩٢٢ ببرلين والذى وصف لنا فيه مقابر تمتد من الكاب El Kâb (ما بين اسنا وادفو) حتى أعالى بلاد الحبشة وبمنطقة الهدندوه وأكد بأنها كانت لشعب البجا كما يسميه مؤرخو العرب والبلميين Blemmye كما يسميه مؤرخو العرب ويصرح بأن قبائل العبابدة استعربت كثيراً » والبشاريين والهدندوة وبنى عامر استعربت لدرجة ما وحباب ، والشكرية (استعربت) والكبابيش المقيمة الآن في غرب النيل وسكنة الكهوف قديما كلها من فروع هذا الشعب وان هذه المقابر كانت مستعمله حتى العصر التاسع بعد الميلاد حيث اعتنقت هذه القبايل الاسلام واتبعت طريقة الدفن الاسلامية . وانى أصرف النظر عن تفاصيل هذا البحث الطريف مكتفيا بهذه الخلاصة المثبتة ان هذه الموجه الحامية اتجهت من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي يعني بعكس الموجة القديمة التي تحركت من مصر الى الحبشة وبلاد الصومال وان كل هذه الابحاث العلمية تؤيد شدة الروابط العنصرية بين مصر وجميع بلاد النيل وملحقاتها حتى ظهور الاسلام

واذا أضفنا الى ذلك المحاضرة القيمة ما كميشائيل — H. A. Maicmchael التى عنوانها (ورود العرب الى السودان The Coming of he Arabs to the Sudan) والتى القاها أمام الجمعية الاسيوية الملوكية بانجلترا بتاريخ ٢٠ يوليه سنة ١٩٢٨ تخليدا لذكرى الرحالة الشهير Burton نجد ان جميع القبائل العربية بالسودان هاجرت من مصر بعد أن أقامت بها أعصراً وأن بعض اقسامها لا يزال متوطنا بمصر حتى اليوم ولولا خشية الاطالة لأثبت معنى هذه الخطبة بيد أنى اكتفى بهذه الاشارة لمن يريد المزيد ولكننى أنقل هنا بيانا موجزاً لقبائل السودان المختلفة العناصر عن كتاب السودان المصرى ج ٢ ص ٤٢٨ وما يليها لمؤلفه Wallis Budge واليس بادج المطبوع بلوندره سنة ١٩٠٧ : هذه قائمة باسماء قبل السودان المختلفة جمعت ورتبت من كتابى الكونت جليشن Gleichen ومن تاريخ السودان لنعوم بك شقير وقد أضفت اليها معلومات مهمة جمعتها من كتب هارتمان ويونكر وبيكر وشوا ينفورت وغيرهم من السياح .

القبائل الزنجية او التى تغلب عليها الزنجية

(١) اجار Agar شعبة من الدنكة تسكن حوضة نهر رول Rul ببحر الغزال (٢) عورا Awra تقطن ببلدة جالا Galla الواقعة

مابين الكابكابية Kabkabiya وكولكول Kulkul في دارفور (٣) بانقو Banku ببحر الغزال تستخرج الحديد وتصنع منه أشياء كثيرة وصفهم شواينفورت جيدا من حيث العادات وهم لا يعتقدون في البعث والنشور ولا في تناسخ الارواح بيد انهم يهابون خشية الارواح الخبيثة ويخافون من السحرة لدرجة لا يمكن تصورها (٤) بارى Bari عنصر ضخم الاجسام يعيش بجوار بارى وجوندوكورو يقول عنهم بيكر أنه تنقصهم الصفات المميزة للزنوج من سماكة الشفاه وفطاسة الانوف . تفاسير وجوههم حسنة بيدان شعورهم صوفية يصبغون جلودهم Red ochre بلون أحمر ويوشمون اجسادهم ويتركون بأعلى رءوسهم ذؤابات من الشعر يرشقون فيها الريش ويتحلون بعقود من الخرز أو حبات الحديد ويسبلون خلفهم ذيلا من خيوط جلدية رفيعة أو قطنية . عششهم لها سقوف بارزة وابوابها ارتفاعها قدمان يحيط بها سور وارضها مصقولة بالرماد وروث البقر والرمل . يدفنون موتاهم داخل الاسوار المحيطة بالعشش ويرشقون عمودا على كل قبر يعلقون على قمته مقدارا من ريش الديكة ويربطون جماجم الثيران وقرونها (المعدة للقرابين) بهذه الاعمدة ويسممون سهامهم بعصير شجرة معينه معروفة لهم . واقواسهم من الخرزان وسهامهم طولها ثلاثة اقدام وأسنتها تركب فى حفر خصيصة بها في نهاية السام ويقول بيكر ان بارى تعتبر اسوأ قبائل بحر الجبل سمعة وهم لا يلبسون شيئا ومغرمون بالغناء والرقص والمشروبات الروحية الشديدة (٥) بارقارد

Barkard أهم مراكزهم بجبل موسكو Musku مابين جبل حارز وجبل مره ويعبدن الاصنام سراً (٦) بارتا Barta يقطنون في بنى شنكول بجنوب فاكا Famaka وهم أقارب قبائل الفنج Fung ولونهم يكاد يكون أسود وصفهم بعض السياح بان تفاسير وجوههم قوقازية رجالهم يتمنطقون بحزام من الجلد له ذيل بينما النساء يسرن عاريات تقريبا وكانوا يدفعون للحكومة المصرية سنويا جزية قدرها ستة آلاف جنيها واول من اكتشف بلادهم Taillland (٧) بارتى Barti اهم مراكزهم جبل تاقابو Takabu الواقع على مسافة ثلاثة أيام من الفاشر يتكلمون باللغة العربية عدا لسانهم الخصوصى (٨) بيقو Biko يقطنون بجنوب الدارا (٩) بديات Badeyat قبيلة بدوية فى غرب ابار النطرون (١٠) بورون Burun شعبة من الهمج تعيش فى الجبال الواقعة بجنوب خور دولاب Dulab (١١) داجو Dago تقطن بجبل داجو الواقع على بعد يومين في غرب دارا . (١٢) دوار شعبة من الشلوك تعيش فى غرب منطقة الدينكة (١٣) الدينكة تعيش في شرق النيل الابيض قرب الشلوك مابين خطى العرض ٦ و ١٢ وهم طوال الاجسام والرءوس رفيعو العضلات وانوفهم عريضة بطراء الارنبة وافواههم واسعة وشفاههم كثيرة اللحم بيدانها غير سميكة ، رجالهم يمشون عراة الاجسام ويعيشون في عشش اسمها (التوكول) مغطاة بالقش وينامون على فراش من الرماد وروث البقر والنساء ترتدي بسترة من الامام والخلف لستر العورة وينمن على حصر

والرجال مسلحون بالحراب والهراوات القصيرة والدينكة المتوطنة بالنيل الازرق هاجروا الى هنالك من منطقة بحر الغزال (١٤) فراتيت Faratit تعيش ببحر الغزال فى الجنوب الغربى من دارفور

(١٥) فور Fur : أهم مراكز جبل مرة Marra اعتنقوا الاسلام فى القرن الخامس عشر الميلادى وحكمهم ملوك مولدون من سنة ١٤٤٤ الى سنة ١٨٧٤ (١٦) جبلايون Gablayun: تسكن فى فاماكا وهم أقارب قبائل الفنج وقبائل الهمج (١٧) جبلاويون Gablawiyon تقطن بجبل مول في غرب دارفور (١٨) جانقى Ganki قبيلة ببحر الغزال من أقارب الدينكه (١٩) جور Gur : ديرتها بين الدينكة والبانقوس من أقارب الشلوك ويتكلمون بلسانهم ويشتغل أفراد هـذه القبيلة بصقل الحديد (٢٠) كاجا البادو Kaga Albado : وديرتهم في شمـال وشرق أم شانقة وهم مهرة في صيد الزرافة والدراك (٢١) قمر Kimr اهم مراكزهم ابوعشار الواقع على بعد ثلاثة أيام فى غرب كولـكول (٢٢) كبق Kubk تقطن في الشمال الغربي من جبل مرة (٢٣) قولو Kulu يعيشون في غرب البانقو في عشش جميلة الصنع شديدة النظافة . عملتهم حداوى من الحديد وثمن المرأة أربعون من هذه الحداوى (٢٤) قموز Kumuze تعيش في شرق فامارا وجيرانهم قبيـلة لامقاسنا Lamkesna المشهورة بلصوصيتها (٢٥) لاتوكا Latuka قبيلة تعيش بتربية الماشية في شرق الجبل ، عششهم على شكل النواقيس وفي كل قرية برج مكون من

ثلاثة طبقات يقيم به الحراس ليل نهار . (٢٦) مادي Madi تعيش بجوار بارى ، أفرادها أقوياء البنية طوال الرءوس والرجال والنساء تقص شعرها قصيرا والرجال تستر أكتافها اليمنى بينما الصدور والاكتاف اليسرى عاريات وهم فلاحون مهرة يقيمون في عشش نظيفة (٢٧) ماكاراك Makarak : يقول يونكر في ص ٢٣٤ من كتابه المسمى سياحة بافريقيا أن اسم هـذه القبيلة معناه أكلة لحوم البشر . وهى شعبة من نيام نيام تقطن في بحر الغزال وقد وصف بوختا وهارتمان ويونكر ومارنو وشواينفورت عاداتهم بالتفصيل (٢٨) مارايت Mararit أهم مراكز الجاللا مابين الكابكابية والكولوك (٢٩) مساليت Masalit جيران قبيلة قمر (٣٠) مدوب Medub تقطن بجبل مدوب الواقع على بعد ثلاثة أيام من تقابو القريبة من طريق الاربعين (٣١) منا Muna مركزهم المهم فافا Fava وقد اسلم قسم منهم (٣٢) نيام نيام : قوم مشهورون يعيشون ما بين درجة عرض ٢ و٦ شمالا وكان عددهم مليونين ويسمون أنفسهم آ.زندى A. Zandi وهى كلمة دينكورية معناها الشره أو انهم لانهم كانوا ولازالوا يأكلون لحوم البشر وقبائل ميتو Mittu تسميهم أماكاراك بينما البونقو تسميهم مانيانيا Manyanya والديور يسمونها أومادياكا . Omadyaka والمانباطو يسمونها بابونجيرا Babungera ويعتقد بعض السواح انهم من أقارب الجاللا والصومال أو من أقوام الواهوما Wahuma وغيرهم من السواح يجعلهم من أقارب (فان)

Fan والمانيما Manyema الذين يعيشون في غرب بحيرة تانغانيقا ولونهم بنى غامق وأجسامهم متينة البنية ، قامتهم متوسطة ورءوسهم غير مستطيلة ووجوههم عريضة وأنوفهم على رواية بعض السياح سامية الطراز بيد أن أرنبتها بتراء وعريضة وشفاههم غليظة وخدودهم ممتلئه واذانهم موضعها أقرب الى أعلى الرأس وذقونهم مستديرة وايديهم عريضة صغيرة وكذلك أقدامهم والرجال والنساء منهم يرخون شعورهم الطويلة المرسلة على اكتافهم وقد في تصل بعض الاحيان الى خصورهم وهم يرتبونها باشكال عجيبة ويجلونها بدهون مختلفة ويعقدون منها خصلا للزينة ويتركون لحاهم الطويلة ويوشمون أقساما متعددة من أجسامهم ويرتدون الجلود ويحبون العقود المصنوعة من الخرز وكلما اختلفت وتعددت أنواعه كلما راقهم كثيراً ويتسلحون بالحراب والدرق وخناجر مختلفة الانواع ويعيشون كل جماعة منهم في بضع عشش بيد أنه ليس لديهم قرى أو مدن وهم من أمهر الصيادين ويربون كلابا مدببة الاذان كعكية الذيول وينصبون الشراك للفيلة وكانوا قديما يجمعون مقادير عظيمة من العاج والرجال يتزوجون بنساء كثيرة ومع هذا لو خانت المرأة زوجها فجزاؤها الاعدام . والمرأة تفخر بكثرة أولادها وكلما كثر نتاجها كلما ارتفعت درجة احترامها بين قومها وهم مولعون بكل أنواع الموسيقى والرقص ويمضون أكثر أوقاتهم في لعب المنقلة التى يلعبونها على لوحة طويلة منصوبة على أربعة قوائم وبها ١٦ حفرة أو عين

وأحجار اللعب ٢٤ قطعة . وهم يقصون شعورهم فى المآتم علامة الحداد وجثث الموتى تزين بالريش وغيره وتوضع نصف جالسة فى قبورها أو فى أجزاع الاشجار المحفورة وفي بعض الاحيان قد يبنون غرفة في الارض بجوار القبر ويشيدون من فوقها عشة (توكول) ونيام نيام قوم حرب وشجاعة وضرب لايرهبون الردي بيد أنهم جنود قساة القلوب يأكلون من يقتل في المعركة وكذلك بعض من يموتون طبيعيا ويتلذذون بأكل شحوم البشر ويدهنون بها أجسامهم ويأكلون الكلاب وهذه العادة كما يعتقد شوا ينفورت من ملحقات اكل لحوم البشر وقد وصف عاداتهم باسهاب يونكر وشوا ينفورت وبوختا وجميعهم يقررون أن النيام نيام هم أزكي سكان بحر الغزال وآخر من زار منطقتهم هو القائمقام اسبار كس Sparkes الذى يصرح بانهم يفوقون في المدارك والذكاء جميع الاقوام التى صادفها بهذه المناطق . وعاداتهم في القسم الاعظم منها تشبه كثيراً عادات قدماء المصريين الذين هاجر أسلافهم من بونت الى مصر وليس من المستبعد أن قبائل النيام نيام العائشة اليوم على الفطرة الاولية اصلها قوم فان وأن أصل فان محرف عن بون يعنى سكان بونت .

(٣٣) النور أوالنوير : يعيشون مابين نهرى الصوباط وبحر الغزال. وكلهم عراة الأجسام ويدهنون أبدانهم برماد روث البقر ويصبغون شعورهم بلون أحمر ويصقلونه برماد معجون ببول البقر والنساء المتزوجات يلبسن حول وسطهن سترة من الحشيش لستر العورة

ويخرقن الشفاه العليا حيث يضعن سلكا من الحديد قد ركبت فيه خرزات يبرز على شكل قرن الخرتيت أو وحيد القرن والرجال يلبسون حول اعناقهم عقودا خرزية وحلقات حديدية (مدبدبة) حول الأذرع والمقابض يستعملونها في تأديب النساء وضمان طاعتهن وهم أقوياء البنية طوال القامة مسلحون بالحراب والعصى الغليظة ويعيشون في عشش حسنة البناء ومدار معيشتهم الفلاحة والصيد البري والمائى (٣٤) زوناق تعيش فى الجنوب الغربي من داجو (٣٥) شرى Sheri تعيش بالقرب من بارى في شمال جبل لادو والرجال مسلحون بالحراب والهراوات من الابنوس وأقواس دائما مشدودة الاوتار والسهام ويحملون على ظهورهم أنبوبة ضخمة والنساء يرتدين ستورا من الجلد ذات أذناب مكونة من سيور جلد رفيعة ويحملن أطفالهن فى أكياس من الجلد تعلق في الكتفين (٣٦) الشلوك : يعيشون في في غرب النيل الابيض ما بين جزيرة ابو وبحيرة نو وقد كانت عاصمتهم فاشوده ويسميهم الاهالي شللا Shulla أو أوجاللو Ojallo وهم طوال القامة مهضومو الحشا وأكثر الرجا يسيرون عرايا بينما النساء يرتدين بعض الملابس والرجال مسلحون بالحراب والمجن (الدرقه) والهراوات ويقال أنهم من أحسن الجنود وأشجعهم يحبون الاستقلال سريعو الغضب ويميلون للخصام والعناد بيد أنهم أهل حرف ، لا يركن لامانتهم خصوصا وانهم كثيرو المكر والحيل ويؤكد الكونت غلايشن أنهم أمهر المحاربين بالسودان واخلاقهم من حيث عفة

النساء وحسن معاملتهن طيبة وممدوحة ويقول هارتمان أن من طبعهم تعدد الزوجات وأهم أعمالهم تربية الماشية لان أكثر بلادهم مراعى ويمهرون نساءهم بمقادير من الماشية وبلاد الشلوك يحكمها رئيس يلقبونه ملك Muk ومنقسمة الى منطقتين جر Gur ولوك Loak ثم تقسم الى ٢٩ مركزا أو ديره وأوفى معلومات عن قبائل الشلوك موجودة في الجزء الاول ص١٩٣ من كتاب الكونت غلايشن وقد شرح تاريخهم ودينهم وعاداتهم باسهاب (٣٧) سيمبار Simyar :قبيلة من أقارب قمر والمباليت تعيش بجوارها . (٣٨) شوللا Shulla : شعبة من نفس عنصر الشلوك تعيش عند منبع بحر الجبل يعنى النيل الاعلى . (٣٩) تاما Tama : قبيلة تعيش بجوار قمر (٤٠) زاغاوا Zaghawa قبيلة تعيش على بعد أربعة أيام من شمال الفاشر وتعيش شعبة منها اسمها كامالت Kamalt بقرب دارا Dara

(٢) النوبيين أو البرابرة

ان سكان النوبة الآن عنصر مكون من النوبين (سكان كردوفان) والعرب والاتراك وينقسمون الى خمسة أقسام (١) دناقله كانت ملوكهم تحكم في دافار Dafar ودنقله القديمة والخندق وجزيرة ارقو وديرتهم واقعة ما بين الشلالين الثالث والرابع (٢) المحاس Mahass ديرتهم ما بين الشلال الثالث وجبل دوشه وكان مقر ملوكهم فى جبل ساسى Sasi (٣) السكوتيون Sukkot يعيشون ما بين جبل دوشه والشلال

الثاني (٤) الحلفاويون (Halfas) يعيشون مابين حلفا والسبوعة (٥) الكنوزيون يعيشون مابين السبوعه والشلال الاول . أن كثيرا من الكتاب يؤكدون ان أجداد النوبيين القدماء كانوا اسلاف قبائل البجا وأنهم هم مؤسسو حكومة مراو ونباتا بيدأنه ليس هنالك أدلة فنية تؤيد صحة هذه الاقوال

(٣) القبائل الحامية المنشأ

(١) العبابدة يعيشون في منطقة عتباى Atbai من خط عرض دجة ٢٢ ½ حتى طريق قنا والقصير وينقسمون الى خمسة شعب (ا) عشاناب Ashshanab ومقرهم اسوان ويعيشون بالصحراء مابين قنا وكروسكو (ب) ماليكاب Malikab ومقرهم دراو ويعيشون بين دراو وبربر (ج) فقاره Fakarra مقرهم رمادى بقرب ادفو ويعيشون بساحل النيل مابين قنا وكروسكو (د) عبودين Ebbudin وشناتير مقرهم سياله شمال كروسكو (٢) البشارين Bisharin وتنقسم هذه القبيلة الى ثلاثة شعب مهمة (ا) شعبة تحتل ساحل البحر الاحمر من القصير حتى العطبرة (ب) شعبة تقطن بحوض العطبرة (ج) شعبة تقيم فى جزيرة عتباى . والبشارية يدعون أن أصلهم عربى بيد أن هذا يظهر أنه مستحيل ويقسمون أنفسهم الى أولاد أم على وأولاد أم ناجى ويقولون انهم أولاد أم علي زوجة على جعلان من نسل بشار بن كهل من نسل الزبير وكانت زوجته شقيقة العباس عم رسول الله وعشيرة علياب

الشهيرة بين البشارية تمت بنسبها الى أم على كما يزعمون (٣) بنى عمر Bani Amar تعيش مابين العقيق وسنهيت ويدعون أن أصلهم من من العرب (٤) حباب Habab تعيش فى شرق قبيلة بنى عمر (٥) الهدندوة قبيلة تعيش مابين خور بركة والعطبرة (٦) حلانقه Halanka مقرها كسله (٧) أم أرعر أهم مراكزها ارياب ودير بها ما بين بربر وسواكن (٨) أناك Anak لقد ذكر لى السير وينجت أن قبيلة طويلة القامة حسنة الهندام تعيش فى الصحراء الشرقية بهذا الاسم وهي فى الغالب من سلالة الشعب الجميل الخلقة الذي وصفه مؤلفو القدماء وقالوا أنه كان يعيش بجزيرة مراو وشعب البلميين Bleumyen

(٤) القبائل العربية المنشأ

(١) عبد الله قبيلة تعيش في حلفاية وجدها الاعلى عبد الله ساعد الفونج في تأسيس مملكتهم في سنار (٢) عقاليون دير تهم مابين دندر والنيل الازرق (٣) علاطيون Alatyun يعيشون بسواحل النيل الازرق مابين حدبات ومشروع طاوله (٤) عراكيون بجوار أبى حراز وواد مدنى (٥) عرب البشير : أهم مراكزهم عربية (٦) أولاد حامد يعيشون بجوار حبانيه (٧) الاحامدة : يعيشون بجوار جمعه (٨) بقاره محاربة يعيشون بين سنار وجبل شقاده (٩) بقارة الحوازمة يعيشون بجنوب كردوفان وأهم مراكزهم بركه (١٠) بريات وأهم مراكزهم تولو Tulu (١١) بطاحين يعيشون في شمال قبيلة الشكرية (١٢) بنى

فضل يعيشون بجوار الفاشر (١٣) بنى جرار يعيشون في شرق كردوفان في مناطق النعام والغزلان (١٤) بني حسين أو أولاد أبي روف يعيشون في المملكة الواقعة مابين جبل شقاده وخوردولب وأهم مراكزهم مرقوم وأبو حجر (١٥) بنى حاسن يعيشون بجوار المساليت (١٦) بني هلبه B. Helba مقرهم بلبل Bulbul بقرب دارا Dara (١٧) بدرية: مقرهم خورشي وطيارة ويقال انهم أقارب الجعليين (١٨) دار حامد : بجوار الكبابيش (١٩) ضبينة Dbaina أهم مراكزهم تومات على العطبرة وجيره Gira على الستيت Setit ودوكه Duka (٢٠) دوغم Dughem (٢١) فونج Fung : أحفاد مجموعة قبائل كانت ذات سطوة عظيمة قديماً تعيش فى رنقه بقرب سنار ودبه Dubba ودنقله . أصلهم زنوج بيد انهم حتى على عهد سليم (١٥٢٠) ميلادية كانوا يدعون بأنهم من نسل العباس عم النبي

(٢٢) الجعليون : يعيشون مابين الخرطوم وأبي حمد وهم من احسن القبائل العربية وأقدرها بالسودان (٢٣) جعياب على النيل مابين عقبة قرة والشيخ الطيب (٢٤) جموعية : على النيل الابيض من ام درمان الى الجنوب (٢٥) جمعه : اهم مراكزهم شاركيله (٢٦) جوامعه : اهم مراكزهم بارا Bara . (٢٧) حبانية : اهم مراكزهم كاكا Kaka في دارفور وتوجد قبيلة بنفس الاسم تقطن بشركيله (٢٨) حلاويون : بجوار المسلمية : (٢٩) حماده : اهم مراكزهم دابارکي : Dabarki ودنكور Duncur وتعيش مابين

راهاد Rahad وبندر (٣٠) همج : قبيلة زنجية اسلمت اهم مراكزهم جبل قالى الواقع على بعد ثلاثة أيام في جنوب كارجوك (١٣) حمر Hamar : تعيش فى ابي حراز والنهود وفى مناطق Tabaldi يعنى أشجار المياه . (٣٢) حسنية : في جبل جليف Gilif فى صحراء جاكدول Gakdul (٣٣) حواوير : أصلهم من صعيد مصر ويعيشون في صحراء جابر (٣٤) حواطية : في غرب الكبكبية Kabkalia (٣٥) حمر Humr في أضية Udia مابين بركة وشاكا (٣٦) حمران (٣٧) حسونات Hussunat أهم مراكزهم قاطنه (٣٨) كبايش أكبر قبائل كردوفان ويقال أن عددها كان قبل ثورة المهدى ربع مليون نسمة وأهم مراكزها آبار وصافية وعين حامد (٣٩) كتابة تعيش بقرب جزيرة آبا Aba بالنيل الابيض . (٤٠) كربات Carubat : فى غرب الكبكابية (١٤) خوابير : يرجعون أصلهم الى بني املا Umnla وبنى عباس وهم من أكثر الناس تربية للماشية والخيل ومركزهم ودعه Wadaa

(٤٢) خوالده . بقرب عبود بالجزيرة (٤٣) هواوير وخزام (٤٤) كواهلة . بقرب عبود وواد مدني والبدو منهم فى غرب بندر Dinde r وهم أقارب الحسنات والشنابله (٤٥) قواسمه : في شمال سنار ومن شعباتهم عبد اللب Abd ellub وقماطير الذين يعيشون مابين النيل الازرق ورنقه والروصيرص وأهم مراكزهم خاركوج Kharkog (٤٦) لحويون . بدو يعيشون بسواحل النيل الابيض مابين كوا

Kawwa وجبلين (٤٧) معاليه : أهم مراكزهم كاركود في شمال طويشه وقوز المعاليه (٤٨) مدنيون : أهم مراكزهم واد مدني واسمهم مشتق من اسم جدهم الاعلى الشيخ مدنى (٤٩) مهارى Mahari (٥٠) مهاريون أو مهارية : يقال ان أصلهم من عرب اليمن (من بلاد المهري في شرق حضرموت لافي اليمن — للمعرب) وأهم مراكزهم الدر Dur (٥١) المسالمية على النيل الازرق (٥٢) مرافاب Mirafab : يعيشون في جنوب رباطاب Rubatab وأهم مراكزهم بربر وهذه القبيلة تنقسم الى أربع شعبات مهمة وهى صيام ، مصطفياب لبابياب (Labbayab) ورحماب (٥٣) المناصير : على ساحل النيل عند الشلال الرابع وأبى حمد واقسامها هي وهباب وقبانة kabbana وسليمانية وحبرة وكاجوباب (٥٤) مصرية Musirya بكوردفان

(٥٥) رفعيون : في الكاملين على النيل الازرق (٥٦) رشايده عرب من الحجاز (٥٧) رباطاب : في جنوب المناصير واقسامهم الثلاثة المهمة هى بدرية ، فرانيب Faranib وداعيفاب ولديهم اراء السودانيين من أنهم أصحاب الملك Adh. al-khr وطربوشه ولديهم عرشه وطربوشه . (٥٨) رزقات : من أهم قبائل دارفور الكبيرة وأهم مراكزهم شاكا Chaka (٥٩) سار وراب . في شمال أم درمان (٦٠) شايقية تعيش بالشلال الرابع وأقسامها المهمة عدلاناب ، سواراب حنيكاب ، وعمراب (٦١) شامباطه: مابين واد عباس وسنار (٦٢) شكرية قبيلة مشهورة كانت عددها نصف مليون

نسمة قبل ثورة المهدى وأهم مراكزها رفاعة على النيل الازرق والفاشر على العطبرة والقضارف وارانج وقلاعة وأبو دلك (٦٣) سلم Sulim : في جنوب كنانة (٦٤) تعايشه أصل قبيلة عبد الله التعايشى مهدى السودان تقطن بمنطقة فراريت وأهم مراكزها منادوة بالقرب من كاكا (٦٥) ترجم Targam : جبران المساليت (٦٦) تمام : أهم مراكزهم بركة (٦٧) عطفات . أهم مراكزهم آنكا (٦٨) عريقات . أهم مراكزهم كتوم (٦٩) يعقوباب في جنوب سنار (٧٠) زبلعه Zaballa . في المنطقة مابين رهادودنيدر وهى لاتعتقد بنبي سوي أبى جريد مؤسس مذهبهم وقبره فى حلة بنزوقه مابين كاركوج والرصيرص وهم يقولون لا اله الا الله وأبا جريد رسول الله . ونساؤهم بيض الاجسام والرجال والنساء يحبون الطرب والسرور والنساء تكثر من الاكل والادوية شغفا منهم بفرط السمن ويستعملن الطيب والعطور بافراط شديد

واضاف نعوم شقير الى ما تقدم الاسماء الاتية: الاجانب ويطلق على من هاجر أوساح بالسودان وخلافه . الحضر : مصريون هاجروا الى السودان قبل اول فتح السودان ويقيمون في الخندق وشندي والمسلميه وغيرها ويشتغلون بالتجارة . اولاد الريف يطلق على المصريين والاتراك والاوروبيين الذين هاجرو الى السودان بعد فتحه الاول . المكادة : اسم تحقير يطلق على الاحباش النصارى الجبارطه : اسم يطلق على الاحباش المسلمين الدكارنة اسم أهل تكرور

الواقعة في جنوب بورينوا وتسمى الآن كاتكو Katku . الحلبات اسم يطلق على صغار العمال وماسحى الاحذية ومن شاكلهم وعلى من لاعمل له.

عربت هذه القائمة الشاملة لقبائل السودان لثلاثة أسباب (١) لان مابها من المعلومات يعتبر رسميا لان أساسه كتابة اللورد جليشن وقد كان رئيس قلم الاستخبارات العسكرية والمعلومات المسطورة. عمدة رجال الادارة بالسودان وفي معرفتها فائدة لشباب مصر هذا فضلا عن أن اضافة اقوال كبار السائحين والمكتشفين اليها مما زاد قيمتها اهمية (٢) ان هذه المعلومات المطولة لم ترد القارىء الا يقينا بوحدة العنصرين المصرى والسودانى فكل منها مزيج من الحاميين والعرب والزنوج مع مقدار قليل من الدم التركي (٣) ان نفس بادج مؤلف تاريخ السودان رغم جشعة الاستعماري يعترف بوجود قرابة عرقية بين قدماء المصريين وقبائل الزنوج حتى نيام نيام وعليه يرى القارىء اننا كلما زدنا موضوع القرابة العرقية والوحدة العنصرية بين مصر والسودان درسا وتعميقا فى البحث والتدقيق كلما زدنا ايمانا بصدق قولنا واحتقارا لدعاوى المستعمرين الكاذبة ولهذا اكتفي الان بهذا القدر وانتقل الى شرح العلائق التاريخية بين القطرين مستمدا من المولى الهداية والتوفيق

مصر والسودان في نظر التاريخ

ان من يدرس المدنية المصرية ويرى الدرجة الرفيعة التي وصلتها عند مبدأ حكم العائلة الاولى لايمكنه الادعاء بانها ولدت فتية بمجرد ارتقاء مينا عرشه لان هذا مخالف لسنن الطبيعة وأحكام المنطق وما مثله الا كمن يحضر تمثيل رواية فى الفصل الثاني والثالث ويعتقد أن هذا مبدأ الرواية كما يقول ارثر ويغال ومن الخطل توهم بلوغ الشعب المصرى هذا الرقي فى عصر أو عصرين لان دور الانتقال من الهمجية المطلقة ومن دور البداوة الى الحضارة وتصالب العناصر المختلفة وتوطنها من جهة ومعرفة طبائع الاشياء والتدرج في الزراعة والصناعة وتأسيس الادارة مما يحتاج الى عشرات الاعصر كما هو الحال فى بقية الامم ولهذا يرجع بيترى الى حوالى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد معتبراً هذا مبدأ المدنية المصرية بينما مانيتو يقول بان أقدم الحكومات المصرية يرجع عهده الى نيف وتسعة آلاف سنة قبل الميلاد بيد أني أقدم للقراء نبذة بسيطة من ابحاث أرثر ويغال بشأن الحكومات المصريه التى وجدت قبل عهد مينا أول ملوك العائلة الاولى جاء في ص ٤٠ و ٤١ من الجزء الاول ما يأتي . لقد وجدت

فى مصر قبل عهد مينا اربعة حكومات منفصلة عن بعضها تماما . الاولى في الوجه البحري وكان لها عاصمتان فى سايس وبوتو وكان ملوكها يرتدون التاج الاحمر والثانية مملكة الانسى Insi وكان ملوكها يرتدون التاج الابيض وكان مقرهم فى Hieracleopolis ومقرهم الشمالي ربما فى السور الابيض الذى صار فيما بعد مقر مدينة منف (Menphis) والثالثة مملكة الحوريين إو البواشق وكان مقرهم في Hieracopolis في جنوب طيبه والرابعة مملكة التينيين Thinis (بجوار ابيدوس أو العرابة المدفونة) ويظهر أنها التحقت بمملكة الحوريين لان مينا من احفادهم . والمرجح ان مملكة الوجه البحري أقدم من غيرها عهداً ولذا خصص لحكمها ١٨١٧ سنة يعنى أنها تأسست فى سنة ٥٢٢٤ قبل الميلاد (ويضيف بيترى الي ذلك سنة ١٦٤٠ أخرى — للمعرب) وبناء على رواية مانيتو يليها فى القدم مملكة هيراكليو بوليس ومنفيس يعنى انها حكمت ١٧٩٠ سنة وكان مبدأ تأسيسها سنة ٥١٩٧ قبل الميلاد ثم يليها مملكة الحوريين وقد حكمت ١٢٥٥ سنة فيكون مبدأ تأسيسها سنة ٨٥٢ قبل الميلاد وعند انتهاء عهدها ورثتها في الحكم العائلة التينية التى حكمت ٣٥٠ سنة حتى ارتقى مينا العرش سنة ٣٤٠٧ قبل الميلاد » وبالطبع لم توجد هذه الممالك الاربعة دفعة واحدة بل تكونت كل منها بعد حروب طويلة قهرت فيها حكام أو أمراء المقاطعات وقد كان منها بالصعيد ٢٢ وبالوجه البحري ٢٠ مقاطعة ثم جاءت الحروب الدموية التى أدت

لى توحيد القطر المصري فالملك كيت Ket (ملك مقاطعة الباشق شن غارات شديدة على جيرانه الشماليين وانتصر عليهم فوحد جميع الصعيد واصبح هوونسله خطر يهدد الوجه البحرى وجاء الملك الملقب بالعقرب فرصن وحدة الصعيد وزاد الخطر على جيرانه الشماليين ثم جاء الملك نرمر فاستولى على الوجه البحرى وقتل امير مديرية البحيرة (LaKe واسر منها ستة آلاف جندى قتلهم بجوار قلعته الواقعة قرب ادفو (أربوبا لمصرية القديمة) وقد ذكر لنا جميع المحققين من المؤلفين امثال ادوارماير وبريستد وويغال أن الملك نرمر استولى في بعض غزواته على مائة وعشرين الفا من الاسرى واربعمائة الف رأس من البقر ومليون واربعمائة وعشرين رأسا من الماشية كالغنم والماعز يعنى انه لم ينتصر بل أباد شعبا باكمله ويظهر من رواية ويغال أن مملكة هيراكليوبوليس هي التى عصت بعد فتحها بواسطة الملك كيت والملك المسمى بالعقرب فنكل بها نرمر هذا التنكيل المروع ولقد تكرر هذا التنكيل عند عصيان الوجه البحري جملة مرات على فراعنة عائلات العهد القديم والقارىء لهذه الاشياء يسهل عليه طبعاً ادراك سبب غزوات مصر للسودان رغم وحدة الشعب العنصرية ويعرف أن الحكمة الادارية قد تضطر الوالد لان يقسو على ابنه حبا فى نفعه والاخ على شقيقه بغية اصلاحه وتعليمه ومما يجعل للفراعنة عذراً مشروعاً أنهم مافتحوا حبا في الفتح ولا لزموا خطة العداء والعدوان بل كانوا مرغمين في كل الحالات لعمل ذلك صدا

لغارات القبائل البدوية وقمعا لعدوانهم ومنعا لشرور نهبهم وغصبهم وهاهى نفس الحالة تتكرر بجزيرة العرب بين البدو والحضر وفي كل مكان وقع فيه تماس مستديم بين الرعاة والفلاحين أو بين المتمدينين ومن استمرأوا مرعى الهمجية والعدوان ولكى نبرهن للقارىء على مقدار رأفة الفراعنة بالمطيع من رعاياهم والسهر على اقامة نصاب العدل بينهم والسعى في تأمين رفاهيتهم ورغد عيشهم اعرب لهم المرسوم الذى كان يصدره فرعون مصر لكل من نصبه لرئاسة حكومته (رئيس الوزارة) وهو لايزال الغاية القصوى لما وصلت اليه أرقي الحكومات الحديثة من حب العدل والمساواة بين جميع افراد الرعية وقد وجدت صورته مسطورة في مقبرة رخمرع وزير تحوتمس الثالث (١٤٤٧ — ١٥٠١ ق م حسب تقدير بريستيد) ووجدت صورة منه اخرى بمقبرة وزر Woser سلف رخمرع وفى مقبرة هابو Habu وزير تحوتمس الرابع (١٤١١ — ١٤٢٠ ق م) بيدان الصورتين الاخيرتين غير تامتين ولقد كانت هذه العادة متبعة بمصر منذ عهد الاهرامات فقد جاء في ص ٢٤٠ الى ٢٤٣ من كتاب « الرقي الفكرى والدينى فى مصر القديمة The Development of Religin & Thought in ancient Egypt لمؤلفه بريستيد طبعة سنة ١٩١٢ ماتعريبه : النظامات والواجبات المفروضة على الوزير فلان . انعقد

المجلس في قاعة استقبال فرعون الممتع بطول الحياة والسعادة والعافية

فامر الملك فلان (رئيس التشريفات مثلا) بادخال الوزير الذى تقرر تعيينه ولما مثل بين يدى فرعون قال جلالته : استلم مقاليد الوزارة وراقب كل مايجرى فيها وأعلم أنها عماد جميع المملكة (الدعامة التى ترتكز عليها جميع البلاد) وأعلم يافلان أن الوزارة ليست حلوة بل أن مذاقها مر واعرف أنها كالنحاس الذى يحفظ ذهب مولاه اذكر أن الوزارة لم تمنح لك لكي تؤثر الاعيان وتحترم الامراء وكبار الموظفين ولا لكي تجعل بعض الناس عبيداً لشخصك .اذكر ان الرجل الذى يكون ببيت مولاه يحصل على رضاه بحسن خلقه وطاعته ولكن يجب عليه أن لا يعمل ذلك لغير مولاه .اذكر أن من الواجب عليك اذا جاءك شاك من مصر العليا أو السفلى (الوجه البحرى) أو من أي جهة من أنحاء المملكة ومعه (لعلها الوثائق او الادلة — للمعرب) أن تقضى في دعواه طبقا للقوانين وتعمل كل شيء تبعا لقواعد العرف والعدل معطيا كل انسان حقه . واذكر أن الامير (الحاكم الكبير والوزير كان عادة من الامراء — للمعرب) رفيع المكانة تنم الرياح والمياه عن كل اعماله . واعلم أن كل ما يعمله سيعرف اذ يستحيل أن يبقى مجهولا أو سراً خفيا

واذا ماتسلمت أمراً (من مشتك) للبحث فيه وجب عليك ألاتبنى قرارك على مجرد قول احد موظفى الدوائر بل يجب عليك أن تعين لدراستها وفحصها جيدا شخصا يصرح علناً بعد درسها العميق امام الموظف بقوله«انى لا أرفع صوتي ولكنى أرسل هذا المشتكي بناء على مستندات دعواه الى محكمة أخرى أو أمير آخر » (غير الذي سبق له الحكم فيها — للمعرب) لان ما فعله لم يكن عن مجرد سوء فهم . واذكر أن خير ملجأ للامير أن يعمل تبعاً للقواعد المرعية وطبقا للاوامر (القوانين) حتى لايوجد مشتك يقول بعد صدور الحكم في دعواه « انى لم أحصل على حقى » . اذكر النص الذي كان موجوداً في أمر تعيين الوزير بمنفيس حيث أمره فرعون بالاعتدال بقوله . . . « احذر ما قيل عن الوزير خيتي Khedi الذى اصدر حكما مجحفا ضد أحد اقاربه لصالح أحد الاجانب خشية أن يتهم بالتشجيع المعيب لاقاربه ولما استأنف قريبه هذا الحكم المجحف بحقوقه أصر الوزير على حكمه الاول » ان ذلك افراط في العدل (أزيد من العدل) لاتنس قط أن تحكم بالعدل اذ الانتصار أوالميل مع الهوى لاحد الطرفين يستوجب لعنة الله على فاعله .هذه عقيدتنا

وأوامرنا فاعمل بمقتضاها وعامل من تعرفه ومن لا تعرفه بقسطاس واحد وعامل المقربين من الملك كالبعيدين عنه .

واذكر أن الامير الذي يتبع هذه القاعدة يخلد فى منصبه (يعنى أن بقاء الوزير في منصبه متوقف على اقامته ميزان العدل) . لاتمر بمشتكي دون أن تنصت وتمعن فى اقواله واذا استأنف اليك مشتك والفيت أقواله غير مصيبة (مخالفة للحقيقة) فاصرفه بعد أن تبين له الاسباب التى من جرائها رفضت طلباته واعلم أن من الاقوال المأثورة « ان أحب الاشياء الى المشتكي أن يعتنى الحاكم بسماع أقواله عن سماع الامر الذى من أجله جاء » لاتغضب على انسان بدون مسوغ (حق) وليكن غضبك موقوفا على ما يجب الغضب منه. اجعل الناس تخشاك واوجد رهبة لذاتك اذ الامير من خشيه الغير ولكن اعلم ان خشية الخلق للامير تتوقف على اقامة منار العدل . واذكر أن من جعل الناس تخشاه لغير هذا السبب تحكم الخلق بخطأه ولا يقولون عنه « أنه في الحقيقة رجل » واعلم أن رهبة الامير تخرص الكاذب اذا مارأي الامير شديداً فى الحق قويا في العدل المسبب لرهبته .

واعلم انك لن تنال هذه الغاية الا اذا قمت بواجبات منصبك هذا

بالعدل والانصاف . اذكر أن الناس تنتظر من جميع أعمال الوزير نصرة الحق واقامة منار الانصاف واعلم أن العدل كان الاساس المتبع فى هذا المنصب منذ برأ الله الخلق (منذ الله . عهد حكم الاله رع للخلق — للمعرب) واذكر أن كاتب الوزير كان يسمى دائما كاتب العدل وهاهى غرفة الاستقبال قد وضعت تحت تصرفك تسمع فيها الشكاوي وتصدر الاحكام علنا والآن أصبح الرجل المكلف باقامة منار العدل بين جميع أفراد الرعية هو أنت أيها الوزير . فاذكر أن نجاح الرجل في وظيفته يتوقف على عمله بالاوامر الصادرة اليه (القوانين الموضوعة للسير بمقتضاها — للمعرب) واعلم أن نجاح الرجل في أن يعمل كما قيل له . لاتؤخر قط أحقاق الحق وتنفيذ العدل طبقا للقوانين التى تعرفها وأعرف أن الملك يحب بسطاء القلوب عن المغرورين والمتكبرين . الآن يمكنك أن تبدأ أعمالك طبقا لهذه التعاليم (الاوامر) الصادرة اليك . واذكر أنها سر النجاح بعد عنايتك باراضى العرش وتعمير مؤسساتها واذا ذهبت للتفتيش فأمر أيضا رئيس قسم المساحة أو بعض اعوانه بالتفتيش واذا كان غيرك سيفتش قبلك

فاستفسر منه عن نتيجة تفتيشه . احفظ هذه الواجبات المحتمة عليك

للعمل بمقتضاها »

وقد علق بريستيد في ص ٢٤٣ الى ٢٤٥ على هذا المرسوم الفرعوني بقوله: «أن أهم شيء أكد فرعون مرارا العمل به على وزيره هي العناية بالعدل لان الوزارة لم تجعل لتفضيل الامراء وكبار الموظفين على الفقراء والمساكين ولا لاستعباد أى شخص بل لمجرد أقامة العدل باتباع نصوص القانون في كل أمر أو حكم تصدره لان مقام الوزارة رفيع يجعل الأعين ترمق أعمالها بدقة لدرجة أن الرياح والمياه تذيع في البلاد انباءه . وتنص على أن العدل أساس المساواة التامة بين الغنى والفقير والقوى والضعيف بدون محاباة سيان في ذلك الاقارب والاجانب ومع أن الملك يحذر الوزير من الغطرسة والغلظة والغضب في معاملة الخلق فانه يحتم عليه المحافظة علي سطوة مكانته والعناية بايجاد رهبة الحكومة فى قلوب الرعية باقامة منار العدل لا بالظلم والعسف الذى ينفر الناس من الحكومة ولان القانون المتبع فى الوزارة منذ حكم اله الشمس بالارض هو العدل ولان من القاب الوزير أنه هو «الذى يحكم بين جميع الناس بالعدل علنا» ويذكره بان الملك يعطف على البسيط والضعيف الذى لا حامى له اكثر من القوى المتجرف وأن ابقاء الوزير في وظيفته متوقف على عمله بهذه الاوامر التى غايتها المصلحة الاجتماعية ودعامتها عقيدة دينية مآلها

« أن الله يمقت المحاباة » (كما جاء فى قول فرعون لوزيره) . أن فرعون كان فى نظر الشعب يعتبر المتمم لحكم اله الشمس بالارض هذا الذي منذ عهده والقانون المتبع بالوزارة هو العدل . ولما كان فرعون يسلم مقاليد أدارة البلاد الى الوزير فقد قيد سلطته بضرورة اقامة منار العدل . وزاد على ذلك أن جعله مسؤلا أمام ذاته (بعزله إن ظلم) وأمام الله وبعد ذلك بنيف وثلاثة عشر قرنا قامت انبياء بنى اسرائيل تصرح بان سلطة يهوى (اسم الله لديهم) اكبر من سلطة الملوك ومع هذا مرت عصور كلها محاولات بدون جدوى قبل أن تتجلى هذه القاعدة فى حكومة بنى اسرائيل ولم نر لها أثرا في تصريحات ملوكهم مع أنها كانت موجودة في أوامر ملوك مصر المحفوظة لنا من عهد الاقطاعيات بمصر الخ ولقد اعتدنا أن لانعرف هذه الروح العالية والقواعد الدستورية السامية بممالك الشرق القديمة بن ولا الحديثة وجاء في ص ٢٤٦ ما يأتي : اننا اذا قارنا هذه القواعد المصرية الادارية بقوانين حمورابى التي وضعت في مثل هذا التاريخ نرى أن قانون حمورابى جعل اقامة العدل متوقفة على مراعاة الصنوف والطبقات الاجتماعية المختلفة يعني أن الجزاء في الجريمة الواحدة يختلف تماما بحسب مركز فاعلها فى الهيئة الاجتماعية مع أن القانون المصرى الصادر بتعيين الوزير نص صراحة على أن المساواة والعدل أساس الحكم وعلى أن جميع الخلق سواء في نظر القانون ويظهر أن أفلاطون لما وضع كتابه بعد الف وخمسمائة سنة من هذا التاريخ

بشأن المدينة الفاضلة وشكل نظام الحكم كان يجهل أن مصر جعلت نظام حكومتها على هذا الاساس من قبل وطبقت كل خيالاته أو لعل هذا دليل آخر على أنه كان بمصر واستقى كل افكاره واراءه الفلسفية منها »

إن التاريخ لم يدون لنا العلاقات التجارية والاجتماعية بين الامم والشعوب كما أنه لم يشرح لنا كيفية انتقال الروابط الفكرية ولا تبادل آثار المدنية وكما اننا اليوم قلما نظفر بشيء عن العلاقات والمناسبات الروحية والتجارية بين الاقطار المختلفة الا إذا تتبعنا صحفها وراجعنا الكتب القليلة الموجودة فى هذا الصدد واكثر ما نعثر عليه هو النصب التذكارية اما للانتقادات العسكرية أو انشاء مبان ضخمة أو مشاريع من المنافع العامة فكذلك كان الحال منذ القدم بمصر ولولا بعض مخطوطات المقابر أو نصوص مسطورة على بعض النصب التذكارية أو بعض شذرات من بقايا أوراق البردى أو مما نقله مؤلفو اليونان عن الكاهن المصرى مانيتو لبقينا فى جهل مطبق لا نعرف عن تاريخ الفراعنة العظام شيئا ومع هذا فان حجر باليرمو وقائمة ابيدوس وورقة البردى المحفوظة في (تيورينو) والشذرات المبعثرة من كتاب مانيتو كلها لا تزال غير كافية حتى لبيان ترتيب حقيقى لملوك كل عائلة فضلا عن اعماله ومجيد آثاره نعم أن الكتابة كانت معروفة بمصر بزمن لا يقل عن خمسة آلاف سنة قبل الميلاد والتقويم وجد بالدلتا منذ شروق الشمس ونجمة الشعري اليمانية في خط عرض جنوب

الدلتا سنة ٤٢٤١ قبل الميلاد (وهذا أقدم حادث تاريخى معروف كما يقول بريستيد) وأن كتاب العائلة الخامسة الفرعونية دونوا سجلات باسماء من سبقهم من الملوك لمدة الف وستمائة عام وقد شرحوا فيها أهم حوادث عهد كل ملك ومدة حكمه بالسنة والشهر واليوم ولكن بكل أسف غطى الطمي جميع آثار الدلتا وقد كانت مهد المدنية المصرية ومصدر الحركة الفكرية والعلمية والصناعية بينما كان الصعيد مخزن القوى العسكرية ولم نعثر من تلك السجلات الا على بعض قطع صغيرة فعسي أن يخدم الحظ مواطننا العزيز الاستاذ سليم بك حسن فيعثر أثناء حفرياته بمقبرة رعوبر ووالده آخت حتيب على احدى هذه القوائم والسجلات فيقدم للعلم خدمة عظمى ويشيد لمجد الفراعنة صرحا يناطح السماء عظمة وسؤدداً . ومع هذا فان ماعثرنا عليه حتى الآن يثبت أن سكان النوبة عموما على رواية بريستيد وويغال كانوا من نفس قدماء المصريين وكانت منطقتهم تمتد حتى الكاب وشمال مقاطعة ادفو ومع هذا كانت فى اصوان معاقل ترد غارات القبائل الرحل منها وكانت هذه الجهة تعرف بالباب يعنى مدخل وادى النيل وكما رأينا أن توحيد المقاطعات بمصر لم يتم الا بحروب فكذلك إسكان القبائل البدوية وادخالها الى حظيرة المدنية بالنوبة والسودان كان سببا لبعض معارك ولذلك نجد ويغال ص١٠١ ج ١ من تاريخ الفراعنة يقول « أن الملك نرمر كما تدل اثاره غزا بلاد الجنوب (النوبة) ورجع بعد تدويخ المملكة بنساء ، وطيور ،

وفيله وغنائم وفيرة ذات قيمة ومما يبرهن على أنه كان فاتحا عظيما أنه قهر شعبا ليبيا يعني أنه عندما وافته منيته كان قد وحد مصر (الصعيد والوجه البحري) وأدب ليبيا والنوبه وترك مصر المتحدة الخاضعة ميراثا لنجله الصغير الفتى المقدام مينا » أول ملوك العائلة الاولى الذى يقول عنه تاريخ العالم ص ٥١ ج ١ لناشره موريتز هارتمان ما يأتى: أن مينا فضلا عن انتصاراته العسكرية في الداخل التي مكنته من ترصين وحدة الشمال (الوجه البحرى) والجنوب (الصعيد) حارب النوبيين الذين كان يمتد نفوذهم حتي حوالى ادفو ومن المعلوم أن بلاد النوبة كانت مأهولة بعناصر من نفس عناصر قدماء المصريين وأن الزنوج لم يتوغلوا بها الا بعد أزمنة التاريخ باحقاب طويلة » ويقول لنا بادج فى ص ٥١١ و٥١٢ ج ١ . من كتابه تاريخ السودان « نعم انه يستحيل علينا أن نعين مبدأ العلاقات التجارية بين مصر والسودان بيد أنه يحق لنا أن نقرر أنها كانت موجودة بانتظام منذ القدم وأنها ازدادت متانة وقوة بعد أن تم لمينا توحيد المصريين تحت حكمه وأن ملوك الثلاثة العائلات الفرعونية الاولى كانوا يهتمون جداً بجعل سطوتهم محسوسة في البلاد الواقعة فى الجنوب وأن الملك سمرخا Smerkha من العائلة الاولى وتشزر Tchesir من ملوك العائلة الثالثة ادبا قبائل طورسينا وأخضعاها بكل نجاح وبالطبع ما كانا ليتأخرا عن اخضاع قبائل شمال السودان لسطوة مصر لو رأيا أقل لزوم لذلك ومن المرجح أن قبائل السودان كانت تدفع خراجا لمصر وقتئذ فى أوقات معينة ومما

يستحق الذكر أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بوجود قرابة عرقية بينهم وبين سكان بونت وهم من السودان (Nehesu) وكان كثير من المصريين يعتبرون أن بونت موطنهم الأصلى من ذلك نحكم بان العلاقات بين مصر والسودان على الاقل في عهد العائلة الملوكية الاولى كانت حبية وأخوية » ويقول فى ص . (٥١٤) مايأتى « ان الصور الموجودة على ألواح الاردواز التى وجدت بمقابر ملوك مصر قبل زمن العائلات فى شكل صيد الزرافة ووقائع بين المصريين وزنوج شعورهم صوفية وأنوفهم فطساء تجعلنا نحكم بان ملوك مصر ذهبوا للصيد فى السودان فنجمت مشاكل بينهم وبين السودانيين وبما أن المصريين أحسن سلاحا واكثر دربة على الاعمال العسكرية فانهم ارغموا السودانيين على الخضوع » ويقول ادوار ماير في كتابه تاريخ القدم ص ١٣٤ « ان الملك مينا كان يلقب بمدوخ الشمال والجنوب اذ أنه أتم مابدأه رمر من جهة وأخذ الجزية من الليبيين وقهر النوبيين (Seti) ووحد القطرين نهائيا » ويقول في ص ١٣٨ « أن الملك ميبيس Miebis (السادس من ملوك العائلة الاولى) دوخ قبائل عيونطيو أو سكنة الكهوف بسواحل البحر الاحمر » وقال في ص ١٣٤ « أن الملك خاسخم Chasechem (من ملوك العائلة الثانية) نكل بعصاة الدلتا وقتل منهم ٤٨٢٠٥ وقد جاء في أثار Heirakonpolis أنه أخضع النوبيين لسلطانه » وقال فى ص ١٦٣ « عندما أخضع ملوك العائلتين الاولى والثانية سكان سواحل البحر الاحمر والصحاري الجنوبية أو جدوا

وظيفة حاكم الصحارى والجبال الشرقية » وجاء فى ص ١٣٠ ج ١ من كتاب تاريخ الفراعنة لمؤلفه ويقال مايأتى « أن أهم حوادث عهد الملك بينتر Bineter (ثالث ملوك العائلة الثانية) هي اخماده الفتنة التى نشبت سنة ٣٠٤٥ عند عودته ظافرا من غزو بلاد النوبة حيث قام عبدة ست Set حوالى Nekheb وأمام ادفو بعصيان فنكل بهم الملك وقتل ٦٥١ من كبارهم ثم هاجم فريق آخر منهم فى جنوب طيبة ففروا الى الشمال بعد اندحارهم فتعقبهم الى دندره وقهرهم من جديد ففروا الى الطريق المؤدي الى البحر الاحمر فاقتفي أثرهم بيد أنهم كانوا قد عادوا ثانية الى النيل وركبوا سفنهم حيث التحقوا ببقية عبدة ست في الفيوم فغزاهم ونكل بهم وأخذ منهم ٣٨١ أسيرا بينهم رئيسهم الاعظم وأمر بذبحهم جميعاً وبذلك انتهت الفتنة فى ٣ ديسمبر ٣٠٤٥ ق .م » وقال في ص ١٣١ « أن عبدة ست قاموا بفتنة قرب بحيرة المنزلة فزحف عليهم الملك بيد أنهم كانوا قد فروا الى الصحراء خلف مدينة أون (عين شمس) فاحاط بهم وأباد منهم الثلثين وفر الثلث الباقى لايلوي على شيء حتى وصل الى بلاد النوبة فلحق بهم وأحاط بهم في مكان اسمه شاشيريت Shasheryt فلم يستطيعوا المقاومة وأبادهم عن بكرة أبيهم هنالك ».

تنص سطور حجر باليرمو على أن الملك سنوفرو قد غزا بلاد النوبة وعاد منها بسبعة آلاف أسير ومائتى الف رأس من الماشية ويقول العلامة جورج ويبر في الجزء الاول من كتابه المسمى تاريخ العالم

ص٦٥ « لقد وسع سنوفرو أول ملوك العائلة الرابعة حدود مملكته الى جوف السودان وجلب الى مصر عشرات الالوف من الزنوج كارقاء للملك » وجاء في كتاب تاريخ العالم لناشره موريتز هارتمان ج ١ ص ٥٢ النص الآتى : لقد أنشأ الملك سنوفرو القلاع بقرب البحيرات المرة ببرزخ السويس لصد غارات الاسيويين وشن الغارة على بلاد النوبة متوغلا في فتوحاته وأوجد أسطولا مصريا بسواحل فينيقيه وأعاد استثمار معادن النحاس الموجودة بطورسينا حتى انه أصبح يعتبر الرب الحامى لتلك الارجاء » وقد شرح لنا ادوارد ماير في كتابه المسمى تاريخ القدم ص ٢١٠ و ٢١١ سبب هذه الغزوة المصرية لبلاد النوبة بقوله « لقد رأينا المصريين على عهد سنوفرو يؤدبون القبائل الزنجية التي استولت على جنوب بلاد النوبة ولذلك نرى اسم طيطون Tetwen معبود بلاد النوبه يذكر كثيراً فى مخطوطات الاهرامات . ولقد تكررت فيما بعد غزوات مصر لبلاد النوبة ولهذا نجد تمثال اوناس Unas وقد نصب في جزيرة فيله تذكارا لانتصاراته ببلاد النوبه ولقد امتدت حدود مصر على عهد العائلة السادسة حتى الشلال الثاني ولم يكتف ملوك مصر بتجنيد القبائل النوبية بل أرغموها على أن تقدم عددا من الرجال للبوليس والجندرمه (من الزنوج المستسلمين) وكانت لهم بمصر سطوة عظيمة وكان يسمح لهم بدخول المدن والقرى والتحكم فى أهلها الا الممتازين أو من كان له حظوة تقيه شر سيطرتهم » وجاء في ص ١٨٩ النص الآتي « لقد كان

توطيد الامن وحفظ النظام بالقطر المصرى منوطا بالجنود النوبية والسودانية بينما كانت الجيوش الحربية جنودها من فلاحى المديريات »
وجاء فى ص ١٥٦ من الجزء الاول من تاريخ الفراعنة لمؤلفه ارثر ويغال النص الآتى : « لقد شيد الملك سنوفرو في السنة العاشرة من حكمه أسطولا نيليا طول كل سفينة كبرى منه ١٧٠ قدماً وبني حوالى ستين سفينة خفيفة . وشن بهذه العمارة النيلية الغارة على بلاد الزنوج (على بعد ١٠٠ أو ٢٠٠ ميل فى جنوب الشلال الاول) والمسطورات تنص على أنه قد عاد بسبعة آلاف من الاسرى ومائتين ألف رأس من الماشية . يعنى أنه أباد تقريباً هـذه المنطقة وفي نفس السنة بنا سورين في الشمال والجنوب (لعله أوجد خطين من القلاع للدفاع كما فعل ملوك العائلة الثانية عشرة فيما بعد) وأسماهما سورى بلاد سنوفرو وبعث أسطولا تجاريا في نفس السنة الى لبنان فعادت أربعين سفينة منه محملة بخشب الارز (السيدار) ولقد استثمر معادن النحاس الموجودة بشبه جزيرة طورسينا بمقياس واسع للغاية حتى أنها صارت مضرب الامثال فيما بعد لدرجة أن المهندس الذى كان يود الافتخار بعظمة عمـله يكتب انه لم يوجد من يدانيه منذ عهد سنوفرو » ولقد ذكر ما يقرب من ذلك في كتابه المسمى آثار بلاد النوبة ص ٥ فلا داعي لتعريبه . واكتفى بنقل العبارة الآتيـة من كتاب تاريخ السودان لمؤلفه بادج ص ٥١٥ ج ١ « لقد غزا سنوفرو أول ملوك

العائلة الرابعة بلاد السودان وأحضر معه الى مصر سبعة آلاف من الاسرى ومائتين ألف رأس من الماشية ولا نعرف ماذا فعل بأولئك الاسرى فلعله استعملهم فى استثمار مناجم الفيروز الموجودة بشبه جزيرة طور سينا أو فى تشييد قبره بالقرب من دهشور أو بناء اهرامه الموجود بميدوم . وبالرغم عن عدم معرفتنا تفاصيل هذه الحرب بيد أن سببها على الارجح يرجع الى امتناع القبائل السودانية عن دفع الخراج المفروض عليها أدائه لمصر سنويا (راجع ص ٧٧ من مجلة مصر سنة ١٨٨٥ مقالة الاستاذ ويدمان Wedenmann) »

وقد ذكر بريستيد فى كتابه تاريخ مصر ص ١١٦ المعلومات المتفرقة السالفة الذكر بشأن سنوفرو وأعماله وزاد على ذلك أنه صار يعبد في شبه جزيرة طورسينا مع هاتور وسوبد وأن معدناً كبيراً للنحاس سمي باسمه . فاذا أردنا أن نقدم للقارىء خلاصة أعمال سنوفرو ببلاد السودان نذكر أنه ما ذهب اليها .

(١) الا لاخضاع القبائل الزنجية التي توغلت ببلاد النوبة لأول مرة في التاريخ يعني أنه ذهب لانقاذ النوبيين (٢) لتأمين دفع خراج السودان الى مصر كما كان الحال من قبل (٣) لتأمين سبل التجارة بين مصر ومجاهل أفريقيا كما كان الحال قديما لان القبائل الزنجية المغيرة كانت كما يقول بادج ص ١٦ في مقدمة كتابه المسمى « تاريخ السودان » (لم يكن للسودانيين منذ آلاف السنين من عمل الا نهب قوافل التجارة أو شن الغارة على بعضهم البعض أو الاشتغال بالحروب

الداخليـة الدموية) (٤) لادخال أصول الحضارة والمدنية الى تلك الارجاء السحيقة ولكم أحسن كارل أوبيل Karl Opel حيث يقول ص ١٣٢ من كتابه المسمى « مصر بلاد العجائب » (لقد اضطر النوبيون أو الكوشيون (كما يسميهم قدماء المصريين) أن يخضعوا لجيرانهم الشماليين بيد أن مايفتخر به أبطال المصريين لم يكن مجرد تدويخ الممالك وافتتاح الأقطار بل كان عبارة عن تعليم الجاهلين وتمدين المتوحشين (٥) ايجاد الرجال المطيعين الشجعان للقيام بوظيفة البوليس والجندرمة ويكفى المنصف أن يعرف أن فرعون مصر كان يسمح لأولئك الزنوج بالتحكم فى أفراد الرعية ليدرك أنهم لم يكونوا عبيدا أذلاء أو رقيقا يسام الذل والظلم كما يريد بادج أن يوهم من يطالع كتابه ومع هذا فهاهو العلامة الكبير ماسبيرو يذكر فى كتابه «فجر المدنيـة » ص ١٨٩ عند ماشرح لنا كيفية محاكمة الميت أمام أوزيريس النص الآتى « لم أسمح لسيد بأن يسيء معاملة رقيقه » وفى ص ١٩١ و ١٩٢ «ان الله لايقصر رضاه على الاغنياء والسعداء والأقوياء في هذه الدنيا بل انه يسبغها على الفقير أيضا وانه يرغب أن يطعموا (يعني الفقراء) ويكسوا وأن يعافوا من كل مجهود فوق طاقتهم وأن لايظلموا وان توفر عليهم الدموع التى لاداعى لسكبها . اذا كانت هذه التعاليم المصرية المشبعة بروح العـدل والانسانية ليست مثل أوامر ديننا الذي يأمرنا بأن نحب جيراننا فهى على الاقل دليل ناصع على سهر الحاكم العـادل على خير رعاياه ورأفته بهم

وبرهان على أن عطفه يشمل الرقيق فهو لا يكتفى بأن لا يأمر الغير بسوء معاملته بل انه يمنع السيد من أن يسىء معاملة رقيقة . ولا شك في أن هذه العقيدة السامية التى ورثناها عن العالم القديم يرجع منشأها بمصر الى أقدم عصور التاريخ حتى أننا لنجدها مبعثرة فى مخطوطات العائلة الأولى الفرعونية وتدل صورة كتابتها على أنها كانت معتبرة من الأمور القديمة وانها كانت شائعة على السنة الخلق معمول بها بين الجميع » . ويرى القارىء من ذلك أن الرقيق بمصر أسعد حالا من رعايا أكثر دول الاستعمار اليوم وانه كان مساويا لاخوانه المصريين فى المعاملة رغم أنف كل مكابر أو استعمارى مخاتل

يقول لنا بريستيد فى ص ١٢٧ العبارة الآتية « لقد ترك لنا الملك أوزوكاف مؤسس العائلة الخامسة الملوكية اسمه منقوشاً على الصخور عند الشلال الأول بالرغم عما كان لديه من المشاغل العظيمة الناجمة من تأسيس ملك عائلته وترصين عرشه . وهذا أول اسم من سلسلة أسماء الفراعنة الذين قاموا بأعمال مهمة في الجنوب » بينما ويغال يقول فى ص ٥ من كتابه المسمى « آثار النوبة » العبارة الآتية « يمكننا ان نعرف أحوال بلاد النوبة الحقيقية منذ عهد العائلة الرابعة فلقد غزاها الملك سنوفرو وأخضع بلاد النوبة أو كوش وأحضر منها الى مصر سبعة آلاف أسير ومائتى الف رأس من الماشية وهذا بالطبع قد أودى بعمار البلاد تقريباً ولهذا لم نعد نسمع شيئاً عن بلاد النوبة حتى رأينا الملك ويزركاف مؤسس العائلة

الخامسة وقد زار اسوان وفي الغالب انه حضر لتنظيم ادارة البلاد ووضع دعائم نظام حكومتها » يعنى ان هذا الملك العظيم كان اهتمامه بتدبير شئون بلاد النوبة وحسن ادارتها مثل اهتمامه بمصر تماما وكانت شوكته متينة مكنت خلفه الملك ساحورع من ارسال موظفيه حتى طوماس حيث نجد اسمه مسطوراً على صخورها كما يقول ويغال في كتابه المسمى « آثار النوبة » ويقول في ص ١٩٦ ج ١ من كتابه المسمى « تاريخ الفراعنة » ان الملك ساحورع ثاني ملوك العائلة الخامسة أرسل أسطولا غزا سواحل سوريا وفلسطين ونرى صور الأسرى الفينيقيين بين بحارة أربعة سفن من الاسطول المصرى ومخطوطات وادى المغارة تبرهن لنا على انه أرسل حملة الى طورسينا فأدبت البدو وأخضعتهم لسلطانه بدليل نصها الآتى « الملك العظيم أدب الأسيويين فى كل الممالك » ولقد وجدت اسم هذا الملك مسطوراً على صخرة بقرب قرية طوماس في شمال النوبة وهـذا دليل على انه ساق جيشاً ضد بلاد النوبة صوب الشلال الثانى . ... واعتقد البعض ان هذا الملك أرسل حملة الى بلاد يونت ولـكن النصوص المسطورة على حجر باليرمو التى دفعتهم الى قبول هذا الاعتقاد لاترجع الى عهد هـذا الملك بل الى الملك سيسيريس رابع ملوك العائلة الخامسة » وجاء في ص ٥٢ ج ١ من كتاب تاريخ العالم لمؤلفه كلاوبر وكون « ان الملك ساحورع وسع حدود مصر جنوبا الى ما بعد الشلال الثاني وكان يحضر من بلاد الصومال مقادير

وفيرة من اللبان والعطور والأخشاب الغالية ، أما بيترى فيقول فى ص ٨٣ ج ١ « لقد حارب الملك ساحورع أهالى طورسينا ونقش لوحة في الصخر تذكاراً لتنكيله بالمنتو Menthu وتوجد لوحة من أحد موظفيه عند سهيل Sehel ونقوش في صخور الكاب وطوماس بالنوبة . ولقد انتشرت عبادة ساحورع أثناء العائلة الخامسة واستمرت الى عهد البطالسة » بينما ادوار دماير يقول فى ص ٢١١ « لقد كانت العلاقات التجارية البحرية بين مصر وبلاد بونت وسواحل البحر الاحمر متينة مستمرة بيد أنها كانت من اختصاص فرعون (يعنى من حق الحكومة لا أفراد الشعب للعرب) ولذلك نرى الوارد منها ومن أرض مفقاط يعنى طورسينا فى آخر سنة من حكم ساحورع ٨٠٠٠٠ شجرة من المر وغيره من الاخشاب الجيدة لرفيعة القيمة ومقادير عظيمة من الذهب ونجد الآلهة في الصور المرسومة بمعبده تقدم له أسرى الممالك التى دوخها بن ليبيين وأسيويين وعدداً كبيراً من سكان بونت » أما تاريخ العالم لناشره موريتز هارتمان فقد وردت فيه العبارة الآتية في ص ٥٤ ج ١

«ان الملك ساحورع أظهر سطوة مصر في الخارج من جديد فلقد خاض غمار الحرب في الغرب والجنوب وتكللت راياته بالنصر في جميع حروبه فلقد بعث حملة بحرية غزت سواحل فينيقيا ولبنان وحاصرت قلاعها وعادت بالغنائم الوفيرة والاسرى العديدة ووصلت جيوشه جنوبا حتى الشلال الثانى وفي الغرب كسر شوكة القبائل الليبية

الشديدة المراس والمحبة للحرب وكانت تأتيه الأخشاب النفيسة والصموغ العطرية والكندر والبخور من بلاد بونت وسواحل الصومال وبعده جاء Ona أو نا قد فتوحات مصر جنوبا معقبا مجرى النيل» أما بريستيد فيقول في ص ١٢٧ مايأتى « ان الملك ساحورع أرسل حملة الى طورسينا فعادت بغنائم وفيرة وأموال كثيرة وقام أسطوله بأطول سياحة بحرية عرفها التاريخ حتى هذا الحين بأن سافر من مصر الى بونت يعني بلاد الصومال نعم ان سنفرو كان قد بعث عمارته البحرية الى سواحل سوريا فى القرن الثلاثين قبل الميلاد وكان يسميها هي وبلاد العرب وجميع البلاد الواقعة فى الشرق « بلاد الالهة » وعادت عمارته حاملة الصموغ العطرية والبخور واللبان وغيرها من الاشياء الضرورية لحياة الشرقيين ويظهر ان العلائق التجارية البحرية التي كانت موجودة بين مصر وبلاد بونت منذ أوائل عهد العائلة الفرعونية الأولى بدليل أن الفراعنة كانت منذ هذا العهد تستعمل مقادير كبيرة من المر والصموغ بيد أنه من المحتمل أن هذه الاشياء كانت تنقل الى مصر برا بواسطة القبائل عن طريق النيل الازرق فالعطبرة والصعيد . ولقد كان لدى ابن خوفو أحد ملوك العائلة الرابعة قزم من بلاد بونت (راجع ص ٦٧٠ من كتاب مصر لمؤلفه ايرمان) ولكن ساحورع هو أول ملك لدينا آثار كتابية تدل على أنه قد كانت له علاقات تجارية بحرية مع بونت (راجع بند ٨ ص ١٦١ ج ١ من سجلات الازمنة القديمة لمؤلفه بريستيد)

وقد عادت عمارته البحرية الى مصر ناقلة (٨٠٠٠٠) معيارا من المر وستة آلاف وزنا من Electrum (معدن خام مكون من الذهب والفضة معا) و ٢٦٠٠ حملا من الخشب الغالى القيمة يعني الابنوس ونجد عند الشلال الاول أسماء موظفيه مسطورة على الصخور في رأس سلسلة من أسماء موظفي مصر الذين حكموا بعدهم في تلك الارجاء»

ولاشك في أن هذا برهان تاريخى على أن ساحورع أرسل حملة للتوغل ببلاد النوبة » إن اصرار ويغال على نسبة هـذه الحملة الى الملك إيزيزى Isisi أوسيسيريس Siseres رابع ملوك العائلة الخامسة ناجم عن شدة غلوائه فى تطبيق طريقة تاريخه على الازمنـة القديمة ولـكن لا عبرة بذلك بعـد أن أجمع كل المؤلفين على أن الملك ساحورع هو مرسل هذه الحملة كما أن ذلك لا ينفي أن الملك سيسيريس بعث حمـلة أخرى بدليل أن ادوارد ماير يصرح في ص ٢١١ من تاريخه بأن باورتيت Bawrtet رئيس وزراء الملك أزوزى أو ايزيزى عاد من رحلته بالسودان وبلاد بونت بعد أن أحضر خراج هـذه الارجاء وجاء معه بقزعمل لـكى يقوم بالرقص الدينى للملك وكذلك يقول بريستيد في ص ١٢٨ الى ١٣٠ « لقـد فتحت مناجم وادى الحمامات الواقع على بعد ثلاثة أيام من النيل شرقاً فى النصف الاخير من العصر السابع والعشرين قبل الميلاد على عهد الملك ايزيزى . وربما كانت الاحجار التى استعملت فى صنع التوابيت الفرعونية الـكثيرة قطعت كلها من هذه المناجم بيد أن الملك ايزيزى هو أول

من ترك لنا بها كتابة تدل على استثماره لها . ونظراً لاقتراب النيل من ساحل البحر الاحمر فى هذه الارجاء تقطع القوافل المسافرة من قفط الى البحر المسافة في خمسة أيام وربما كان هذا هو الطريق الذى اخترقته حملة الملك ساحورع في سفرها الى بونت وكذلك الحملة التى بعث بها الملك ايزيزى الى بلاد بونت تحت رئاسة بورديد وزير ماليته وكبير وزرائه (راجع البند ٣٥١ و ٣٥٣ من الجزء الاول من سجلات الازمنة القديمة) ويظهر أن خلفه الملك أونيس Unis أو أونى كان كثير المشاغل فى الجنوب بدليل أننا نجد اسمه مسطوراً عند الحدود الجنوبية حيث يلقب بملك الممالك (راجع بيترى الموسم الثاني عشر رقم ٣١٢) ولم تكن لدينا حتى الساعة أي علامة تدل على ضعف سطوة الفراعنة وازدياد نفوذ الموظفين ولذلك كانت جميع انتصارات الملك وفتوحاته تكون تحت اسمه دون أن يجرأ موظف على ذكر اسمه بها ولكننا نرى ذلك على عهد الملك ايزيزى لاول مرة في تاريخ مصر رسم الملك وأخبار انتصاراته كالمعتاد ويزاد الى آخر كل مخطوطة سطر ينص على أن الحملة كانت تحت قيادة ضابط معين (راجع بند ٢٦٤ و ٢٦٦ ج ١ من سجلات الازمنة القديمة) ومن هذا الحين بدأ نفوذ الموظفين يقوى وذكرهم في المخطوطات يزداد باطراد » وقبل أن نتكلم عن بلاد بونت أود أن أذكر أن الملك راد كرع ايزيزي كما يسميه ويغال وزيد كرع أسا كما يسميه بيترى (ثامن ملوك العائلة الخامسة الفرعونية قد ترك مخطوطات في طور سيناص ٢١١ ج ١ تاريخ الفراعنة لمؤلفه ويغال

تدل على أنه دوخ جميع الاسيويين حتى لقب بمدوخ الممالك وقد ترك مخطوطة إزاء طوماس يستدل منها على انه أرسل حملة أخضعت هذه الارجاء ويقول ويغال فى كتابه آثار النوبة ان أحد قواد أسطول الملك أزيزا قد ترك اسمه على صخور طوماس ومنه نعرف انه كان يسمي ختوم حوتب . أما بيترى فيقول في ص ٩١ ج ١ من كتابه المسمى تاريخ مصر « يظهر ان هذا الملك كان في الشرق أكثر نشاطا وهمة من أسلافه ولقد ترك لنا ثلاثة مخطوطات مهمة في وادى المغارة بطورسينا ولقد بعث حملة الى الجنوب ترك نبأها مسطوراً على صخور طوماس» ولقد ذكر بريستيد ان الملك أونيس أوأوني كان عظيم الاهتمام بالسودان والتوسع جنوبا حتى لقب بملك الممالك وقد ذكر بيترى ص ٩٥ ج ١ نبأ اللوحة التى تركها هذا الملك أزاء جزيرة فيله على صخرة مستديرة في الغرانيت فى طريق القرية الواقعة بالقرب من المعدية وكذلك ذكرها ويغال فى ص ٢١٦ ج ١ من تاريخه . ويرى القارىء من كل ماتقدم ان ملوك العائلة الخامسة لم يكونوا أقل ممن سبقهم اهتماما بشئون السودان وانهم أوجدوا الاساطيل بالبحر الاحمر لتأمين الحصول على خراج بلاد بونت واحتكار متاجرها ونظراً لاعتبار المصريين سكان بلاد بونت من أقاربهم وتسميتها ببلاد الآلهة أود أن أذكر هنا خلاصة أقوال المؤرخين بشأنها فبريستيد يعتبرها سواحل الصومال وويغال يعتبرها (ص ٢١٦ ج ١) انها بلاد واقعة بالقرب من الصومال كانت

مشهورة بخشب المر وصموغها العطرية التى كانت تستعمل في البخور ولاستخراج الزيوت العطرية أما ماسبيرو فيعتبرها البلاد الواقعة في جنوب خط يمتد من بربر حتى سواكن وتمتد حتى قواعد جبال الحبشة وغيره اعتبرها بلاد الأرتيريا بيد ان المستشرق الكبير ادوارد غلازر Edward Glaser له بحث طريف في هذا الصدد نشره بالعدد الرابع من مجلة جمعية أبحاث الشرق الأدنى سنة ١٨٩٩ أود ان أعربه للقراء حتى يلموا بما حواه من المعلومات المفيدة وهاهو نصه « لقد كتبت بتاريخ ٢٧ و ٢٩ مايو سنة ١٨٩٩ في جريدة الجمين زيتونغ المنتشرة في ميونيخ مقالا مطولا أثبت به ان المتكلمين اليوم بلسان المهرا (مهرا وظفار وسقوطرة » أسلاف عربان الحبشة وهم الذين كان قدماء المصريين يسمونهم « بوين » يعنى سكان بونت . وانهم هاجروا قبل آلاف السنين من سواحل الخليج الفارسي متجهين الى الغرب فاستعمروا جنوب بلاد العرب وسواحل الصومال وشرق أفريقيا بما فيها بلاد ماشونا Masthonaland وبينت ان الفينيقيين كانوا شعبة من العنصر البوني الذى أسميه فينيقى الجنوب تميزاً لهم عن فينيقى الشمال اخوانهم فى العنصرية واللغة والدين والعادات . ومن المعلوم أن فينيقي الشمال هاجروا فى مبدأ الألف الثاني قبل الميلاد من سواحل خليج فارس واستولوا على جزء عظيم من سواحل البحر الابيض المتوسط ولقد ذكر لبسيوس Lepsius إن من سماهم

قدماء المصريين بونت هم الذين لقبهم اليونانيون واللاتينيون فيما بعد « بونين » وانهم هم نفس الفينيقيين بيد أنه عجز عن تعيين موطنهم . نعم إنى لست من علماء الآثار المصرية ولكننى قرأت كل ما كتب في هذا الصدد خصوصا « قائمة الشعوب لدى قدماء المصريين » التى جعلها هينريش بروكش أساس موضوع قدمه لمؤتمر المستشرقين الذي انعقد ببرلين سنة ١٨٨١ وما كتبه جولينشيف بشأن الاساطير المصرية وكتاب أودلف ايرمان عن مصر والحياة المصرية القديمة وكتاب ادوارد ماير في تاريخ مصر قديما ومحاضرة يعقوب كرال التى القاها سنة ١٨٩٠ بأكاديمية العلوم بفينا بشأن التاريخ المصرى القديم خصوصا القسم الرابع الخاص بأرض بونت وكتاب ماكس موللر المطبوع سنة ١٨٩٣ المسمى « آسيا وأوربا نقلا عن الآثار المصرية » ولقد رأيت المؤلفين مختلفين في تعيين مكان بلاد بونت فيصرح بروكش بانها أقصى بلاد جنوبية عرفها قدماء المصريين بسواحل سكان الكهوف وقال انها تمتد من سواحل الحبشة حتى سواحل Linus Ouplites التى عينها استرابو جيدا وحاول كرال جعلها بين مصوع وسواكن وغيره جعلها فى شمال الصومال وآخرون قالوا انها فى السواحل الجنوبية الغربية من جزيرة العرب ويلوح لى ان رأى ماكس موللر أقرب الجميع للحقيقة بيد انى أخالف الجميع واصرح بانها كانت تشمل ساحلي خليج عدن نعم أن المصريين لم يذكروا لنا جغرافية بلاد بونت بالتفصيل

ولكنهم ذكروا أهم حاصلاتها وصوروا أهلها وملابسهم وأسلحتهم واذا أمعنا النظر في هذه الرسوم يمكننا تعيين البلاد المقصودة . لقد عادت الحملة المصرية بأسطولها محملا من العطور والبخور واللبان فى قواديس ومعها نسانيس وفهود وعمور وخشب أبنوس وسن فيل وذهب وكحل وكلاب سلوقية وعبيد وريش نعام وتيوس وحشية وزرافه وبقر مستقيم الظهر وقد ذكر جولينشيف زيادة عن ذلك سونتر . سوتر وزيت حكن وخشب المر وخشب تعشب وخشب شعاس وأذناب ماماتير . ومن المعلوم ان أهم أشجار اللبان تسمى محر ببلاد الصومال ومغار أو مغيروت ببلاد المهرا وظفار ونفس اسم المهر مشتق منها معناه بلاد أشجار اللبان ويسمى اللبان الأبيض ببلاد الصومال محرعد والاسود محرمد وتجنى أحسن أنواع الفصوص من شجر اسمه يقعر ويباع بسوق عدن تحت اسم لبان ميطي . ويرى القاريء مما تقدم أن بلاد المهرا كانت جزءا من بونت التي كانت تطلق على بلاد المهرا وظفار والصومال . أما أنتى Onti أو نوتر سونتر فقد اعتبره البعض نوعا من اللبان وظنه آخرون نوعا من من الصمغ والاصح أنه صمغ الكثيرة وقد كان يرد على مصر من بونت ومن جنوب سوريا حتي ذكر بلينيوس انه كان يزرع بجنوب سوريا وآسيا الصغرى وقبرص وكريت وكانت جودة أصنافه حسب ترتيب المواضع المذكورة واعتقد أن ماأتي به المصريون من بونت لم يكن صمغ الكثيرة بل نوع من صمغ الصنوبر أشبه

الاشياء بصمغ الكتيرة يعنى Baelum وهو موجود اليوم بجميع سواحل جنوب بلاد العرب والصومال وقد ذكر كرال نقلا عن سجلات معبد ادفو إن قدماء المصريين كانوا يعرفون من صمغ (انتى) أربعة عشر نوعا يستعمل منها بالمعابد احدى عشر نوعا فقط يسمونها (نوهات انتى) وكان اسم الصنف الحادى عشر أم Oem وقد اعتبره ماكس موللر انه خشب المر . واذا علم القارىء أن كلمة انتى المذكورة شجرية يعنى بونيه أصلها عانته أو اعانته . ومعناها باغة الشجر العيون يعني أعين أو خروق الشجر التى يجني منها الصمغ واللبان . وشجر المر لاينبت قط فى شمال بوغاز باب المندب بل موطنه في سواحل جنوب بلاد العرب وشبه جزيرة الصومال والجزر القريبة وفي بلاد بونا Puna بالهند . ومن ينظر سكان ظفار والمهرا وسوقطرة يجدهم صورة طبق الاصل من الصور التى رسم بها المصريون القدماء سكان بلاد بونت فهم ينمون شواربهم ويطيلون شعورهم ثم يجمعونها فوق رؤوسهم ويربطونها بخيط أوسير من الجلد ويرخون شعور الفودين ويحملون بأيديهم عصيا قصيرة نهايتها السفلى غليظة راجع مبحث كارتر Carter عن بدو قرى فى عدد يناير سنة ١٨٤٥ من مجلة الجمعية الاسيوية الملوكية شعبة بومباى) ولقد شاهد ويلليستيد سنة ١٨٣٤ ضخامة سيقان نساء سقوطره لدرجة عجيبة وهذا ينطبق تماما على صورة ساق أميرة بونت كما رسمها المصريون ولما

احتل البورتغاليون شرق بلاد الصومال وجدوا بها قبيلة عربية تتكلم بلهجة يمنية عمانية ويجب علينا ان لا ننسى زيادة عما تقدم ان سكان ظفار والمهرا يسوحون سنويا حتى اليوم للتجارة أو صيد السمك وينزلون في بومباى وشرق أفريقيا وسواحل الصومال الشمالية وجنوب بلاد العرب ويرجعون الى بلادهم بعد انتهاء الموسم المعين لديهم ولقد نقل ماكس موللر عن مخطوطات أبيدوس أو العربة المدفونة اسم حبش وسنرى أنه اسم قبيلة كانت تسكن بجنوب بلاد العرب وذكر جنبتى ولقبهم بذوي الجدايل الشعرية أو حملة الشعور وقدسماهم بروكش أهل الجنوب والحقيقة أنه لا تزال حتى اليوم بشرق مربط ببلاد ظفار قبيلة اسمها بنى جناب أو ظناب أو زناب كما يلقبها قدماء المؤرخين وتمتد ديرتها من شرق مربط حتى الحدود الشرقية لقبيلة القرى ازاء جزائر خوريا موريا في عرف الفرنجة وجزائر الزنوبيين فى عرف القدماء و ذكر موللر سكان المصاطب أو الدرجات وظنها قطعة من بلاد الصومال مع أن الاراضي المدرجة لا تزال موجودة حتى اليوم بحقول اليمن وكانت قديما بجميع سواحل جنوب بلاد العرب وقد ذكر قدماء المصريين بين حاصلات بونت الخشب الجيد ولقد كانت سواحل جنوب بلاد العرب حتى القرن الخامس بعد الميلاد بناء على ما نقله استفانوس البيزانطى عن أوانيوس مصدراً لهذه الأخشاب فلقد صرح بأن بلاد الآجاس وهي واقعة فى شرق بلاد سبأ وحضرموت وإن أهم حاصلاتها المر وأصون Osson واللبان وكارباثوم Karpathum أو كارباسوم

ونبات أحمر اللون تستخرج منه صبغة ولا شك إن هذا النبات الاحمر هو دم الاخوين أما الكارباسوم فقد فسره J. H. Morottman بأنه خشب القرفة وان أصون هو الصبر وقد استعمله المصريون قديما بكثرة وكانوا يسمونه أوشو ولقد كانت ملوك أشور يأخذون خشب الاوشو كضريبة من السبأيين مع الذهب وسن الفيل . من كل ما تقدم نحكم ان كلمة بونت في نظر المصريين القدماء كانت تشمل جزءاً من جنوب بلاد العرب وسنرى فيما يلى ان بونت كانت تشمل مناطق أخرى خارج جزيرة العرب . لاننا اذا تأملنا في البضايع التى استوردتها مصر من بونت نري بينها البقر المستقيم الظهر وهو نوع خاص بجزيرة سقوطرة وكذلك الماماتريس الذي اعتبره العلامة شواينفورث أنه قط الزبدة ويوجد بوفرة عظيمة فى جزيرة سقوطرة ويسمى بها اليوم جربوك وجربوتي وجمعه جرابيك بينما الابانوس وسن الفيل والزرافة كلها من حاصلات أفريقية أما النسانيس والكلاب السلوقية والكحل وريش النعام والتيوس الوحشية والعبيد والذهب فأمرها مشترك بين بلاد العرب بيد أن العبيد والذهب وريش النعام منشأها أفريقي أكثر منه عربى والكحل والكلاب منشأها عربي أكثر منه أفريقي وكذلك خشب الشعاس والمريريت من حاصلات المهرا وسقوطره ويسمى الى اليوم بها شحاز أو شحز أو شاحز ومعناه شجر خشب شجر اللبان لا الشجر نفسه وقد اعتبر هومل أن المريريت هو شجر مغيروت (الكندر) بينما اعتبره شواينفورت تصغير اسم شجر المر.

ويرى القارىء لهذه البيانات أن بونت لم تكن في عرف قدماء المصريين بأريتريا أو سواكن بل كانت فى شرق الصومال وجنوب بلاد العرب بناءا على ماجاء في Periplus Maria Erythraei دليل البحر الاحمر فى رابتا Rhapta وفى الموانى الجنوبيـة لمستعمرة ازانيا الحميرية يعنى بدار السلام وكيلوا Kilwa

وكان خشب الابنوس الافريقى يصدر أيضا الى زنجبار ومدغشقر ولم يذكر باسيلى مؤلف دليل البحر الاحمر ان خشب الابنوس كان يصدر قط من الصومال أو سواحل بلاد العرب الجنوبية بل قال انه كان من أهم المواد التجارية فى باريجازا Barygeza على مارواه لنا أبوجولوس Apogolos يعنى في عمان وهذا يدل على انه كان يجلب اليها من الهند فاذا قلنا بأن ما استورده المصريون من خشب الأبنوس لم يكن من الهند فلا بد من التسليم بأنهم ساحوا الى سواحل افريقيا الشرقية للحصول عليه وكذلك الذهب كان يستخرج قديما من ساسو Sasu بافريقيا ومن ماشونالاند ومن بلاد العرب المجاورة لخليج فارس ويوجد الذهب على ماهو معروف فى شرق افريقيا بنسب مختلفة وقد كان ملوك اكسوم يستبدلون البضائع بالذهب المستخرج من ساسو وقد اكتشف أخيرا ماوخ Mauch وبنت Bent آثارا قديمة تدل على استخراج الذهب بكثرة من أرض ماشونا بواسطة أقوام متمدينة

اعتبرهم كثير من المؤلفين فينيقيين . وقد ذكر مؤلف دليل البحر الاحمر أن أهالى موزا (كانت ثغر اليمن قديما واليوم تبعد عن مخا بضعة أميال) استعمروا ازانيا بشرق افريقيا وكانت هذه المستعمرة تمتد على الاقل من رأس حافون الى رأس دلجادو بل والى جنوب رابتا Rhapta بكثير وكانت تابعة لهم في القرن الأول بعد الميلاد وتعتبر جزءا من المملكة السبأية ويغلب علي ظنى أن أرض ماشونا وخليج سوفلا Sofla كانتا تابعتين لمستعمرة أوزانيا وأن قدماء المصريين سافروا الى هنالك لأجل الحصول علي الذهب والابنوس وسن الفيل وسنبحث فيما يلى عما اذا كان السبأيون هم أول من استعمر شرق افريقيا من العرب أو أنهم ورثوا ملك هذه الامصار عمن سبقهم من الحكومات العربية ونكتفى الآن بأن نذكر أن سواحل شرق افريقيا حتى زنجبار (كانت تعرف بهذا الاسم في عهد تأليف كتاب دليل البحر الاحمر) وكانت مستعمرة لحكومة من جنوب بلاد العرب ولنبدأ بتدقيق تواريخ حكومات السواحل الجنوبية بجزيرة العرب

لقد وصف مؤلف دليل البحر الاحمر الساحل الشرقي الافريقي من رأس حافون أو رأس جردحافون Cape-Gardafui حتى رابتا Rhapta بدقة عجيبة ومما يجب ملاحظته هو تسميته جزء من الساحل بحافون لان حا مقطع مهرى بحت وفون هى بونت ولقد قال ان أوزانيا كانت واقعة ازاء جزيرة مينيوتياس يعني جزيرة بما

بما Pompa وهى زنجبار ونفهم من ذلك أن أوزانيا كانت مستعمرة المانيا بشرق افريقيا مابين طانجة Tanga وباجامويو واذا أمعنا النظر في المخطوطات السبأية القطابانيه نرى ذكر مملكة مستقلة كانت بجوار حضرموت واسمها أوسان Ousan وكثيرا ماذكر هذا الاسم بتلك المخطوطات ويلوح لى أنها هي عين المملكة التي يسميها باينيوس Ousariter أو Outarites ويقول عنها أنها واقعة بالجبال على بعد سبعة أيام من الساحل وتصدر المر وكانت واقعة خارج دائرة مملكة الجبانيتيين Gebaniter ونرى بالمخطوطات القديمة ذكر مكان اسمه مسوار Mswar وربما كان موقعه في نفس المحل المسمى بهذا الاسم الموجود الآن في الساحة ببلاد آل عوض على بعد يوم من القصب ويومين من مسوره Miswere وهذه موجودة في الواقع في أقصي شمال مملكة القطابانيين وقد ذكر بطليموس عاصمة ميفع Maipha في وادي ميفعات وربما كانت ميفع قد بنيت بعد أزمنة طويلة على اطلال مسوار . وعلى كل حال لاشك في أن جزءا من ساحل شرق افريقيا كان على عهد مؤلف دليل البحر الاحمر مستعمرة أوسينية وبالتالى قطابانية وقد كانت مملكة أوسن عند ما استعمرت هذه الجهة حرة لم تتغلب عليها دولة القطابانيين بعد وقد استولى عليها في القرن السابع قبل الميلاد مكرب كاربيل واتر بن حنمرى على السبأي بعد أن حكمها القطابانيون أجيالا طويلة يعنى أن الاوسنيين استولوا على هذه المستعمرة قبل ذلك بعصر

وقد بدأ توسع سكان جنوب بلاد العرب وازديادهم فى المملكة الاكسيومية خصوصا عربان الحبشة في حوالى هذا الزمن وتبرهن جميع مخطوطات بلاد الحبشة خصوصا ما وجد منها في يحا Yeha على صحة هـذا الرأى وبناءا عليه نحكم بأن قبائل بونت استعمرت سواحل شرق افريقيا على الاقل منذ بداية القرن الثامن قبل الميلاد وانها استمرت الى مابعد الميلاد بزمن مستعمرة سبأية حميرية بلا انقطاع ولا نعرف ان كانت مملكة ماشونا (ماشونالاند) كانت داخلة ضمن مستعمرة الاوسنيين أم لا ولـكننا نعرف ممـا كتبه مؤلف دليل البحر الاحمر ان ثغر أوزانيا الجنوبى (رابتا Rhapta) لم يكن تابعا لسبأ في العصر الاول للميلاد بل أهملت نفس معادن بلاد ماشوناونسيت . ولقد قدم العلامة أوست ديلمان الى أكاديمية العلوم الملوكية ببرلين في سنة ١٨٩٤ بحثا أثبت به أن الآثار الموجودة في بلاد ماشونا بناء علي تدقيقاته الفنيـة ليست سبأية بل فينيقية وكل مانعرفه عن سياحات الفينيقيين بالبحر الاحمر ينحصر فى نقطتين الاولى سفر سفنهم الى مناجم الذهب فى عفير Ophir على عهدسليمان والثانية فى رحلة سفنهم حول افريقيا بامر فرعون مصر نيخو Nekho وليس في تفاصيل الرحلتين مايدل على أنهم استعمروا تلك الجهات النائية وكذلك ليس لدينا براهين علمية تثبت أن الادوميين وصباغ ايله أو السبأيين استعمروا هذه البلاد ولـكن وجد بنت Bent بين آثار ماشونالاند البرج المخروطى في زيمبابيا Zimbabya وهو صورة

طبق الاصل من مخروط الربة في جبيل Byblos على عهدما كريتوس وأشبه الاشياء بمعبد بافوس Paphos الشهير بقبرص على عهد تاسيتوس Tacitus وأشبه بخرائب المعبد الكبير في جاولوس Gaulos (Guzzo) وهاجيار كيم Hagiar Kim في مالطة وبقايا معبد ساردينيا وكل هذه آثار فينيقية بحتة وكذلك الخواتم التى وجدت في ماشونالاند تشبه ما وجد من آثار الفينيقيين في فالماوث Falmouth بانجلترا وأحرف الكتابة التي شاهدها بنت تقارب الاحرف الفينيقية الارامية وتشابه الاحرف السبأية القديمة ولا يسع المتأمل إلا أن يحكم بأن آثار بلاد ماشونا كلها فينيقية . ولا نشك قط فى أن حملة بونت المصرية أخذت كل ما لزمها من أبنوس مدغشقر من ثغر زنجبار والذهب الآتي من جنوب أفريقيا وعليه نحكم بأن الساحل الافريقى الشرقي من مستعمرة الرجا الصالح حتى آخر بلاد الصومال كان ملكا لاهالى بونت قبل أن يستعمره الاوسنيون والقطابانيون والسبأيون والحميريون وكذلك كانت سواحل البحر الاحمر ما بين جزيرة سقوطرة ومصوع تابعة لسكان سواحل المهرا وظفار ومن المعلوم أن الذهب التى استورد ته الحملة المصرية كانت تسميه ذهب عامو Amu وقد قال ماكس موللر ان هذا الذهب كان من بونت وقد ذكرت مخطوطات الدير البحرى الذهب الابيض على إنه من عامو وقد صرح ماكس موللر انه استحضر من سواحل سكان كهوف البحر الاحمر وقال كرال إنه من حاصلات بلاد العرب المركزية

الموازية لسواكن وأنا أوافق كرال على أن العامو من الساميين ولكنني أخالفه تماماً في تعيينه مكان بلادهم إذ أننا نعرف أن عامو أو عمو هو في الحقيقة اسم أكبر معبودات القطابانيين (اشتق اسم عامو من كلمة عام يعني سنة لا من كلمة عم كما قدتوهم البعض) وهو إله الشمس ونرى القطابانيين يسمون أنفسهم في المخطوطات الاثرية أولاد عام بينما يسمى السبأيون أنفسهم أولاد المقه Hmakah (الزهرة للعرب) وكلما عثرنا على مخطوطة بها ذكر لعبادة الرب عام لا نتردد في الحكم بأنها قطابانية أو أوسنية (كانت بلاد القطابانيين قديماً البلاد الواقعة في الجنوب الشرقي من مملكة سبأ والشمال الغربي من حضرموت وفي شمال أوسن التي صارت فيما بعد ولاية قطابانية تمتد حتى باب المندب وتشمل بلاد الحميريين) وأنا لا أشك في أننا سنجد من المخطوطات ما يبرهن لنا على أن الاوسنيين كانوا أيضاً يعبدون عام وبما أنهم كانوا مستعمرين بلاد ماشونا الشهيرة بذهبها فلا عجب بل من البدهي أن نرى قدماء المصريين يسمون ذهب شرق أفر قيا بذهب عامو ومن ذلك نرى علاقة عباد عامو بسكان بلاد بونت منذ ألفين سنة قبل الميلاد واعتقد أن هذا الذهب لم يكن من ساسو بل كان من بلاد ماشونا وإن عبادة عام لم تكن وقتئذ قاصرة على القطابانيين بل كانت تشمل جميع سكان السواحل الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة العرب ومستعمراتهم وأرى أن من يطلق عليهم اسم الحاميين في التوراة هم عباد الرب عامو يعني إنه أحرى بنا أن نسميهم

العاميين لا الحاميين . إننا اذا قارنا لغات سكان المهرا وظفار وسقوطره وبلاد بونت نحكم بأنهم كلهم ساميون وكانوا يعبدون الرب عامو قبل الاوسنيين ولذلك نعتبر تسمية الذهب الابيض بذهب عامو معناها ذهب بونت ويمكننا أن نفهم سر خلط التوراة الساميين بالحاميين مثل ذكرها السبأيين والاشوريين والديدانيين والكنعانيين على أنهم جميعا من دوحة واحدة مع أننا نعرف أنهم جميعا ساميون لا حاميون ولعلها أرادت أن تنص على أنهم عاميون لا حاميون كما نفهمه اليوم من علم أنساب الامم ومع هذا يجب على القارىء أن لا ينسى أن تقسيم الامم المذكور بالتوراة ليس عنصرى كما يعتقد الكثيرون بل هو سياسى بحت فلا عجب اذا تبدلت الشعوب المذكورة به على مرور الازمنة وتوالى العصور . لم يكن الذهب يستخرج قديماً من ساسو وبلاد ماشونا فقط بل ومن نفس جزيرة العرب أيضاً وقد ذكرت التوراة ومؤلف دليل البحر الاحمر ذهب عمان ولقد كانت عمان والجزء الشرقي التابع لسلطنة مسقط على عهد مؤلف دليل البحر الاحمر تابعة لبلاد فارس وقد كان هذا حالها على عهد استرابو بل واثناء حكم دارا الاكبر ونعرف من روايات باسيلى وبطليموس وبلينوس أن كل السواحل الجنوبية الواقعة فى شرق حضرموت والجزء الاكبر من الخليج الفارسى كانت تسمى عمان حتى العصر الاخير قبل الميلاد ولايزال هذا الاسم يطلق على السواحل الجنوبية من الخليج الفارسى ولا نعرف إن كانت هذه التسمية جغرافية أو سياسية أو عنصرية ولقد ذكر إيزيدور

(Isidorus von Spasinucharax) المعاصر للامبراطور أغسطوس أميراً على قسم عمان الواقع ببلاد العطور (الطيب) اسمه جويسوس Goasis العماني وهذا يدلنا على أن اسم عمان كان يطلق على الخلق لا على البلاد ولقد عرفنا لاول مرة أن الاحباش كانوا يعيشون حوالى هذا الزمن بتلك الارجاء ولكنهم كانوا غير خاضعين لملك عمان بل كانوا يدينون بالطاعة لملك منهم وعليه نحكم بأن اسم عمان كان تعبيراً جغرافيا مثل الحجاز والشام وتهامة وكان في عهد الفرس يبتدىء من إزاء جزائر الزنوبيين (حوريا موريا) عند ثغر كين Caine أوفرضة أخرى في شرقها . ولقد ذكر بروكش نص مخطوطة مصرية وجدها في معبد ادفو كتبت على عهد البطالسة جاء فيها ما يأتي (لقد جبت كل بلاد العطور وزرت بلاد الآلهة وعبدت الطريق الى بونت وجبيت الجزية من العالمين وشاهدت كل عجايب أرض فكخر Fkhir وجعلت أهل عامه يحملون الينا صناديقهم وحبشتى يقدمون جزيتهم . . . .)

ويرى القارىء مما تقدم أنه قد كانت توجد مملكة سامية أخرى بجنوب بلاد العرب اسمها عامة بقرب أرض الحبشة وربما كانت قسما من مملكة القطابانيين أو بلاد حضرموت التى سميت بارض فكخر إذ لو قرأنا حول بدل حر يصير اسم المملكة بلاد فك حول وكما نعلم حول اسم معبود من أهم معبودات حضرموت وكانت تمتد بلاد العاميين بسواحل الخليج الفارسى الى قرب حدود المملكة البابلية

ومن ثم عرف العبرانيون الاسم واكتفي الآن بذكر الأسماء الآتية المحتوية على ذكر (عام) بها : يروب عام Yerob Am . عميال Amial وإيلى عام Eli Am وعاميهود Amihud ، عمزبد Amizabod وعمحور Amhur وعمندب Aminadob وعمشادى Amischaddia الخ . اننا لانعرف أرباب بلاد بونت مباشرة بل بواسطة المخطوطات التى تركها لنا المصريون الذين كانوا يعرفون تفاصيل كثيرة عن معبودات جنوب بلاد العرب وأكتفي هنا بذكر بعض ماقيده علماء الآثار وخصوصا بروكش بهذا الصدد :(١) هاتور أوهاتحور ومعناها في عرف كرال سيدة بلادبونت ، (٢) عمون أوأمون معناه شيخ بونت وقد ذكر في انشودة بولاق على أنه من بلاد بونت أفليس من الممكن أن نعتبره هو نفس عامو أكبر معبودات البونيين (٣) الربه أوريرت Uerert معناها سيدة بونت وقد قال بروكش باشا أنها هي نفس ليلى العربية وأظن أن لها جمعا لفظه Il-Hat التى ذكرها هيرودوت ومعناه الرب والربة ولقد كانت زميلة المعبود رع بمصر اسمها رات Rat في أرض تونتر يعنى بلاد الارباب أو الالهةوأنا أظن أن اللات هذه هي أكبر معبودة عربية وهى أقدم عهدا بالتقديس مما يظن البعض بكثير (٤) وقد كان من بين معبودات مصر الرب بس Bes ولم يكن أصله من مصر بل تنص الآثار على أنه من بلاد بونت وربما كان من تونتر وتسمى القطة الى اليوم بس بجنوب بلاد العرب وتجمع على بسات وبساس وكذلك ببلاد الحبشةولوكان

Bessa هوباسط Bast معبود مدينة بوباسط لحكمنا بانه مشتق من لفظة القط ولكان على شكله ولكن بس كان عند قدماء المصريين على شكل رجل ولذلك يغلب على الظن أن اسمه مشتق من لغة الايتوبيين حيث نرى كلمات بس Bese وبيسي Bisi ووبيسه معني كل منها السيد أو الحاكم يعنى نفس معنى بعل فى اللغات السامية الاخرى وهو على كل حال منشأه سامى ويدل على أن أهل بونت كانو ساميين (٥) هوروس أوحور معبود ادفو كان يلقب برب بونت أو سيد بونت ووالد جميع أرباب تونتر يعني بلاد الآلهة (٦) والربة بوتو Buto كان معنى اسمها عند قدماء المصريين ربة تونتر (٧) والربه Ranuq كانت أيضا من بونت واعتقد أن الاصنام التى وجدت ببلاد ماشونا على صورة الطير هي نفس حور أو طير Phonix وسنرى بلا شك متى يتاح لنا إجراء حفريات فنية بحضرموت وظفار وبقية سواحل جنوب جزيرة العرب براهين كثيرة واسماء معبودات عديدة غير هذه تدل كلها على أن أصل سكان هذه الارجاء من عنصر سامي ويمكننا أن نجهر الآن بان أقدم سكان بلاد العرب الجنوبية كانوا بونيين ثم خلفهم القطابانيون فالمينيون فالسبأيون ولقد كان القطابانيون يعبدون عدا عام آلهة أخرى من بينها أنباى Anbay أو انوباي وربما كان ذلك عند ما كان المصريون القدماء يعبدون أنوب Anup أو أنويس Anubis وربما كان الاستاذ هومل مصيبا كبد الحقيقة عند ماقال ان

أنوباي معبود القطابانيين هو نفس المعبود الذى سماه البابليون نيبو Nebu .ومن بينها ايضاربة اسمها أثرة وأظن انهاهي نفس أوزيريس عند المصريين يعنى اسم أوزيريس ليس مشتقا من لغة الميتنيين بل من القطابانيين وقد كان بمصر (كما يفهم من مخطوطات ترجع الى عهد البطالسة) معبودا إسمه إثر (الاسم بتمامه هو اثرحب Osirhap يعنى سرابيس Serapis) وهو مذكر الربة إثره القطابانية كما بين ذلك هوجو ويتكلر Hugo Winkler عند ترجمته خطابات تل العمارنه وقد ذكر في التوراة مذكراً بينما جمعه ورد مؤنثا وربما كان اسم ايزي أو ايزيس مختصر من ايزي رع Isi (Ra) ؟

قلنا فيما تقدم أن أوغـت ديلمان قد صرح بأن آثار بلاد ماشونافينيقية المنشأ واثبتنا أنها في الحقيقة بونيه وقد اكتشفت حديثا هيئة انجليزية أثارا مثلها تماما فى جزيرة سقوطره (راجع عدد شهر يونية سنة ١٨٩٩ من مجلة الجمعية الجغرافية الانجليزية) واكتفي بان أنقل للقاريء الفقرة المذكورة التي نشرها الدكتور فوربس D. H. O . Forbes « لقد كانت توجد بالقرب من خيامنا مراعي مترامية الاطراف تعيش بها قطعان من ماشية الجزيرة وهى صغيرة الاجسام وتوجد آثار خرابات متفرقة بتلك الاراضي على شكل بيوت مربعة الشكل مبنية بمونة متينة وكان بها مساكن قديمة (Cyclopean) أشبه الأشياء بالموجودة فى بلاد ماشونا وبوابات Dykes حجرية

طويله لمرور المياه ومطاحن حبوب كبيرة اثرية ولا يعلم السكان الحاليون شيئا عن أصل أو تاريخ من شيدوا هذه الآثار في وسط الجزيرة بجوار ادهو ديميللوس Adho Dimellus في مكان يرتفع عن سطح البحر نحو أربعة آلاف قدما » ولقد ذكرت اسم أمير بونت المسطور بالدير البحري Parahu ويقول ادوارد ماير منشأ هذا الاسم من المحتمل كثيراً أن يكون عربيا ويقرأه آتى Ati بينما ماكس موللر يقرأه أقتى أو أختى ويعجب من تعليق ادوارد ماير اهمية على احتمال كون هذا الاسم عربى وانا أقول أن اسم هذا الامير حتى ان لم يكن عربيا فهو على كل حال سامي الاصل ونعرف أن احرف ه ، ح ، خ أو عين يصح استبدالها ببعضها فيحق لنا أن نجعل الاسم فارح ، فارح فاره ، فارخ ، فارع أو فرع فاسم الملك المذكور أولى أن يقرأ علي أنه فرعه أو فراعه ومعناه ذروة بينما افتي واقت واختى كلها بمعنى شقيقتى واذ كانت خرائب بلاد ماشونا فينيقية فكذلك تكون خرائب سقوطره مثلها ولكننا نعلم أن سكان سقوطره بونيين بحث وموقع الجزيرة بين أرض العطور نفسه دليل يؤيد ذلك والآن لا يبقي لدينا أقل شبهة فى أن اثار بلاد ماشونا بونية بحثة وقد قال ويلليستيد سنة ١٨٣٤ أن آثار سقوطره فينيقية وبما أن ما يجرى عليها يجري على سكان المهرا وظفار وهم كما نعلم بونيين فلا يسعنا الا أن نجزم بان البونيين كانوا فينيقيين أو من اقاربهم وأن اسماء معبوداتهم كانت مشتركة مع الهة الحضارمة

والقطابانيين . ويرى كثير من علماء الاثار المصرية أنه يجب كتابة بونت على صورة باون ـ ات Powen-at ونعرف أن ات هي علامة التأنيث فى اللغة المصرية القديمة وكانت توضع فى آخر اسماء البلاد فاذا فصلناها جانباً يبق لدينا اسم الشعب الحقيقي هي بوين أو باون وهو كما اعتقد وكما ذكره لبسيوس هو نفس الشعب الفينيقي بعينه الذى تفرعت منه اقوام عديدة

لقد كان من ضمن العقائد المصرية القديمة أن طيرا اسمه فينكس Phonix كان يعيش بمعبد الشمس في مدينة عين شمس في عش من المر والعطور وانه كان يحترق فيتخلق من رماده طير آخر يفد على مصر من جنوب بلاد العرب بعد زمان معلوم ولقد قال سا يفارت G. Seyffarth ان اساس هذه العقيدة يرجع الى حقيقة فلكية تتعلق بدورة عطارد Merkur التى يتمها في كل ٦٥٢ سنة ويستدل من نفس تسمية الطير بهذا الاسم على إنه آت من بلاد الفينيقيين يعنى بلاد البخور ومما هو جدير بالملاحظة أنه قد كان بحضرموت معبود اسمه حول ومنه اشتق اسم حور المعبود المصرى وقد كان على شكل طائر يرمز به الي إله الشمس أو لرب عطارد وكاد يقدس تذكاراً لطير فينيكس ومما يؤيد هذا الرأى اننا نجد في قاموس اللغتين الارامية والعبرية لمؤلفه جسنيوس بول Gesenius-Buhl كلمة حيوب Hiob معناها في مأثورات اليهود الطير فينيكس . ويدل نفس اسم حول على التوقيت واذا كان يقصد به دورة عطارد يكون معناه أهم ويرينا

مقدار رقي سكان جنوب جزيرة العرب في الفلك وتسييرهم جميع اعمالهم طبقا لقواعده

لقد كان البونيون يستعمرون سواحل شرق افريقيا من سواكن حتى الكاب كما استعمروا اخوانهم الفينيقيون سواحل البحر الابيض المتوسط . وبما أن التاريخ لم يذكر لنا قط أن الفينيقيين هاجروا أو استعمروا سواحل شرق افريقيا بل ورد ذكرهم مرتين فقط (١) فى ارسال الملك هيرام عمارة بحرية من صيدا الى عفير Ophir واستجلاب الذهب واشتراك سليمان فيه (٢) ارسال الملك نيخو الثانى فرعون مصر اسطولا فينيقيا للدوران حول افريقيا ولا شك أن عفير كانت فى القرن العاشر قبل الميلاد من مملكة البونيين اذ هى في بلاد ماشونا وان اكن قلت فى ص ٥٧ ج ٢ من من كتابى الخاص بجغرافية بلاد العرب انها موجودة في شرق جزيرة العرب . ومن البدهى أن سفن هيرام ما كانت لتقطع هذه المسافات البعيدة الا اذا كان سكان السواحل على وفاق وصداقة معه وتصبح المسألة بسيطة جدا متى علمنا أن البونيين هم هم نفس الفينيقيين ولقد كان الجزء الاكبر من سواحل افريقيا الشرقية على عهد الملك نيخو الثانى فى أيدي البونيين أو سكان جنوب بلاد العرب يعنى نفس العنصر الفينيقى فلا عجب اذا استعمل فرعون البحارة الفينيقيين في اتمام مرغوبه . وبما أن أقدم حملة مصرية أرسلت الى بونت كانت على عهد العائلة الحادية عشر . يعنى (سنة ٢١٣٠ ق . م تبعاً لتقدير

ايرمان) نحكم بان استيلاء البونيين علي شرق افريقيا كان في الالف الثالثة من السنين قبل الميلاد وبما أن هيرودوت يؤكد أن فينيقى الشمال أنفسهم جاءوا الى البحر الابيض المتوسط عن طريق سواحل البحر الاحمر أو البحر الفينيقى مهد ظهور العبرانيين والاراميين والانباط والبابليين أيضا ومن هناك انتشر الساميون واستولوا على سوريا وشمال افريقيا وبلاد العرب وشرق افريقيا ونفس الكوشيين سكان اعالى النيل وبلاد الحبشة كانوا فرعاً من هذه الاقوام البونية أما العنصر المصرى القديم فقد كان أقدم عهداً ونشأة من تلك الامم ولكن بلا شك فيه شيء من الدماء السامية بين النهرية

لقد سكن بسواحل خليج فارس من العنصر البوني شعباته الارامية والنبطية والجرهانية ويظهر أن مملكة البونيين كانت لاتزال متحدة على عهد سليمان بيد أن كل شعبة منها فى الغالب كونت قوماً له مميزاته وصفاته الخصوصية . ولقد رأينا أن الاوسنيون استولوا على سواحل افريقيا المقابلة لزنجبار فى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد ثم تغلب القطابانيون عليهم كما غلبوا الحميريين والجبانيين ولما ادخلت سبأ القطابانيين ضمن رعاياها انتقلت سواحل شرق افريقيا اليها بينما سواحل البحر الاحمر حتى سواكن استولى عليها السبأيون في القرن السابع أو السادس قبل الميلاد اثناء حروبهم ضد انباط الاتيوبيين وقد بقي البونيون وقتئذ في شمال الصومال وسوقوطرا وبلاد المهرا وظفار وكانت بلاد مشونا عندئذ فى يدالقطبانيين وبعد

حين استولى دارا الاكبر على سواحل الخليج الفارسى وجميع بلاد عمان والمهرا وسوقطرا وقسما من الصومال فانحصرت مملكة البونيين كما هى اليوم فى المهرا وظفار وسوقطرا بسبب التضييق الاجنبى وأصبحت هذه البلاد تدعي ببلاد الايتوبيين أو الاطيوبيين على عهد مؤرخى الرومان واليونان ولئن كان جميع سكان سواحل بلاد العرب علي عهد قدماء المصريين بونيين بحت فقد صاروا علي عهد البابليين والاشوريين والعبرانيين واليونان والرومان ممالك مينية قطبانية أوسنية حميرية أو سبأية الخ ومن ذلك نرى ان مدنية بلاد جنوب جزيرة العرب ترجع الى الالف الثالثة من السنين قبل الميلاد . كما يتضح ذلك من الآثار المصرية القديمة . ونفهم من أقوال هيرودت أن قبيلة من سكان جنوب بلاد العرب كانت في القرن الخامس قبل الميلاد تسمي اتيوبيا (اطيوبيا) ونعلم من تاريخ مصر أن قميز تقدم من صعيد مصر ليهاجم الاثيوبيين القاطنين فى اعالى النيل ونعلم من نقشة رستم ومن مخطوطات بهستون Behistun ان دارا الاكبر فتح شرق وجنوب شرق جزيرة العرب وجزيرة سوقطرا ونعلم أن الاتيوبيين كانوا يدفعون الجزية للفرس على عهد هيرودوت وان بلاد الصومال وحكومة ناباتا التى صارت فيما بعد مملكة Meroe مروكانت بيد الاتيوبيين في القرن السادس قبل الميلاد وكانت وقتئذ علاقتهم مع بقية أقوامهم في جزيرة العرب باقية كما كانت علاقة سكان قرطاجنه ومستعمرات الفينيقيين متينة مع صور وصيدا يؤيد ذلك ما ذكره

ادوارد ماير في صحيفة نمرة ٢٨٩ من كتاب تاريخ مصر من ان الاثيوبيين كانوا يقدمون جزية لدار الاكبر كل سنتين مكونة من معيارين من الذهب الخام ومائتين خشبة كبيرة من الابنوس وعشرين سن فيل وخمسة من العبيد وبعض هذه الأشياء وبالأخص العطور عربى المنشأ والباقى من أفريقيا . ولقد كان أنباط أفريقيا (الاطيوبيين) على عهد بطليموس يعتبرون أفريقيين بحت مع انهم فى الحقيقة شعبة من البونيين استوطنت أفريقيا ولقد كان بهذا ظهور الانباط كما يستدل على ذلك من المخطوطات الاثرية المسطورة بالخط المسمارى (راجع صحيفة نمرة ٤٠٩ جزء ثانى من كتابى الخاص بجغرافية وتاريخ جزيرة العرب) ويظهر ان قسما منهم ارتحل الى الجنوب مع اليونيين في الازمنة الغابرة بينما قسم آخر اخترق الجزيرة واستوطن بسواحل بلاد الحجاز الشمالية .

ونرى من كل ماتقدم ان البونيين ومنهم الاراميين والعبرانيين لعبوا دوراً مهما من أقدم الازمنة التاريخية في الرقي البشري بل انهم كانوا أكبر المستعمرين وأعظم مؤسسى الحكومات بفطرتهم والكوشيون الذين تقدموا الانباط والاثيوبيين ما كانوا إلا شعبة بونيه بل ربما كانت أهم شعبة من هذا العنصر كما تفهم ذلك من التوراة بينما الكنعانيون كانوا أهم شعبة بين فينيقي الشمال .

ان البونيين كانوا سكان جميع سواحل شرق وجنوب بلاد العرب

وشرق أفريقيا من الكاب حتى أعالي النيل والصومال ونفس الملوك الذين استولوا على مصر كانوا بونيين كما تثبت ذلك نفس أسماؤهم مثل تاكيلوت Takelot وبياي Pimai وبيانخي Pianchi حتي ان جولشف في مقالة بشأن مآرب يقول ان اسم بلاد العطور كان بانخ وقد ذكر كل من Euhemeros ايهيميروس وديبودور الصقلي ان اسم جزيرة سوقطرا المقدسة فى زمنهما كان بانخاي Pancheae ونفس اسم مشاوشة وهو عاصمة المملكة بوني صريح وقد ذكر هيرودوت وأدوار ماير ان أطيوبي مروكانوا يعبدون زيبوس يعني آمون المصريين وعام القطيانيين وديونيسوس Dionysos يعني أوزوريس المصرى وإثرة القطيانيين وعدا ذلك فقد كانت الوراثة عندهم لأولاد أخت الملك لا لنسله ويسمى ابن الشمس يعنى انهم كانوا متبعين قاعدة تعدد الازواج كما كان الحال باليمن وجميع بلاد جنوب بلاد العرب

لقد كانت أهم حاصلات الطيوب (جمع الطيب) في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد بناءاً على أقوال هيرودوت وتيوفراست Theophrast سولين Solin وبلينيوس Plinius الخ كان مصدره بلاد الشحر (الاسم مشتق فى الحقيقة من الشهر مع التصغير يعني أولى بنا ان نكتبه شهير) وهو اسم البلاد المجاورة لظفار بينما سكان هذه البلاد كان اسمهم وقتئذ أطيوبين وقد ذكر بلينيوس انه كان بتلك الارجاء ثلاثة آلاف عائلة محتكرة تجارة الطيب لها ولاولادها وأحفادها

وكانت الطيوب مقدسة في نظر السكان وقد ذكر تيوفراست (راجع ص ٣٦٧ ج ١ من جغرافية ريتر Ritter) العبارة الآتية : —

« مما يذكر عن أهالى هذه الجهات أن أراضيهم خاصة بالعطور وعدد السكان قليل . ولذلك يذهب الرجل بسفينته فيحملها بالطيب ويحضر كل ما جمعه الى معبد الشمس وهو أكبر محل مقدس في هذه المملكة حيث يوجد عربان مسلحون — فيكوم كل شخص ما أتي به وينصب لوحة على كل نوع مبيناً بها مقداره وسعره ويتركه فيأتى التاجر فينتقي منه مايروقه ويأخذه تاركا الثمن بجوار اللوحة ويذهب الى حال سبيله ويخرج الكهنة فيأخذون ثلث الثمن نصيبا للمعبود وتبقى الاموال لا يمسها أحد بسوء حتي يحضر صاحبها ويأخذها »

وهذا مثال الامانة النادرة والمسالمة ومن الغريب أن أحفادهم اليوم سكان جزيرة سقومطرة مثلهم في الوداعة والمسالمة بينما اختلاط العرب والبدو بأهالى ظفار قد أثر على أخلاقهم مع مرور الزمن. وقد ذكر لنا بلينيوس ان أهم مركز لتجارة الطيب (حيث كان المعبد المذكور) كان اسمه سابوطا Sabota والمعبود الذي كان يقدم له عشر الثمن اسمه سابيس Sabis (يعنى الشمس) وقد كانت سابوتا أو سابوطا عاصمة حضرموت حتى فى العصر الاول بعد الميلاد ثم عند ما استولت سبأ على مناطق الطيوب مكثت بها حتي نهاية القرن الثالث بعد الميلاد وعند ما استولت سبأ على مملكة القطابانيين صار ملوكها يلقبون أنفسهم بملوك سبأ وذى ريدان وفي أواخر القرن الثالث صاروا يلقبون

أنفسهم بملوك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنات (بلاد الحميريين والحبانيين وعاصمتها ميفعات) ولم يكن الحاق حضرموت بملكهم قبل سنة ٢٠ ميلادية) ولقد انتقلت شرق أفريقيا (ازاينا وشمال الصومال الى الحميريين بعد سقوط دولة القطابانيين ولكنها صارت ملكا للسبأيين على عهد مؤلف دليل البحر الاحمر وانتقل ملك بقية الساحل الصومالى الشمالى من يد الحضارمة الى عرب الاحباش (أصل ديرتهم كانت يمنات وكانت تمتد من باب المندب حتى حدود حضرموت) وكان أهم ثغورها وقتئذ أو سيليس Ocelis يعني باب وكانت المتندب فرضة حضرموت اسمها كيل Laue وقد ظن البعض ان المقصود بفرضة جزيرة العرب Arnbie smpori هى عدن ولكن فاتهم ان عدن لم تكن ثغراً على عهد مؤلف دليل البحر الاحمر ولا عهد بطليموس وليس هناك مخطوطات أثرية تؤيد زعمهم بل التاريخ يثبت ان عدن صارت ثغراً لأول مرة فى القرن الرابع بعد الميلاد .

ان بلاد الطيب التى كانت تابعة للقطابانيين من العصر الثالث قبل الميلاد انتقلت عقب سقوطهم الى الأحباش وبقيت بأيديهم حتى ولادة المسيح وقد نصت مخطوطة أثرية من منتصف القرن الأول بعد الميلاد عن معاهدة عقدت بين ملك الحبشة المسمي حدروت Hjadrot وبني علهان نهفان Alhan Nahfan ملك سبأ وبين من يدعى أب غيلان Jadi-ab-Ghailan ملك حضرموت ضد الحميريين والحبانيين وبعض قبائل كانت قاطنة بقرب حضرموت ومن المعلوم

ان الأحباش الذين تحكموا ببلاد الطيوب نيف ومائتين سنة وكان ملكهم يلقب بملك الملوك لوجود أفراد كثيرة تحت حاكميته لم يكونوا سوى شعبة عريقة من البونيين وقد ورد ذكرها في أسماء الشعوب التي رأتها حملة بونت المصرية واذا كنا لم نسمع شيئاً عن تاريخها قبل زمن تفوق سلطانها وعلو كلمتها وانتشار حكمها أخيراً فما ذلك بغريب بل هي في ذلك مثل القطابانيين والسبأيين والحضارمة يذكرهم المؤرخون ماداموا حاكمين حتى اذا دالت دولتهم أهملوهم وسبب ذلك أن أولئك المؤرخين كانوا يوجهون كل عنايتهم الى الحاكم لا الشعب ولقد بقى من الاحباش قسم ببلاد الطيوب وهاجر القسم الآخر الى أفريقيا حوال ميلاد المسيح فأسسوا حكومة أكسوم التي لا تزال تعرف حتى اليوم باسم الحبشة ولقد كان سبب هجرتهم الى أفريقية الاضطرابات السياسية من جهة وكساد حركة تجارة الطيوب من جهة أخرى ويظهر لي أن آخر ملك حبشي حكم بلاد الطيوب كان اسمه جويسوس Gonisos ويلقبه ايزيدوروس Esidorus von Sposfunehaia بملك عمان وقد توفى عهد القيصر أوغسطوس يعني مابين سنة ٣١ قبل الميلاد وسنة ميلادية وانتقلت حاكمية بلاد الطيوب بموته الى حضرموت وكتب مؤلف دليل البحر الاحمر مابين سنة ٥٦ و٦٧ ميلادية ان ملك حضرموت والبلاد الواقعة فى شرقها يعنى بلاد حمير وجزر الزنونيين كان اسمه Rlenzos وكان يحكم جزيرة سقومطرة أيضا ولقد وجدت مخطوطة أثرية مسطرة سنة ٢٦

ميلادية ذكر بها اسم ملك حضرموت وقد كتب هكذا العزو ياليط
Ili Azzo Jalit

لقد كان ملك سبأ يلقب نفسه سنة ٣٠٠ ميلادية بملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنان وبعد ذلك صار ملوك الحبشة يلقبون انفسهم بملوك اكسوم وحومر وريدان واثيوبيا وسبأ وسالحين (وأماكن أخرى في افريقيا) وهنا نلاحظ أن سبأ ذكرت مرتين في اللقبين وكذلك ريدان بينما يمنات ذكرت في اللقب الاول وسالحين فى اللقب الثاني وحضرموت في الأول واثيوبيا فى الثانى . أما اكسوم التي كانت المملكة الاساسية للاحباش بافريقيا وسالحين هي مملكة سبأ القديمة ولقد كنت قد استنتجت من أقوال مورخي اليونان وقبل أن يكتشف بنت Bent مخطوطات ايزانا Aizana ان ايتوبية المذكورة هى حبشات العربية لامملكة الاحباش بافريقيا وحبشات العربية هى حضرموت أو جزء منها وبناء عليه صار اسم حضرموت أخيرا يشمل حضرموت وحبشات بينما اسم حبشات على عهد الاحباش كان يشمل حضرموت القديمة وحبشات العربية أما مملكة اكسوم قد كان تاسيسها مابين سنة ١٠ و ٢٠ سنة قبل الميلاد

قلنا أن المصريين كانوا يسمون سكان جزيرة العرب بونى ويسمون ملكهم بونت يعنى فينيقين ونراهم يسمونها حتى آخر ملوك البطالسه يسمون جميع جنوب العرب باسمها العنصرى القديم بصرف النظر عن تقسيمات حكوماتها الجديدة حتى أن بطليموس الحادى عشر الملقب

باسكندر الاول فر الى بلاد بوت عند ما استرجع اخوه بطليموس العاشر الملقب بسوتر الثاني عرش مصر (سنة ٨٠٨١ قبل الميلاد) وربما كانت بلاد بوت التى فر اليها بطليموس الحادى عشر هى مملكة القطابانيين أو مملكة الجيانيين التي كانت لها السيادة على السواحل الجنوبية الغربية من جزيرة العرب وعلى جزء من شمال الصومال وليس لدينا بكل أسف مخطوطات أثرية تبين لنا حدود مملكة حبشات العربية وعاصمتها بالضبط وكل ما نعلمه عنها انها كانت بالساحل قرب حضرموت (ربما كان اسم سالجي اسم اقدس مكان ببلاد سبأ واطلقه الاحباش فيما بعد على كل بلاد سبأ) ولقد اعتبر بعض المؤلفين الزبير عاصمة مملكة الحبشات ناسيين أنها واقعة في بلاد القطابانيين واعتقد بصورة قاطعة ان المعاركات هي عاصمة الحبشات وعليه نرى أن أهم علاقات الحبشات العربية كانت مع القطابانيين (يتبعهم الجيانيين والحميديين) ثم مع الحضارمة وليس لدينا أنباء قديمة تربنا علاقاتها مع السبأيين والمينيين .

إن من يتأمل فى أحوال سكان جنوب بلاد العرب ويشاهد أن سكان بلاد الطيب (ظفاروا لمهرا) وسقوطره لا يزالون محتفظين باخلاق البونيين ولسانهم رغم قوة فيضان سيل العربية الذي اكتسح غيرهم في تياره يحكم بان هذا اللسان كان لغة البونيين الخالى من الشوائب وانه ذو أهمية عظمى فى فهم جميع مخطوطات آثار جنوب بلاد العرب وان له دخل كبير في فهم مخطوطات ايتوبيا واعالى النيل

وجميع مستعمرات الفينيقيين بسواحل البحر الابيض المتوسط وآثار الاحباش بافريقيا وبلاد العرب

يهمنا طبعا أن نعرف مهد ظهور الفينيقيين وعلاقاتهم مع بابل وغيرها وكل مالدينا من المعلومات في هذا الصدد أن مهد ظهورهم كان بسواحل الخليج الفارسي وفى جزائر البحرين ولانعرف ان منطقتهم كانت تمتد حتى حدود بابل ام لا ونعلم انهم استعمروا فى مبدأ ظهورهم عمان وبلاد المهرا وجنوب الجزيرة ثم هاجر القسم الشمالي منهم الي الشمال الغربى من جزيرة العرب والي سواحل سوريا وبلاد العراق وكانت لغتهم بعيدة جدا عن اللغة المصرية كما أن علاقاتهم بمصر كانت أقل بكثير منها مع بابل رغم أننا نجد بين معبودات مصر من لقبوه بحاكم بوت وسيد بوت الخ واكتفى بان أقول ان بلينيوش ذكر جزيرة اوال (البحرين وسكانها) ويسميها أيضا أواليون ويذكر أن قوما يسميهم اواليون كانوا يقطنونه بجوار باب المندب وذكر ماكن Maken وهو اسم قبيلة تعيش رأس مسندم وكان اسم قبيلة عاشت بسوريا وفلسطين خصوصا عند قاعدة Hermon و ذكر Tilos و Aradus بسواحل البحر الابيض المتوسط والخليج الفارسى وذكر جزيرة كرك Kerak بالخليج الفارسى ومدينة الكرك بشرق الاردن ولم تكن هجرة اليونيين قاصرة على جنوب جزيرة العرب والسومال وشرق افريقيا والحبشة وسوريا وسواحل البحر الابيض المتوسط فقط بل شملت سواحل فارس الجنوبية

والجزائر الواقعة في جنوب آسيا واعتقد أن الفلسطينيين الذين يعتبرهم البعض من كريت او قبرص وسواحل آسيا الصغري كانوا من أول القبائل البونية هجرة الى سواحل الاناضول الجنوبية للتجارة بالكهرباء (الكهرمان) وغيره من المتاجر قبل ورود الفينيقيين والآخرين بقليل رغم دعوي وجود ونيكلر من انهم غير ساميين وانهم من عنصر سكان البحر الابيض المتوسط القدماء واكتفى بان اذكره بان قبائل البوبيين كانوا قديما التمدن الى كل الممالك وأن اليونان والرومان وغيرهم نفذوا من معارفهم ولماذا نريد حصر مستعمراتهم ببعض نقط شمال افريقيا ومالطه وقبرص وسواحل سوريا أن كل مايقال أن اختلاط البونيين مع القبائل الاخرى جعلهم يندمجون معها بمرور الزمان ويشابهونهم فى الملبس والعادات ولكن ليس هنالك شك فى أن واضعي بذور المدنية في جوف أوروبا وجزرها هم البونيون

ليس معنى كلمة فينيقيا الاحمر كما توهم البعض بل معناها النخلة ويعتقد لسيوس أن مهد وجودها كان فى بلاد البونيين ومن ثم انتقل الى بابل وبقية بلاد العنصر السامي وبما أننا نعرف أن منشأ الفينيقيين وموطنهم الاصلي كان بسواحل الخليج الفارسى يعنى في منتصف منطقي زرع النخيل . ويقول ليسيوس أن الكوشيين لم يكونوا ساميين وانهم سكنوا بابل ومدنوها وانهم لقحوا مدينة مصر بشيء من معارفهم ولكن الكوشيين كانوا فى الحقيقة ساميين ولا شك في انهم نفس البونيين وقد نقلوا مدينتهم الكوشية البابلية الى وادى النيل

الخاتمة

مما تقدم يثبت لنا بالدليل القاطع والبرهان الناصع ان وادي النيل كان من أقدم عصور التاريخ بلادا واحدة جنسا ولغة ودينا وعوائد وان كل ماهناك من الفارق هو فارق اللون وهذا ينشأ عن اختلاف الاقليم فمن سكن أعالى النيل وتعرض لحرارة شمس خط الاستواء المحرقة لفحته أشعتها فاسودت بشرته مع توالى الزمن والسلاله اما من قطن الأقاليم الشمالية من الوادى فيخالف الاول ببياض بشرته ثم أن بين ذلك درجات تزداد فى السمرة كلما قربت الديار من خط الاستواء

وهذا شيء طبعي يحدث فى كثير من الممالك الطويلة الشقة من الشمال الى الجنوب كالهند وبلاد العرب وكثير غيرها وليس معنى حدوث ذلك اختلاف الجنس كما يزعم ذلك دعاة الاستعمار من الانكليز والا فليقيموا لنا الدليل فيضعوا خطا علي الخريطة يفصل بين الابيض والاسود من سكان وادي النيل ولن يفعلوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

ان أقوال علمائهم كالاستاذ اليوت اسمث وهو اكبر ثقة في علم فحص العظام بالبلاد الانكليزية بل ومن اقدر أساتذة العالم فى هذا الباب وتقريره بعدم وجود فارق بين الهياكل المصرية والسودانية

من حيث الجنس وانها جميعا افريقية لا كبر مفند لما يدعون ومكذب لما يفتاتون .

لقد اجمع علماء التاريخ وجنسيات الشعوب كما قدمنا في هـذا الـكتاب على وحدة وادى النيل وأهله في الجنس والدين واللغة والثقافة والصناعة حتى فى طريقه البناء الدفن وكثير من المصطلاحات والعادات وما تجشمت الـكثير من النصب والسهر فى جمع شتات هذا الـكتاب وترجمة محتوياته وضم شتاته الا لأظهر للملأ قيمة مفتريات المستعمرين من الصحة ولأدفع الباطل بالحق فتتداعي اركانه وينهار ماشيدوه من بنيانه والله لا يفلح كيد الما كرين .

« قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا »

انتهى

BBC LIBRARY

B12606601
1403418X

BRIT. LIBRARY

AUC - LIBRARY

DATE DUE

MAR 2 6 1987	

82.5
S75
F8
1930

JUN 1974

MAR 12 1987